

رواية
العهد الجديد
خالد البري
دار العين للنشر
28.1.2014
ketab.me
@ketab_n

العهد الجديد

جاء مخلصًا لا مهلكًا

رواية

خالد البري

دار العين للنشر

العهد الجديد

جـاء مخلصًا لا مهلكًا

العهد الجديد

رواية

خالد البري

الطبعة الأولى/ ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م



دار العين للنشر
٩٧ كورنيش النيل، روض الفرج، القاهرة
تليفون: ٢٤٥٨٠٣٦٠، فاكس:٢٤٥٨٠٩٥٥
WWW.elainpublishing.com

الغلاف: بسمة صلاح
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٦٢٦/ ٢٠١١
I.S.B.N: 978 - 977 - 490 - 118 - 7



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

البري، خالد.
العهد الجديد: جــاء مخلصًا لا مهلكًا/ خالد البري.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١١

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ١١٨ ٧

١– القصص العربية

أ– العنوان

٨١٣

رقم الإيداع / ٩٦٢٦ / ٢٠١١

إهـداء

إلى أمي، السيدة تهاني عزوز

إلى أختي، إيمان

إلى ابنتي، جود

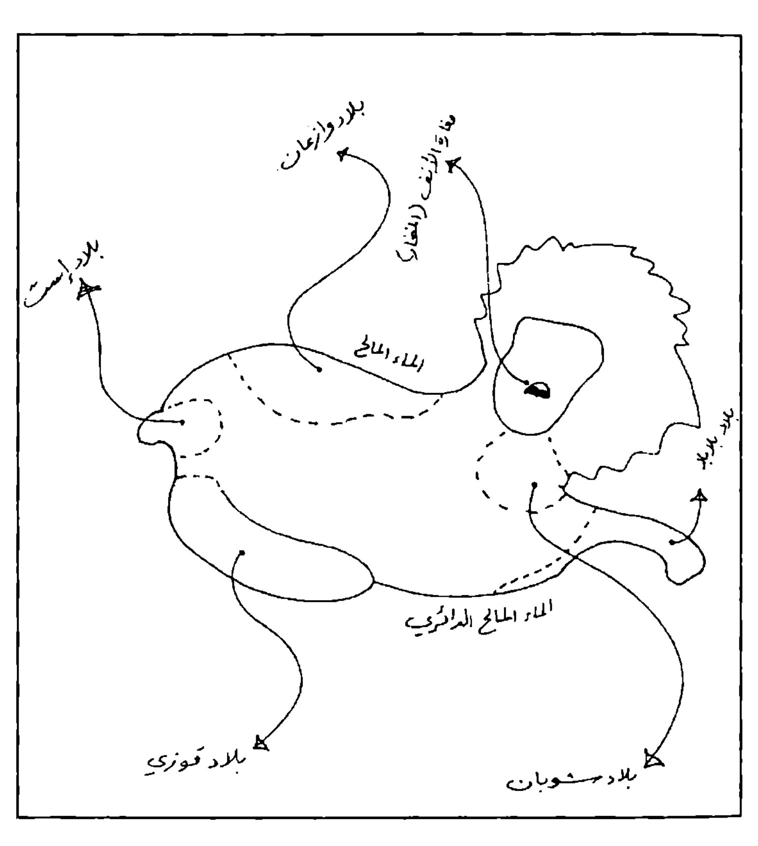
وإلى أمها ليليان

إلى النساء، الحياة

1

كتاب المبادئ





خريطة لبرج الأسد



مب: 1 أس

تسلم قادة برج (كويكب) الأسد – جماعة الفك والربط – تعميما بالاستعداد للاجتماع في قاعة الناب العلوي. أوحى هذا لهم بأن الأمر جد خطير. وما دام الأمر خطيرا فلا بد إذن من "التسبيب"، أي التمويه على الخطة. أهل برج الأسد يستخدمون كلمة "التسبيب" لوصف التمويه لأن أسلافهم كانوا يستخدمونها، لكنهم لا يفهمون معناها اللفظي.

بداية نشروا في الصحف أنهم بصدد الإشراف على الصيانة الدورية لمنطقة الناب العلوي، لكي يبرروا اجتماعهم هناك. إذ إن مجرد الاجتماع فيها سيرسل رسالة إلى عموم البرج بأن الأمر خطير خطير. هذه أقسى مناطق البرج وأخطرها على الإطلاق. لا يسمح أبدا بالوصول إليها ولا حتى لجماعة الفك والربط، إلا بتصريح من أعلى سلطة في البرج، المسمى

بـ"حارس السر". قالوا إن سوسة مجهرية ظهرت في تلك المنطقة ولا بد من إجراء صيانة.

برامج التليفزيون أذاعت على مدار أسبوعين صورة للناب في الموضع الذي اكتشفت فيه السوسة، مع أسهم توضيحية لموضع التجمع الحمضي، والتجويف الذي أحدثه، وأسماء الميكروبات التي تعيش عادة في فم الأسد وتتحين الفرصة للحظة ضعف كتلك لكي تضرب. وقائمة بالتعقيدات والمضاعفات التي قد يسببها مثل هذا التسوس لعموم البرج ومن يعيشون عليه، بداية من خراج لو انفتح لأي سبب لأغرقهم في بحر من الصديد كما أُغرق من سبقهم. على العموم كان موضوع الصيانة هذا هو الكذبة الوحيدة التي استخدمها حارس السر لجمع جماعة الفك والربط (بعض أهل البرج يسمونها الضبط والربط، لكن هذا هو الاسم الأصلي)، فلم يكن هناك تسوس حول قاعدة قاعة الناب العلوي، لكن القيادة لجأت إلى استخدام حكاية تروى من أيام من سبقهم تحقيقا للغرض. قاعة الناب تصان من فترة لأخرى بطبقة من العاج والإنامل، ويقال إن الناب العلوي الأيسر اهتز في قديم الزمان وإنهم قدموا له نصف ما يملكون من الرخام والإنامل لكي يثبت. ويقال إن هذا الاهتزاز كان لسبب لا ينبغي الإفصاح عنه، ولا سيما للعامة. ويظل حتى يومنا هذا مجهولا.

لم ير أحد من أهل برج الأسد صورة جامعة للمكان الذي يعيشون فيه، ومن الصعب عليهم تخيل علاقات الأماكن بعضها ببعض. الوحيد الذي رأى البرج من مسافة تسمح له بالإحاطة بشكله هو قائدهم الفذ بساريا أخطبوط الملقب بـ"الشبل" ورسم لهم خريطة لا تزال حتى الآن

معلقة في قاعة الناب العلوي. وهو طبعا الذي سمى البرج بهذا الاسم. حدث هذا بعد معركة قديمة جدا بين أهل البرج بعضهم بعضا، كادت تفتك بهم. وقتها كان كل منهم ينسب لعائلة حيوان يربونه، فهناك أهل الحصان، وأهل البقرة، وأهل الجاموسة، وأهل المعيز، وأهل الدجاج، إلى آخره. المهم، طاردوا بعضا شر مطاردة، وألقوا بأهل السمك، الذين ينتمي إليهم بساريا أخطبوط، في الماء وهم يضحكون. لم يكن أهل السمك أهل حرب، بل كانوا أهل صيد وأكل عيش. سقط الرجال في الماء وظلت النساء يضربن على صدورهن ويهدهدن أطفالهن ويبكين. سبي منهن من سبي وتركت العجائز مع الأطفال. سنون عجاف مرت بهم، حتى فوجئوا يوما ببساريا أخطبوط يدخل عليهم وهو يقطر ماء وينضح عرقا ويرتعد فزعا. لقد ظل سبع سنوات هاربا، يصطاد الأسماك ويأكلها، ليس إلى جانبه إلا قليل من الرجال الذين لم يهلكوا في اليم. ثم هداه تفكيره إلى أن يصنع لنفسه سلة كبيرة من القش تحمله ومن معه، وانتظروا وقت الجزر ووضعوا أنفسهم فيها وأعادوا أنفسهم إلى الماء. كان البحر يجري في الاتجاه العكسي، والشلالات ترتفع إلى أعلى. طبعا لم يستوعب أهل السمك يومها كيف يحدث هذا، لكن بساريا الذي كان سابقا عصره شرح لهم معنى المد والجزر الذي عرفه من ملاحظة سلوك البحر طوال سبع سنوات. لو حدث هذا في أيامنا هذه لكان سهل الاستيعاب، الموضوع أشبه بشريط فيلم يعرض في الاتجاه العكسي. لكنهم لم يستوعبوا، بل ملوا من الاستماع إلى شرح ما لا يفهموه. واكتفوا بهذا القدر مدعين الفهم. وتخيله كل منهم بطريقته.

سألوه لماذا يرتعد وأين البقية. أوقدوا له نارا ليتدفأ. أخبرهم أنه لا يرتعد من البلل، بل من شيء آخر. سألوه مم. فتردد. ثم أسر لهم بأنه رأى شيئا مذهلا إذ أعادته الشلالات في الاتجاه العكسي - رأى أنه يدخل في فم كائن لا يشبه شيئا مما رأى من قبل. قال لنفسه ربما يكون معزة. لكنه كان أكبر من المعزة بكثير. يشع رهبة، وله نابان علويان ونابان سفليان. قال ربما كان خروفا، لكن صوته كان أقوى، وفمه مختلفا عن فم الخروف وإن كان أقرب إليه من فم المعزة. كلما حاول أن يضرب له مثلا وجده مختلفا عنه. قال ربما يكون حوتا، لكن صوته المرعب لم يكن صوت حوت. تنحنح شيخ عجوز يستمع إليه وقال له يا ولدي هذا حيوان يسمى الأسد، وهو موجود عند أهل الأسد، لا يربونه لأنه لا يروض، بل يقيمون بينه وبينهم سورا كبيرا ويمنحونه من حيواناتهم الشيء الكثير لكي يرضى. نظر بساريا أخطبوط إلى الرجل مليا وتذكره. هذا هو قرموط الرحال، الذي يغير اسمه في كل بلد يحل فيها، ولما حل بين أهل السمك سمى نفسه - لحظه التعس - قرموطا. "لا يا عم قرموط لا،" قال بساريا، "هذا كائن ضخم كثلاثين ألف حوت ويزيد، ولا يشبه شيئا مما رأيت ولا رأينا. إنما أقول هذا محاولة للوصف." ثم أكمل الوصف. قال إن الكائن القوي أطبق على رفاقه بفمه الضخم فتقطعوا في ثوان كأن أسنانه مقصات وسكاكين. سألوه كيف هرب هو. فقال إنه لاحظ أن هذا الحيوان يأكل على ناحية واحدة فقط ولذلك هرب من الناحية الأخرى. هنا تدخل قرموط الرحال مرة أخرى قائلا إن الأسد أيضا يأكل على ناحية واحدة فقط، لأنه لا يستطيع أن يحرك فكيه يسارا ويمينا كما نفعل. ثم أعطى بساريا فرصة أخرى. لعلهم

مروا بمرابض الأسود خلف سور أهل الأسد فهجم عليهم أسد كبير. لكن بساريا أصر أن ذلك لم يحدث وأنه دقيق جدا في وصفه. ثم أكد على كلامه بلمحة خطرت له، أن الشلالات تصعد لأعلى حين يشهق هذا الكائن ولأسفل حين يزفر. وهنا اكتملت الصورة في أعين السامعين وأحسوا أن ذلك منطقي. وأضاف أن الكائن ذاك أخبره صراحة بأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يعود لكي يبلغ ما رأى، ولكي يعلم أهل الحيوانات جميعها من الذي يكفلهم ويرعاهم. هنا رأى استحسانا للقصة في عيون مستمعيه. كان أكثر الناس انبهارا الشباب، الذين كانوا أطفالا حين سبيت أمهاتهم وقتل آباؤهم، والذين يتوقون إلى خلاص من هذا الخوف الدائم الذي يعيشون فيه. استوثق من مجموعة منهم وأخبرهم بحقيقة ما حدث، الحقيقة التي خشي أن يخبرها للشيوخ فلا يصدقونه: أنه قطع إربا إربا أثناء الحرب وألقي في الماء، فاجتمعت عليه أسماك القراميط وأكلت بعضا منه، وأنه أنقذ بعد ذلك على يد امرأة تسمى "حيصوبيص"، جمعت أشلاءه من بطون القراميط التي أكلته وأخبرته بما سيكون من أمره وأمر أصحابه، وقد كان ما أخبرته تماما، وأخبرته أيضا أن قوته العظمى لا تزال في بطن القرموط الأخير، وأنها ستتحرر بمقتله. ويومها فقط سيخرج بهم وسينتقم ممن قتل آباءهم وإخوتهم. تحول استحسان القصة إلى إعجاب بها وانبهار ببطلها، مما شجع بساريا أكثر. "القرموط الأخير كشف عن نفسه،" قال لهم وهو يذكرهم بما قال الرحالة قرموط. لم يبت الشباب الليلة إلا وقد أجهزوا على الرحالة، أو هكذا ظنوا. إذ إنهم في الحقيقة طعنوا أصغر أبنائه الذي كان نائما في حضنه، وما كانت الصرخة العظيمة

التي أطلقها قرموط الرحال إلا كمدا وحزنا. لكنه علم أن لا بقاء له تحت قيادة بساريا أخطبوط. بل حمل جثة ولده وهاجر إلى بلاد بعيدة، منتظرا نهاية بساريا أخطبوط القريبة. هذا آخر جيل آمن بـ"النبوءة"، بأن شخصا قويا جسورا يهزم الآلاف سوف يولد، وعلى يديه ستكون نهاية البرج، وبداية العالم الجديد. القرموط الآخير صدق أن بساريا أخطبوط قد يكون هذا الشخص. وفي بلاده البعيدة، اشترى بذلة جديدة علقها في صومعته وتعهد بألا يلبسها إلا إن تحققت النبوءة التي لن ينجو إلا من يحسن تأويلها ولا يتبع "الدجال". أما بساريا أخطبوط فقد منع هذه النبوءة وجرمها، أراد أن يبني في البرج عالما جديدا خاليا من الأوهام، ومتخلصا من كل رواسب الحكايات القديمة. القرموط الأخير تاه في وسط الناس، و لم يعد أحد يكترث به، ولا هو يكترث بأحد. في البلد البعيد، اعتبر نفسه لاشيئا، واعتبره الناس لاشيئا. وكعادته غير اسمه، سمى نفسه "دالاس لِس".

لن أطيل كثيرا في سيرة بساريا أخطبوط، لكنه باختصار كون جيشا قويا من هؤلاء الفتية الصغار وهزم أهل الحيوانات الأخرى كلهم، ودخل عرين الأسد. بعض من أفراد جيشه الذين حضروا هذا المساء البعيد وسمعوا حديث الرحالة قرموط عن الأسود ظنوا حين نظروا إلى مرابضها بعد هزيمة أهل الأسد أن الشيخ كان محقا، وأن الوصف ينطبق على هذا الحيوان المسمى الأسد. لكن بساريا أخطبوط أخبرهم بأنهم لو رأوا ما رأى لعلموا أن تلك الحيوانات ما هي إلا حيوانات كانت لها أسماء أخرى فغير أهل الأسد أسماءها إلى اسم الأسد لكي ينتسبوا إليه ويخيفوا من يحاول الاقتراب منهم، ولكي يدلل لهم على كلامه فقد حقن حيوانات

بالسم وأطلقها في مرابض أهل الأسد وحين هجمت الحيوانات المسماة أسودا على الحيوانات المسمومة وأكلت منها ماتت جميعا. ثم وقف بساريا أخطبوط فوق صخرة عالية وأشار إلى مرابض الأسود وقال: ها أنا ذا شخص واحد لا أملك من القوة شيئا لكنني استطعت أن أقتل ما يسمونه الأسود كلهم وحدي. فلا أسد إلا من نعيش في كنفه. ثم أمر بمن لا يزال متشككا فجيء بهم وحفرت لهم حفرة وقتلت مقاتلتهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم. بعد ذلك جمعت عظام "الأسود" وشيد بناء عظيم اسمه "هيكل الكائن البرج". وانقرضت "الأسود" من برج الأسد كما انقرضت ذكراها في عقول من كان يتذكرها، وصار بساريا أخطبوط هو الشبل الوحيد. كما صار البرج كيانا واحدا موحدا اسمه "برج الأسد".

نضال بساريا أخطبوط يعرفه أهل برج الأسد معرفة تامة، جزء من تراثهم الذي تناقلته ألسنة من قبل قبلهم إلى آذان من قبلهم، ثم من ألسنة من قبلهم إلى آذانهم. وهم يسترجعونه بلا حاجة إلى تذكير. لكن لا بأس من تذكيرهم في مثل هذا الوقت العصيب تحسبا لما سيأتي.. سيأتي قريبا. كما لا بأس من طمأنتهم بأن قيادة البرج ستفعل اللازم لتحصينه ضد الخطر القادم.

ميكروفونات التوجيه ذكرت الناس في بيانها الأسبوعي بأضرار السوسة، وبأهمية عدم الاستهانة بها. وذكرتهم بحكايات أجدادهم الذين كادت تقضي عليهم سوسة مماثلة استهانوا بوجودها وضنوا على محاربتها بأموالهم وأنفسهم. كان هذا مناسبة أيضا لتذكير الناس بنظافتهم

الشخصية. بأهمية أن يغسلوا أسنانهم اثنتي عشرة مرة يوميا على الأقل، بعد كل وجبة أو شربة ماء، وألا يتكاسلوا عن هذا، ضنا بالوقت، لأن التكاسل سيقصف أعمارهم ولن يكون عندهم وقت "ولا يحزنون". وما بين علامات الاستشهاد تعبير آخر لا يدركون معناه الحرفي لكنهم يعلمون أن مجرد ذكره يوحي بكارثة.

جماعة الفك والربط ظهروا جميعا في التليفزيون وهم يشترون كميات من عبوات معجون الأسنان. وحين أفادت نوافذ بيع "المطهرات" بأن مليوني عبوة معجون أسنان بيعت في شهر اطمأن القادة إلى أنهم أنجزوا الخطوة الأولى من التسبيب. إذ إن هذا هو عدد سكان برج الأسد، حسب آخر إحصاء.

الخطوة الثانية كانت إرسال لجان التثبت (اللجان الصحية) إلى البيوت كي تكشف كشفا دقيقا على أسنان السكان. كل من ثبت إصابة أسنانه بتسوس حول إلى لجنة تالية اسمها لجنة "اشتمام العبث". وهؤلاء –وعددهم واحد وثمانون شخصا– تلقوا برنامج إعادة التأهيل الصارم الذي أوصت به لجنة اشتمام العبث وأعلن ذلك في كلمات مقتضبة أذيعت على التلفاز. أما الستة الذين لم يستجيبوا لبرنامج لجنة "اشتمام العبث" فقد اعتبروا من أهل "يائس وميئوس" الذين يعتبرهم دستور برج الأسد من ذوي العلة الجوهرية التي لا يصلحها تأهيل ولا يكشف أسرارها تحليل. وهؤلاء أقروا بأخطائهم الصحية التي لا يستطيعون لها ردا ولا منها فكاكا ولا "لمواسيرها سباكا". وقد أزيلت أسنانهم تماما وحرقت جذورها

بالليزر للقضاء على أي إمكانية لانتشار السوسة، أو الجرثومة، كما سماها بساريا أخطبوط في تحذيره الأصلي وكما سمتها كتب الشروح جميعا.

كل هذه الإجراءات كانت بغرض التسبيب/ التمويه، لا غيره. فسوس الأسنان لا علاقة له بالجرثومة التي حذر منها بساريا أخطبوط. لا يعني ذلك أن القيادة كاذبة. لا. إنما تخشى على الجمهور من تحمل هذا العبء النفسي. تريد مشاركته. نعم. تريد مشاركته بأن تحول المعركة البرجية إلى معركة شخصية مقدور عليها. بينما تنشغل القيادة وحدها بعمل الصحيح ولا تقلق من وثقوا فيها. الجمهور بالطبيعة غير مؤهل للمشاركة في القرار، كما أن التوصل إلى قرار مع كل هذا العدد - 2 مليون - صعب إجرائيا. القيادة تسهر ليل نهار على توفير الأشياء. الأشياء. وهل يريد الإنسان لراحته أكثر من الأشياء التي تريحه؟

كل شيء موجود في برج الأسد، من أول التليفزيون إلى الدي في دي والغسالة الأتوماتيك والسيارة.. كل شيء. هذه أشياء توجد بلا سابقة. ينام الناس ويصحون فيجدونها في المتاجر والأسواق. ثم يعتادون عليها. هناك "أشياء" أخرى موجودة لأن سابقتها موجودة. استراتيجية التثبت الدوري مثلا بكل تعقيداتها منقولة جيلا بعد جيل كما هي منذ ما لا يعلم أحد متى. وهي موصوفة في كتاب لديهم لا يعلم أحد متى كتب. الكتاب محفوظ كما هو لكن من الممكن إضافة كتب إلى جواره لشرحه. وهذا هو "التطور" الذي يحدث من جيل إلى جيل. الجيل الأول للشارحين احتاج مثلا إلى زيادة عدد الحقن المستخدمة في تنفيذ استراتيجية التثبت الدورية،

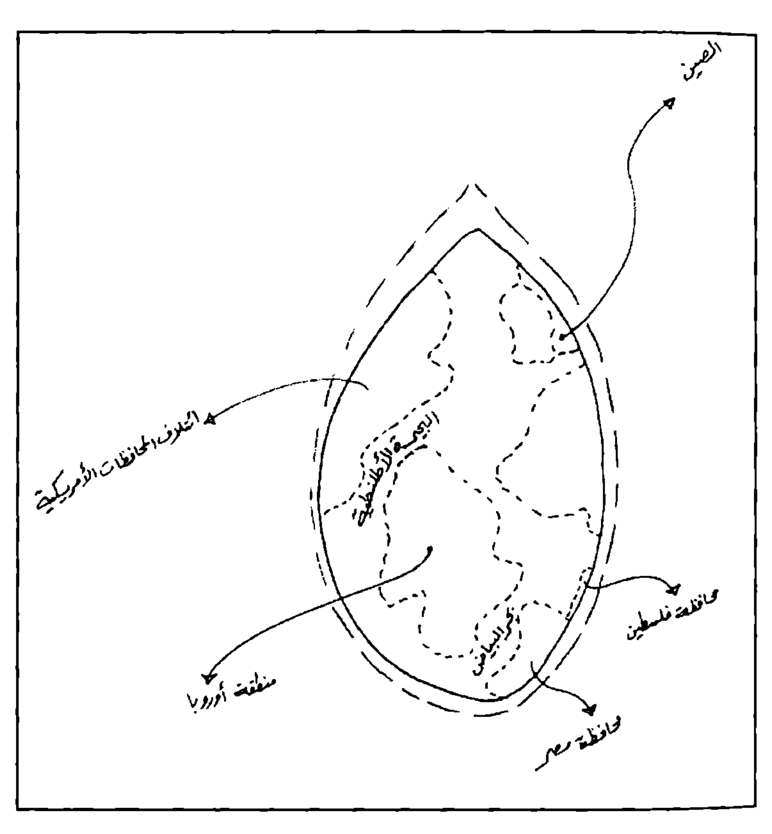
فكتبوا كتابا بعدد السرنجات الإضافية التي يحتاجون إليها، وشرحوا لماذا يحتاجون هذا العدد الأكبر من السرنجات. كتاب طويل عريض كان يمكن تلخيصه في جملة واحدة: عدد السكان زاد و لم تعد السرنجات تكفينا ولذلك نحتاج إلى سرنجات أكثر. لكن هذا لم يكن ليكفي. لو فعلوا هذا لفاض الوقت ولفكر هؤلاء الأولون في أمور أخرى لا تحمد عقباها. كان لا بد من كتاب الشروح الأول ذاك لكي يبرر حسابيا بالضبط عدد السرنجات الأكثر التي يحتاجونها، من خلال مقارنة لعدد السرنجات التي احتاجها الجيل السابق بالنسبة لعدد السكان. لا يكاد أحد يقرأ كتب الشروح، قليل يفعلون، لأنها مملة جدا. وهذا القليل يقتبس جملا قصيرة يمكن فهمها من كتب الشروح ويذكرها في التوعية الأسبوعية. مثلا: "قال الشارح فلان الفلاني في كتابه غيض السرنجات حين فاضت الأوردة والعضلات: وإذا كان ثلاثة عشر من قطان المكان في زمان معروف على العيان في حاجة إلى ست عشرة من السرنجات المتان تحسبا لتلف واحدة أو أن تضيع اثنتان فإن ستة عشر من قطان نفس المكان في زمان آخر معروف أيضا على نفس الدرجة من العيان في حاجة إلى ثماني عشرة من السرنجات على نفس درجة المتانة والإتقان." ألا يتوه السامعون في فقرة كتلك؟ على الأقل يضيع الأذكى منهم في محاولة فهم مدى صحة النسبة رياضيا، لكنهم في كل الأحوال يمصمصون شفاههم إعجابا بهذه الحصافة. وإن لاحظ المتحدث أن بعضهم شرد فإنه يقول بلماحية: "أعلم أن بعضكم لديه تساؤلات. لكن تذكروا أن الحكمة نور، من أضاءه بوهج أعمى بصريه، ومن أطفأه لم ير، لكن قليلين يعرفون في أي درجة يبهج الوهج،

ولا يسود الهرج والمرج." وهنا فإن من لم يمصمص شفتيه من قبل مصمصهما اطمئنانا ورضى.

باختصار، يمكن أن نقول إن أهل برج الأسد - باستثناء تعاملهم مع الماكينات الحديثة - حريصون جدا على التواصل بين السابق والآتي. ويفعلون كل ما يفعلون لأن من سبقهم فعلوه. يسمون تلك أخلاق البرج - "الوصالة". حتى في التطور، يتطورون لأن من سبقهم أيضا تطوروا. يتطورون في نفس الاتجاه وبنفس الدرجة وفي نفس المواضيع. وهناك يافطة فوق رؤوس جماعة الفك والربط في غرفة الاجتماع مكتوب عليها "تطوروا وإلا صرتم كالتور الذي يلف حول الساقية ولا يتطور." بعضهم اقترح أن الطاء في كلمة يتطور في آخر الجملة خطأ مطبعي وأن الكلمة هي ولا يتتور، على أساس أن التور يجب - ببساطة - أن يتتور، ولا يكتفي باللف حول الساقية. لكنهم اتفقوا على أن الجملة يجب أن تبقى كما هي لأن أي تغيير فيها يعني أن السابقين لم يفهموها. في زمان ما كانوا يفهمونها.

هذه مقدمة عن برج الأسد لا بد منها لفهم ما حدث. والآن، عود إلى ما حدث. حان إذن وقت الاجتماع لبحث إجراءات مكافحة الخطر القادم، المترقب جيلا بعد جيل، منذ زمن بساريا أخطبوط. الخطر الذي يبدو الآن حقيقيا أكثر من أي وقت مضى.





خريطة الشرنقة (برج السرطان)



مب: 2 شر

زوان تعرفت على خطيبها حين مرت جنازة ليدي ديانا في ميدان التحرير. اجتمعا على حبها، كانا يرغبان في مواكبة الجنازة من أول ترافالجر سكوير، ثم يسيران خلفها إلى تايمز سكوار قبل أن يعودا بها إلى مدفنها الذي أوصت به، الجمالية، لكنهما تحسبا من سباحة البحيرة الأطلنطية كلها في هذا اليوم المزدحم، فاكتفيا بمتابعتها من ميدان التحرير حتى الجمالية. وبعد الصلاة عليها في مسجد "الغوري" اكتشفا أنهما يتخذان نفس الوجهة – مستشفى قصر العيني. لم تر فيه هذا القاتل الذي رأته بعدها، حين جاء إليها في رأس السنة، وهي في النوبة الليلية في قسم الحوادث، رجل يعاني من كسر مضاعف في عظمتي الساق نتيجة حادث بشاحنته. كان الرجل واعيا على غير العادة في مثل هذه الإصابات. يتألم لكنه واع. قال لها إنه صعيدي، والصعايدة لا يغيبون عن الوعي من الألم.

صعيدي! إنه إنسان عادي، كل الفرق أنه لا ينطق الإر إغ كما يفعلون في محافظات الشمال، كالنرويج والسويد وهولندا، ولونه داكن أكثر بسبب مجاورة بحر البياض. كل جنوب أوروبا لهم نفس البشرة، والصعيد لا يختلفون عنهم. كانت تلك الليلة عصيبة بسب حوادث الطرق. اكتشفت فيها أن الكسور في حوادث السيارات لا تشبه الكسر الذي عرفته وهي صغيرة سواء بسبب التواء في القدم أو حتى بسبب صدمة قوية، مؤلمة، أو وقعة بشكل خاطئ على الذراع، تلك الكسور التي تحتاج إلى جبيرة وبعض الراحة. الكسور المفتوحة شيء آخر تنفصل فيه العظمة عن باقيها ثم تطل من خارج جلدها، مهتكة ما يقابلها في الطريق من أنسجة. ومشوهة الأوضاع التشريحية الطبيعية التي تعرفها للساق أو الذراع. تكاد قدم الرجل الصعيدي تسقط، معلقة مع ساقه بجلدة وبعض أنسجة متهتكة. ارتعش جسدها، ولم تملك إلا أن تفكر فيه على الفور. هذا طبيعي، أن يفكر طبيب الامتياز بالطبيب المقيم حين تأتي حالة كتلك في غرفة الحوادث. لكنها فكرت فيه كرجل سينقذ رجلا. الرجل الأول هو خطيبها والثاني شخص ستتغير حياته كلها الليلة، مرورا من تحت يدها. تركت زملاءها يكمدون ساق الرجل وركضت من غرفة الاستقبال في الطابق الأرضي إلى غرفة الطبيب المقيم في الطابق الثالث. طرقت على باب غرفته بيدها بإلحاح واستحثاث. مفهوم. الطرقات الملحة لم تنقل إليه الإحساس بالإلحاح لأنه اعتاد عليها، فجاء صوته بعد برهة مُثقَلا ومُستَمهلا من بالباب. حتى حين تحدثت إليه لم تتغير نبرته، فهي كغيرها من أطباء استقبال الحوادث سيأتون إليه حين تستعصي عليهم حالة،

وسيستحثونه، أولا رغبة في التخلص من المسؤولية، وثانيا رغبة في إراحة ضمائرهم. لا يزالون حديثي العهد قليلي الخبرة، حتى بالنسبة لشخص حديث العهد قليل الخبرة مثله. لم يتعلموا بعد أن الطب هو إدارة في المقام الأول. بمجموعة من المعطيات عليك أن تتعامل معها، وألا تحاول أن تبقي على كل الكرات في الهواء وإلا فقدتها جميعا.

خرج إليها وأغلق الباب خلفه. ممنوع منعا باتا في مستشفى قصر العيني أن تدخل ممرضة أو طبيبة إلى غرفة النائب المقيم.

"فيه حالة وضعها إكستريملي كريتيكال جت تحت، حادثة والراجل رجلو هتتقطع ـــ"

"أوكيه،" أشار بيده مقاطعا ومبتسما ابتسامة تدعو إلى الهدوء. سوف تتذكر هذه الابتسامة طويلا حين تكرهه. ستتذكرها تذكر الإنسان لأنياب كلب عضه وهو طفل.

"اهدأي وأخبريني بما حدث" قال لها وهو يبالغ في إخفاض صوته، يذكرها أنهما ليسا وحدهما وأن زملاءه نائمون بالداخل.

"حادث سيارة، هذا الرجل يسوق شاحنة، وقد انقلبت به، كسرت ساقه كسرا مضاعفا، الفيبولا والتيبيا مكسورتان، وتقريبا رجلو متعلقه عند الكسر بجلدة."

"طيب، سأرتدي ملابسي وآجي آشوفو."

"بس المسعف الذي جابو أخبرني أن نقله إلى غرفة العمليات يجب أن

يتم سريعا – في خلال عشرين دقيقة – وإلا فقد ساقه."

"أغلب الظن أن ساقه ستقطع، معندناش هنا تجهيزات مناسبه. ولو عندنا، مفيش حد فاضي يعمل العملية. الجدول مليان."

"يعني مش هتلحق تشوفو؟ سي إمبوسيبل، إمبوسيبل."

"لأ. سأمر عليه سريعا، عشان خاطرك. لكنني لن أستطيع أن أفعل له شيئا."

مب: 3 أس

سار جماعة الفك والربط في صحراء وجه الأسد بعيونها التي زمت عبر السنين. يسميها أهل البرج منطقة "أثرابعين"، يدغمونها في بعضها دون أن يفهموا أصل الكلمة. لكي يصلوا إلى قاعة الناب العلوي لا بد أن يمروا بمغارة المنخار. ذبحوا بعض الجمال التي أتوا بها للذبح، ثم حلقوا شعور رؤوسهم وأجسادهم وخلعوا ملابسهم كاملة حتى لا تزعج باطن الأنف المخملي للكائن البرج. ساروا خلف الدليل، على بداية المغارة نظر إليهم مذكرا إياهم أن يقولوا: "يا برج لقد ذبحنا لك الذبائح فلا تشمها وتعطس الآن، وسوف نزيدك منها حين نخرج من هذا المكان." هذه المقولة نجحت دائما في إقناع البرج بألا يعطس، لكنها رغم ذلك لم تنجح أبدا في طمأنة قلوبهم مئة في المئة إلى أنه لن يعطس. كانوا دائما متخوفين من أن يفعلها البرج ويعطس. لا يعلمون كيف ستكون عطسته، يعلمون

فقط إنها لا تشبه العطس الذي رأوه من قبل. يزيد من مخاوفهم أن البرج كائن غير مفهوم لهم، لا تخضع أفعاله لعلة وتعليل، بل تخضع لقانون لا يعرفون كنهه، ربما يكون قانونا بيولوجيا، أو فيزيولجيا، أو تاريخيا/ زمنيا. لا يعرفون. الشبل قال لهم قديما: إن القتل – قتل الحيوانات – يهدئ من ثورة الغضب، ويروق النفس، بل ويبعث على الضحك. وهم إذ يذبحون الجمال يشعرون بحالة من الهدوء والسكينة، ثم يتسمون، ثم يضحكون بصوت عال. وفي المرات التي سقطت فيها صخرة على سائرين داخل مغارة المنخار – رغم الذبح – فسروا ذلك بأنهم ذبحوا كثيرا حتى أضحكوا البرج. لكن هذا على كل حال أفضل كثيرا من أن يذبحوا أقل فيتوتر البرج وتصير أنفه حساسة لأي جسم غريب يدخلها فيعطس، وما أدراك ما عطسة البرج.

ساروا في المغارات المغطاة بمخاط متدل ومعلق في الهواء. إن كانت هذه مخطة البرج فكيف تكون عطسته، يفكر الواحد منهم وهو سائر في المغارة. يشك بعضهم أحيانا أن هذه "المخط" تشبه في الحقيقة ما يرونه في المغارات العادية ويسمونه متكلسات، لكن الواحد منهم يعود على الفور ويؤكد لنفسه: لا، لا بد أنها مختلفة. يمازح الدليلُ ديوكاليونَ، "سأسبقك في النهاية يا ديوكاليون." وهذا ينظر خلفه ويبتسم. يميل ديوكاليون إلى أن يتقدم الآخرين بخطوات، تماما كما يفعل في رحلاته الاستكشافية التي برع فيها حتى صار من أعلام برج الأسد. وهو يتقدم هنا لأنه يعرف الطريق. ذهب إلى هناك مرة واحدة قبل أربع وثلاثين سنة، لكن ذاكرته طوبوغرافية، لا يحتاج إلى أكثر من مرة واحدة لكي يحفظ حتى طريقا

معقدا كهذا. الدليل محق أيضا، لا بد أنه سيسبقه في النهاية، الأدلاء فقط يعرفون كلمات السر التي تفتح البوابات. ينظر ديوكاليون إلى المخطة المدلاة مرة أخرى ويقول "يخلق من الشبه أربعين". هذه مقولة محفوظة عن الشبل. يقصد أن المخاط يشبه أحيانا التكلس. بالطبع لم يمد يده إلى جدران مغارة الأنف القريبة لكي يرى إن كان المخاط يشبه التكلس في الملمس والصلابة أم لا، فمجرد اللمس سيهيج الأنف وقد يعطس ما لا تحمد عقباه. يتذكر ديوكاليون مقولة قديمة لأستاذه محفوظ الإقويني إذ سئل نفس السؤال عن الشبه/الفارق بين المتكلسات ومخط أنف الكائن البرج، فرد رده البسيط العميق: "هذه متكلسات وتلك مخط". يفكر ديوكاليون في تلك الإجابة وهو يسير فيشعر بأنه خفيف ورشيق، ليس متصلبا ولا رخوا، ولا جافا ولا ملتصقا، الصورة التي يجب أن يكون عليها الفرد الصالح في برج الأسد، وما ذاك إلا لتفكره في أقوال العظماء التي ميزت بين الكلس والمخطة.

قطعوا مغارة المنخار سيرا على الأقدام في يوم، ثم تزلجوا طريق سطح الفم في نصف يوم، مستخدمين التليفريك البللوري الذي يشبه في رقته عدسة العين وفي صلابته الألماس. لدى وصولهم إلى اللثة نقلهم قطار صغير إلى منطقة محددة منها هي منطقة 1 أبر كاناين، انزلقوا مرة أخرى على طريق أضيق اسمه طريق السابورتينج ليجامنت لكي يغوصوا إلى أسفل ولا يدخلوا من الجزء الخارجي. سبقهم الدليل، وضع فمه في فتحة صغيرة وقال "افتح يا سمسم" بصوت منخفض. فتحت بوابة العظمة الرقيقة من جهة اللثة، وصعدوا في الأكسيسوري كانال ثم المين كانال

حتى وصلوا إلى منطقة الاجتماعات. في انتظارهم كان حارس السر. نظر إليهم، رفع عصاه ودق الأرض ثلاث مرات، ثم نادى بصوت عال مهاب، "البرج، البرج، البرج، البرج". فرددوا خلفه وهم يرفعون اليد اليسرى عاليا ويخفضونها في كل نداء، "البرج. البرج. البرج. البرج". لم يتحرك من مكانه، فقط التفت برقبته نحو الباب الذي يحمل ثلاثة ألوان أفقية زاهية، يتغير ترتيبها كل عام. مرة أبيض وأحمر وأزرق، ومرة أزرق وأبيض وأحمر، وهكذا، وقال بصوت خفيض أشبه بالتمتمة: "افتح يا سمسم، افتحي يا سماسم، يا ضاحك يا باسم، يا صارم يا حاسم، يا حلو يا أبا المواسم." فانفتح الباب. ودخلوا ليجلس كل منهم أمام جهاز له. قال كل منهم لجهازه بصوت خفيض: "افتح يا سمسم" مع إضافة بسيطة، بعضهم يقول افتح يا سمسم بيه، وبعضهم افتح يا سمسم باشا، وبعضهم يا سمسم أفندي، وبعضهم يا سمسم هانم. باكتمال تشغيل الأجهزة الفردية فتح الجهاز الكبير نفسه تلقائيا.

وقف جماعة الفك والربط الاثنا عشر في وضع انتباه ناظرين كلهم في اتجاه حارس السر الذي ينظر ناحيتهم ويطرق على كتفي كل منهم طرقة بعصاه، طرقة على الناحية اليمنى وأخرى على الناحية اليسرى. ثم استدار إلى الجهة الأخرى معطيا إياهم ظهره وناظرا إلى الجهاز الكبير ورفع كوبا في يده عاليا ثم أسقط يده في السائل وأخرجها، أمهلها قليلا فوق الكوب ثم نطرها في الهواء نحو شاشة الجهاز الكبير. وتمتم بفمه: "طرٍّ يا ماء وملح عليه،" البداية بجملة يفهمها جماعة الفك والربط، أما ما بعدها فبخليط من لغتهم ولغة أخرى لا يعرفها إلا الحرس، لغة قديمة

يتوارثها كار الحرس من جيل إلى جيل، ويقال إنها أصل لغتهم قبل أن تتطور إلى اللغة الحالية، "خللي الريسولوشن يمخول، والكولورز تخبل، بي سين باي ذا بليند والأحول، يا شاشة يا شوشو يا شوشة، يا ام الباتونز على الكيبورد منقوشة، والباد تحت الماوس مفروشة، يا بيرار أوف صور ورسايل، وميكر لديساينز وجمايل، يا ام البور، يا مشلحة الجيرلز الحور، ومسلياني أميوز، ومربياني تو تشوز، ومعلماني ومثقفاني، أنا حارس السر، وخادم البرج الوحداني." طبعا الثلاث جمل الختامية بلغتهم كما هي.

دق حارس السر بالعصا التي في يده دقة قوية على الأرض، فانتاب الأعضاء فزع كبير. الموضع الذي يدق عليه موصل بنظام صوت يجعل الدقة تهز الغرفة. ثم التفت حارس السر مرة واحدة عائدا إلى مواجهة جماعة الفك والربط. وبصوت عظيم صرخ: "أرض الناب لا تؤثر فيها ضربة عصا، ولا يخرمها خازوق، أرض الناب أرضنا، البرج برجنا، لسانه لساننا، وأنفه أنفنا، عيونه عيوننا، وأسنانه أسناننا، ذيله ذيلنا وإسته إستنا، من دخل من فتحاته أدمانا، ومن اعتدى زدنا بدمانا، وأول الدم المراق دمي انا، لا مجال لشريكٍ هنا، ومن يُردْ الشر يكُن هنا، ونحن قوم لا يرى منا شريكٌ وهنا."

انصرف جماعة الفك والربط كل إلى مقعده حيث سيطلع على آخر المعلومات الاستخباراتية التي من أجلها جاؤوا إلى هنا. تمدد كل منهم على بطنه على البنش الطويل المخصص له، وضع وجهه في الجزء الذي لا يمكن أن يخطئه، المربع الوحيد المفتوح من هذا المقعد، قبل نهايته بقليل،

ينظر إلى شاشة تحته عبر عدسة مكبرة، ولا يمكن له أن يلتفت إلى أي ممن حوله فيتأثر بردود أفعالهم. من أجل ذلك الغرض نفسه، يمر حارس السر عليهم واحدا واحدا فيطمئن أنهم في الوضع الصحيح، ويثبت على رأس كل منهم حزمة من أحزمة جلدية مفصلة على شكل الدماغ، وموصلة بسماعتي أذن - تعزلان الصوت من الخارج، ولا تسربان همسة من الداخل. يعود حارس السر إلى موضعه. يجلس على كرسيه العريض. بضغطة زر منه تتحول الشاشة الكبيرة إلى اثني عشر مربعا صغيرا، يرى في كل منها وجه واحد من جماعة الفك والربط، ويراقب تعبيرات الوجوه وهم يشاهدون الفيديو الذي اجتمعوا لمشاهدته. سيعينه هذا في قراره التاريخي، الذي يتناسب مع الخطر التاريخي الذي يحيق بالبرج. لقد عزم حارس السر على حل جماعة الفك والربط واختيار واحد فقط من أعضائها رئيسا للجنة جديدة تكون قادرة ومؤهلة للتعامل مع الخطر القديم الجديد. متابعته لردود أفعالهم حين يعلمون بالخطر ستعينه في مهمة اختياره للأصلح منهم، والأقدر على الوقوف بثبات أمام الخطر.

تجهم... تجهم... خوف... قلق... كل هذا الخطر محيق بهم وهم غافلون. جنسهم قد يفنى ويعود الأمر إلى ما كان عليه الزمان قبل الشبل، إلى ذلك الزمن المجهول الذي يعرفونه - يعرفون أنه كان معتما وأسود ووسخا وقذرا وغبيا ولا يستحق العيش. هذا ما أخبرهم به بساريا أخطبوط بنفسه، وما تذكرهم به السماعات على آذانهم في هذه اللحظة.

مب: 4 شر

فعلا مر خطيب زوان على المريض. وفعلا، دقيقة واحدة. وقال إنه لن يستطيع أن يفعل له شيئا، مكررا الأسباب السابقة، والابتسامة السابقة حين لحقت به وهو يصعد محاوِلةً أن تقنعه بفعل شيء. وفي الأخير قال لها إنها تستطيع أن تأخذه إلى الطابق السابع على مسؤوليتها وترى إن كان أي من الأطباء مستعدا للمساعدة. يعلم أنه اقتراح ساذج، وأن الأمور لا تسير هكذا في المستشفى، وأنها ستبدو "هبلة" وهي تفعل ذلك، لكنها فعلت. أمرت ممرضا أن يأتي بتروللي متحرك سريعا. وجاء بتروللي معدني صدئ، ثم تعاون مع زميلين من الأطباء لنقل المصاب بينما أمسكت هي بقدمه المعلقة وهي تطلب منه بسذاجة تناسب الموقف كله، وفيها كثير من السخرية، أن يفقد الوعي ليستريح. أخبرها أنه لا يقدِغ. استبدل الإر إغ لكي يقلد لهجتها الباريسية. طلبت منه أن يتكلم بلهجة ماغسي

(مارسيليا) وأن يكون فخورا بهذا وألا يحاول أن يقلدها، فكلنا إخوة، ولا يشينه أنه ينتمي إلى أناس أغبياء وفقراء وأدنى بشريا، فكلنا في الآخر بشر. الأدني والأعلى والمتوسط واليميني واليساري والشمالي الشرقي والجنوبي الغربي والشمالي الغربي والجنوبي الشرقي، كلنا سواء. ولا ذنب له أن الله رضي عنها وخلقها بيضاء بينما سخطه أسود. فكلنا سواء. وها هي تعطف عليه وتحاول أن تبقي على ساقه، رغم أن سيقان أمثاله تفقد كل يوم هنا وهناك ولا أحد يلتفت إليها. أخبرته أنها أيضا تفعل ذلك رغم أنه سيئ إداريا، وأعادت عليه ما يقوله خطيبها: إن الطب إدارة في المقام الأول. وضربت له مرة أخرى مثل الكرات التي في الهواء. فأخرج من جيبه ثلاث برتقالات ليلعب بها في الهواء، لكنه وجد أن إحداها سحقت بسبب الحادثة و لم يبق منها إلا القشرة. هنا صرخ، بصوت عال، ثم غاب عن الوعي.

في نفس اللحظة التي وصلوا فيها إلى الأسانسير. طلبت من الممرض أن يصعد بسرعة فضغط بكل قوته على زر الأسانسير وهذا انطلق كالصاروخ لدرجة أنهم وجدوا أنفسهم في الطابق السابع في توقيت يسبق توقيت صعودهم بدقيقة. وهكذا كسبوا دقيقة. لو كانت مستشفى المنيل ناطحة سحاب كمستشفى تايمز سكوير لربما نجحوا في إنقاذه بسهولة، بل لربما منعوا الحادثة من الوقوع. لكننا هنا، في المنيل، حيث الصعايدة والفقراء وكل هذه الحثالة تأتي لكي تنقذ سيقانها التافهة وحيواتها العبء. عزمت أن تنقل النصف الثاني من الامتياز إلى مستشفى تايمز سكوير الجامعي أو حتى مستشفى برج أيفل الجامعي. يحق لها قانونا أن تفعل ذلك في الستة

الأشهر الثانية. على الأقل لن تحتاج وقتها إلى الإمساك بقدم وسخة قذرة كتلك، ولا إلى رؤية أنسجة داخلية مقرفة "تلعي النفس" كتلك. "ميغت ميغت"، انتبهت على نفسها تردد الكلمة بصوت عال، بينما الممرض ينظر إليها مستنكرا، متمتما بلهجته البرلينية البشعة. نظرت في عينيه مباشرة وقالت له "احترم نفسك يا هتلر وإلا هطلع دين أبوك تاني"، فهز ذراعه من عند المرفق وقبضة يده المضمومة بمعنى أنهم "نكحوا الفرنسيين". فسكتت. نفس الإشارة في محافظة فرنسا تعني أنهم أقوياء. والأمانة لله هم كانوا أقوياء.

لم يرض أي من الأطباء الذين ترجتهم زوان أن يعالج المصاب. وآخرهم أمرها بلهجة مستفزة أن تتوقف عن "لعب هذا الدور" وأن تعيش بما يناسب مستواها. فأخذت المريض وعادت به إلى الطابق الأرضي وهي مكسورة الخاطر. لم تنجح في لعب الدور. حتى هذا الدور لم تنجح في لعبه. حتى هذا الدور لم يعطوها فرصة لكي تلعبه. أعادته إلى حجرة الحوادث، واكتفت بالغسيل والكمامات حتى لا يفقد المريض مزيدا من الدم. ثم خطر لها أن تفعل له معروفا أخيرا. خرجت من المستشفى وقطعت جسر المريديان إلى بائع الفاكهة في جاردن سيتي. طلبت منه أن يزن لها برتقالة، فنظر إليها بعينيه الناعستين باحتقار، قال لها إن البرتقال خلص، فأشارت إلى أقفاص البرتقال المكدسة إلى جانبها وقالت "ولا حتى ثلاثة كيلو؟" فقام الرجل ووزن لها ثلاثة كيلوجرامات. كلما وضع برتقالة قبل يدها وقال طبعا يا هانم، أي خدمة يا هانم، أتودين يا هانم أن آخذهم إلى سيارتكم المصون؟ أخبرته أنها بلا سيارة وأنها تعمل في مستشفى

قصر العيني. أخذت منه كيس البرتقال، أخرجت منه برتقالة واحدة وتركت الباقي، ثم أعطته الثمن بنقود كانت معها من محافظة واشنطن، نفس عدد جنيهات القاهرة ولكن بدولارات واشنطن. ثم بصقت عليه وهي تبتسم، فابتسم لها وهو يمسح البصاق بلسانه ويقول "ميغسي، ميغسي، مدام. لا حاجة لأن ترهقي نفسك بالبصاق، خيرك سابق ومغرقنا."

في حجرة الحوادث أتت بورقة بيضاء كبيرة وصنعت منها طائرة. وكتبت على أسفلها "يومان ريليف – إغاثة إنسانية". ربتت على وجه المريض، مسحت عليه، ثم قربت البرتقالة من أنفه ليشمها. فتح عينيه، رفعت البرتقالة ليراها، ثم وضعتها في الطائرة ومررتها بيدها من فوقه وهي تقول بفمها "زوووووووو، زووووووووو"، لفتها في الهواء عدة مرات حتى أدركت أنه رآها ورأى المكتوب عليها وبان الشوق في عينيه المتعبتين. هنا أسقطتها على الترولي إلى جانب البرتقالتين السليمتين. ثم التفتت خلفها. كان زملاؤها مصطفين صفا واحدا، من بينهم أطباء مقيمون لا تعلم متى نزلوا من الطابق السابع. صفق الجميع في نفس واحد، ثم ضربت فلاشات كاميرات من عدة جهات. صورة لها وهي تتقبل التحية بتواضع، صورة لها وهي تمسح على وجه المريض، ثم صورة ليدها وشفتا المريض تطبعان عليها قبلة. الصور الثلاث عُلِّقَت على "حائط الساعة الثالثة بعد منتصف الليل" الذي لا يراه ولا يعرف مكانه إلا القليل.

كانت الساعة الثالثة وخمس دقائق فجرا. ولأن الليلة كانت عصيبة

ومشحونة فقد قررت للتو أن تذهب لزيارة سنغ سونغ، صديقها الذي تعرفت عليه منذ فترة وجيزة والذي لم ترتم في أحضانه أبدا.

مب: 5 أس

يرى جماعة الفك والربط الممددون على بطونهم أجساما طائرة تحوم حول البرج، شكلها يشبه قنديل البحر، أرجلها الطويلة تخرج من جوانبها وتنتهي بأقماع في مؤخراتها. أصحيحة الأساطير التي تتحدث عن وجود كائنات غريبة في الماحول (هكذا يسمي أهل برج الأسد الفضاء)؟ أثمة برج غير البرج؟ وهل يزأر ذاك كما يزأر هذا؟ وهل يمكن لذاك أن يعطس فيُتوِّههم في الماحول كما يمكن لهذا؟ وهل لدى أهل ذلك البرج بساريا أخطبوط كما لدى أهل برج الأسد بساريا أخطبوط؟ وهل لديهم شروح فيها من الحكمة ما لشروح برجهم؟ هل سحب البرج نفسا فأتى بكائنات جديدة إليه ليستبدل بأهله آخرين يكونون أفضل منهم؟ هل هكذا وجدوا هم أول ما وجدوا في "الزمن المجهول"؟

مهما يكن من أمر ذلك الخطر، أدرك كل منهم ما أدركه حارس السر، أنظمتهم الدفاعية المتداعية لن تقوى على المواجهة لو كان في الأمر حرب. لم يجربوا من قبل حروبا من هذا النوع. حروبهم في القرون السابقة كانت كلها داخلية، شروطها بأيديهم، وخصومهم فيها باختيارهم، وتوقيتاتها بمعرفتهم. وضد من؟ مجرد جيوب من "الريفيوساليون" في بعض المناطق الجبلية هنا وهناك. برج الأسد تعود على الأمان. طوال فترة حارس السر الحالي لم يجتمع بجماعة الفك والربط اجتماعا استثنائيا إلا في مرات معدودة. مرة بسبب تمرد من شخص واحد كتب شعرا يشكو فيه رئيس بلديته، ومرة بسبب شخص قرأ كتابا من خارج قائمة كتب المكتبة المحلية، ومرة لأن مجموعة كبيرة من الأشخاص تجمعوا في وقت في غير الأوقات المسموحة. وقتها كانت الاجتماعات تعقد لاتخاذ قرار حول رد الفعل وحجمه، هل يعتقل أم يترك، وتحسب المصالح والمفاسد في الحالتين، وتكتب مذكرات وقد تعقد محاكم ويوضع النظام على أهبة الاستعداد.

بينما الجميع مشغولون بما يرونه كان حارس السر مشغولا بسؤال واحد: الآن، وقد حانت لحظة الحقيقة، كيف يتصرف؟ عليه أن يقرر من من هؤلاء يجب أن يبقى؟ هل يقنعهم واحدا واحدا بالاستقالة، أم يتحدث إليهم جميعا وينبئهم بخططه؟ لو تحدث إليهم جميعا لأخذتهم حمى الجماعة ولرفضوا. بل لو وافقوا جميعا لكانت أزمة أيضا، لأنه سيعود ويبقي على واحد فيهم، وسيبدو الموضوع وكأنه مؤامرة. لا بد

أن يبقي على أحدهم لأنه يريد الولاء، لن يستطيع استبدال جماعة الفلك والربط كلها والمجيء بمجموعة جديدة تماما لم يتعامل مع أي من أفرادها من قبل.

يتفرس حارس السر الوجوه على الشاشات. ويبتسم بسخرية وهو يرى وجه ديوكاليون. يعلم تماما ما يفكر فيه. أستاذه الراحل روح الأسد غاليلياني اقترح تطوير قدرات البرج بحيث تستطيع استكشاف الماحول، لكن ديوكاليون عارض. ديوكاليون الرحالة عارض استكشاف الماحول. طبعا قال وقتها إنه عارض اقتناعا بما جاء في كتب الشروح من أن استكشاف الماحول لا طائل من ورائه، لأن من يخرج إلى الماحول سيفزع حين يرى الكائن البرج وسيهلك ولن يعود بأي حال. لكن حارس السر والجميع يعلم أن السبب الحقيقي في المعارضة كان طمعه في أن تظل ميزانية الاستكشاف موجهة كلها إلى الداخل، إلى رحلاته البحرية.

"حكمته" تلك ضمنت له مكانا في جماعة الفلك والربط بمجرد أن مات روح الأسد غاليلياني، وحتى الآن، بعد أكثر من ثلاثين سنة، لم يخرج البرج إلى استكشاف الماحول. بل اكتفى كحل وسط بتخصيص ميزانية لعدد من التليسكوبات العملاقة. والمفارقة أن هذه التليسكوبات هي التي كشفت الخطر الذي يتعرض له البرج حاليا. هل يتخلص حارس السر من ديوكاليون بدعوى عدم الكفاءة إذن؟ التخلص من ديوكاليون سيساعده. لقد عزم أمره على الاحتفاظ بواحد من الأعضاء الأربعة الجدد – ديوكاليون، عرمان، أوفيد أو أكيليس. قرار استبعاد ديوكاليون سيسهل عليه الاختيار.

لكن هذا سيكون استبعادا سياسيا. لا يفضله حارس السر كثيرا. لماذا لا يستبعده قانونيا؟ خبرته علمته أن هذا دائما الخيار الأفضل، قرار يأتي من القضاء، بعيدا عن السياسة وتأويلاتها. ربما يحاكمه في قضية الفيضان الذي ضربه هو ورفاقه في جزيرة نائية لكن ديوكاليون نجا بأسرته وترك البحارة يغرقون مع أسرهم. لا تزال صور كاميرات المراقبة موجودة حتى الآن. لو أذيعت سينقلب الناس ضده. سيتألمون بلا شك لمنظر الأطفال وهم يصعدون إلى الشجر على ظهور أمهاتهم، ثم وأمهاتهم يلقين بهم إلى صخرات أعلى وقد أغرق الماء الشجر، ثم وهم يستغيثون بأيديهم الصغيرة وحناجرهم الحادة إذ يوشك الماء أن يغرق صخورهم، بينما ديوكاليون وأسرته سالمون في غواصة الإنقاذ المحكمة. سيتألم الناس لمنظر الرجال وهم يحاولون أن يهربوا على قوارب خشبية ثم -حين توشك أن تنقلب- يرفعون صغارهم إلى طرفها الأعلى في محاولة أخيرة لإبقائهم على قيد الحياة. سيتألمون لمنظر أصدقاء كانوا قبل دقائق يساعدون بعضهم بعضا بكل ما أوتوا من قوة، يحتمون تحت خيمة واحدة ينقلونها من صخرة إلى صخرة أعلى ظنا أن الماء سيتوقف عند حد معين، ثم هاهم إذ اشتدت وطأة الفيضان يرفسون بعضهم بعضا بالأقدام ويطعنون بعضهم بعضا بالسكاكين لكي يضمنوا لأنفسهم مكانا على قاربٍ غرق كل أمثاله أمام أعينهم قبل لحظات. لقد كانت مشاهد لا يتحملها بشر. ديوكاليون نفسه أوشك أن يخرج من الغواصة لكي ينقذ رفاقه، وابنه خرج من الغواصة فعلا وفضل أن يموت وسط الرفاق. لا شك أن إذاعة هذا الفيديو سيكون كفيلا بالقضاء على سمعة ديوكاليون.

لكنها ستدين حارس السر أيضا. هو الذي أرسل إليه غواصة النجاة وهو الذي أمره بأن يأخذ أهل بيته فقط لأنها لن تتسع لكل البحارة الآخرين. وهو الذي اتفق مع ديوكاليون على تأليف قصة عن هؤلاء البحارة تبرر للناس المصير الذي وصلوا إليه. وكيف أنهم رفضوا توسلات ديوكاليون بأن يصعدوا معه إلى الغواصة وأنهم سخروا منه واختاروا البقاء على الجزيرة. وهذا عيب القضاء. يفتح باب القصص على مصراعيه. قد يتدخل حارس السر فيمنع القصص من الاكتمال، لكن القصص غير المكتملة تحض على التمرد، وتحض على الفوضى، وتحرض على الخيال، والخيال أخطر أعداء الاستقرار. لن يفيده موضوع القضاء هذا. لأن ديوكاليون لن يسكت.

ربما الفضيحة. الفضيحة أفضل. لا الجدل السياسي ولا التلكؤ القضائي.

قبل سنين صوره أصغر أبنائه، سخنين، وهو عار، ونشر الصور على الإنترنت. لقد كانت الفضيحة كفيلة بأن تقضي على سلطته وسط البحارة. والفضيحة هنا بالنسبة لأهل برج الأسد هي العري لا شيء آخر. العري عند أهل برج الأسد يحظى بوضع خاص. فهم ينفرون منه إلى أبعد حد. وكتب الشروح تحاول أن تفصل السبب لكنها كالعادة لا تفسره تماما، وإنما تنقل مزيدا من القصص التي تؤكد حتمية النفور منه. هناك إشارة واحدة في أحد كتب الشروح إلى أن الكتب المحروقة أشارت قديما إلى ارتباط العري بالجرثومة التي يخشاها أهل برج الأسد، ربما لأنه يظهر فتحات الجسد - الثغور.

حين فعل سخنين هذا، استخدم حارس السر سلطاته الخاصة وقضى

بنفي جنين أحد أبناء سخنين إلى خارج بلد أبيه، ومنعه هو وعائلته من الرجوع إليها مرة أخرى إلى الأبد. نفاه إلى بلد في برج الأسد مخصصة للمنفيين، اسمها بلابلا. سبب التسمية أنها موطئ المنفيين الذين يتحدث كل منهم لغة المكان الذي جاء منه، ولذلك فإن الوافدين يظلون فترة لا يفهمون لغة أهل البلد، ويصبح كلام واحدهم إلى الثاني ليس أكثر من هدر في هدر. كان القرار غريبا. في ظاهره رغبة من حارس السر في أن يحرق قلب سخنين على أحد أبنائه، كما احترق قلب أبيه منه، ويبقيه طوال عمره متذكرا ما فعل فلا يعود إلى هذا الفعل المهلك أبدا، ويضرب به المثل أمام غيره. ومن ناحية أخرى فإن أبناء جنين ادعوا بعدها أن حارس السر فعل ذلك انتصارا لأبناء أكيليس، الذي كان بينهم وبين أبناء جنين بشكل خاص نزاع حول قطعة أرض في بلاد وازعان. وأن ذلك هو السر في أنه حمَّل أباهم بالذات وزر فعل لم يرتكبه. لا كان اختيار المعاقب عشوائيا ولا كان نوع العقوبة عشوائيا. باقي أبناء سخنين صاروا من يومها يدهنون باللون الأسود لتذكر ما فعله أبوهم.

ديو كاليون ظن ظنا آخر. أن المبالغة في عقاب جنين ابن ابنه سخنين هي عقاب له هو، نوع من الشعور بالذنب من ناحية حارس السر إزاء ما حدث مع رفاق السفينة. وإذ لا يستطيع حارس السر أن يعبر عنه مباشرة فإنه يعبر عنه بهكذا طريقة. ولهذا اختار أن تكون العقوبة غير منطقية وبحق أحد أبناء سخنين وليس سخنين نفسه، إثباتا للقدرة المطلقة، وبانتفاء حاجة حارس السر إلى سبب لكي يفعل ما يفعل، أو يبرر ما يفعل.

لو عاند ديوكاليون سينشر سيديهات له وهو عار، وسوف يجبره، لا على الصمت فحسب، بل على التنازل عن توكيل تصنيع وبيع السفن الذي يملكه. يتمنى حارس السر رغم ذلك ألا يضطر إلى هذا.

مب: 6 شر

ذهبت زوان إلى سنغ سونغ، وطرقت على الباب. حين فتح لها وضعت يدها في جيبها وأخرجت له شيئا أسود يشبه الصندوق، أصغر من كف اليد. رفعته أمام وجهه ثم قالت له، "ألا تستحي من نفسك، بتهاديني براديو ميكملش سنة الضمان؟!" ابتسم سنغ سونغ، تناول ريموت كنترول ووجهه نحو خزانة بلاستيكية في جانب الشقة. ضغط على زر فيه فانفتح الباب أربعة مربعات في أربعة اتجاهات، وخرج ديك يقول كوك كوك كوك وكاكاااااه. نظر إليها مبتسما وقال إن الديوك الصينية تصيح بهذه الطريقة. أخذها من يدها نحو الخزانة وأشار إلى أحد الأرفف وطلب منها أن تختار ما تشاء من الراديوهات. حين عجزت عن الاختيار، أتى لها من رف جانبي بجهاز يقارن بين السلع ويختار منها الأفضل. شغلته ومرت

به ببطء على الراديوهات فاختار لها واحدا. نظرت إليه وقالت: "سنغ، أنا جاية عندك علشان أدخل الحمام."

"يعني أجهز العازل الطبي؟" رد سنغ مباشرة. تعلم من خبرته في المنطقة الشرقية الوسطى أن الفتاة حين تنوي في نفسها الذهاب إلى بيت شاب لتنام معه فإنها تقول في البداية إنها ستذهب إلى هناك لكي تذهب إلى الحمام. المنطقة الشرقية الوسطى في الحقيقة خالية من الحمامات العامة. كان هذا أول ما لفت نظره حين جاء في زيارته الأولى. فسر ذلك لنفسه في البداية بأن الجو حار والأمطار قليلة مما يجعل الأجسام عادة تعاني من الجفاف. لكنه حين رأى الزحام قال لنفسه إن تلك ربما تكون سياسة لإجبار الناس على العودة إلى بيوتهم وعدم البقاء في الشارع طويلا. فكر أيضا أن هذا ربما يكون لأسباب دينية حتى لا يشرب الناس كثيرا خوفا من الحاجة إلى دخول الحمام وبالتالي يصيبهم الجفاف وتتركز في جسمهم السميات ويموتون سريعا. أهل هذه المنطقة متدينون ولا يطيقون انتظار لقاء ربهم.

طلبت زوان منه أن يطيل الكلام قليلا ولا يسألها هكذا مباشرة. ربما ينتظر حتى تخرج من الحمام ويسألها إن كانت لا تزال تريد أن تدخل الحمام مرة أخرى. أو ربما يدخل إلى غرفته ويضع بعض البارفان ويغير ملابسه إلى ملابس أخف، وحين تخرج يقول لها إنه غير ملابسه لكي ترى من جسمه أكثر، ووضع بارفان لكي تنجذب إلى رائحته. يجب أن تكون "مهذبا وغير مباشر يا سنغ". لكن ما دام حدث وتحدثا فقد أخبرته

أنها تريد أن تجري مسحا أخيرا على أجهزة التناسل الخارجية قبل كشفها للزبون الأول. فهو الزبون الأول. فعلا هو الزبون الأول. ولكنها بما أنه الزبون الأول فلن تحتاج معه إلى العازل.

"لا، لن نحتاجه،" قالت له وهي تلتفت إلى الخلف، "لا أزال أريد أن يرى زوجي الدم فيحترمني."

"ولماذا قررت استخدام الحمام عندي إذن؟" سألها سنغ. "لماذا لم تدخلي في المستشفى؟"

"يا ابني قلت لك هنتعرى ونعمل احتكاك ثقافي شامل، ابعد عن اللي بالي بالك واعمل ما بدا لك، سبع سنين في محافظة مصر ولسه مابتفهمش علينا."

لا يفهم؟! وهل هذا كلام؟! طبعا يفهم. الريموت كنترول. خزانة أخرى مرسوم عليها جسم الإنسان في وضع تشريحي وعليه أسهم بأسماء العضلات والأجهزة الداخلية والخارجية. انفتح بابا الخزانة إلى اليسار واليمين. أخذها من يدها وأخرج لها جهازا صغيرا وقال لها إن هذا هو الحل. هذا الجهاز يعطي العريس ما يريد في ليلة الدخلة. استحلفته بالله، فأقسم ببوذا وكونفوشيوس وكل العظماء بأنه صادق. فأعلنت له أن المشكلة الآن حلت. عندها بعض تعب الضمير لكنها ستتصرف معه. لا داعي للقلق. فليأت بالعازل الطبي إذن، قررت زوان، "أو لو أن لديكم جهازا لإجراء اختبارات الأمراض المعدية وآخر لمنع الحمل دون آثار جانبية يمكن أن نستغني عن العازل." أخبرته أنها لا بد أن تعود إلى

نوبة عملها الليلية. ليس أمامها أكثر من نصف ساعة تقضيها معه. سألها إن كانت تقصد أنه يجب أن يبدءا على الفور ولا يضيعا وقتا، فأجابته أن هذا ما قالته تماما.

سألت نفسها وهي في الحمام إن كان الموضوع يستحق شغل البال أم من الأفضل أن تنتظر، وأجابت نفسها بأنه حتى لو كان زفافها غدا فسوف تفعل هذا نكاية في ذلك الحيوان الذي لم يسعف الرجل الصعيدي. حين خرجت من الحمام قالت لسنغ سونغ إنها لم تفعل ذلك من قبل فعليه أن يكون متأنيا. وسنغ سونغ قال لها، بوك باك بلك ياااااا. ففهمت أن هذا معناه "طبعا" بلغة محافظة الصين الكبرى. لم يستمر الموضوع طويلا. وحين انتهى سنغ سونغ وقام عنها سألته هل هذا كل شيء؟ وأجاب سنغ سونغ بنعم. فامتعضت وقالت إنه جميل لكن عمره قصير.

في طريقها عائدة إلى المستشفى، فكرت في الموضوع فنال رضاها- إيجابياته أكثر من سلبياته. فتحت حقيبتها ونظرت داخلها فشعرت بالاطمئنان حين رأت الجهاز. لا تزال في فترة الخطوبة ولا تزال أمامها فرصة لإنجاز النصيحة الغالية: أن تسرق جملا ما دامت قد سرقت. حددت لنفسها بتلقائية مجموعة من القواعد الفرعية: ستذهب إلى سنغ سونغ ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وستذهب إلى غيره من الغرباء في محافظة مصر. هؤلاء لا خطر منهم. لكنها لن تمارس الجنس مع مواطني محافظتها أبدا ولو كان عضوها التناسلي يصيح في الصباح فوكوفوكو وفي الليل نوكونوكو. القاعدة الثانية أن لا تضيع وقتا في انتظار الأفضل، بل قد

يكون من الأفضل أن تترك الأفضل وتأخذ الأقل فضلا في هذه المرحلة. القاعدة الفرعية التالية هي ألا تحاول تقويم نفسها، لأن هذا سيدخلها في متاهة نفسية تعتقد أنها داخلية لكنها لن تكون كذلك. ستفعل وإن لم تشأ أمورا ظاهرة للآخرين، نعم، هذه الأمور المشهورة كالمبالغة في الحديث عن أخلاقها التي لم يدركها أحد قبلها، كما المبالغة في لوم الآخرين من حولها وإسداء النصح لهم بمناسبة وبدون مناسبة - باختصار ستتحول إلى متعصبة متزمتة حتى لو لم تقصد ذلك.

تأتي إليها الأفكار بسهولة وهي تسير. بعد عشر دقائق، بالتحديد وهي تعبر جسر الميريديان مرة أخرى عائدة إلى المستشفى تمنت لو كانت بعدها هناك وكان سنغ سونغ يعاود التحسيس على جسمها. حين وصلت إلى المستشفى تمنت لو أنه كان يدخل فيها مرة أخرى، أمعنت النظر في خراطيم القسطرة، وأنابيب الاختبار الفارغة، في مكابس الحقن، وفي قفازات المطاط وهي تنتصب فوق أصابع تلج فيها - في القفازات طبعا. بحلول الصباح كانت أعضاؤها الجنسية تنبض بالحيوية وترتجف متلامسة ومتباعدة كمناقير طيور ذكرتها خيوط النهار الأولى باللون الذهبي لحبات القمح فغردت. أرادت أن تعود إليه، لكنها استحت، وأجبرت نفسها على العودة إلى بيتها. تقلبت في السرير ترفس برجليها كجحش يبحث عن وليفه الجحش الآخر الوحيد في الحديقة. حكت ظهرها في ملاءة السرير قبل أن تتقلب، أحست باحتكاك نسيجها مع كل جزء من جسدها المترسخ وهي تتقلب، كما أحست بكل التصاقاته التي تنفرج ثم تعود لتلتصق، بكل بروزاته التي تنضغط ثم تتحرر. مرغت رأسها في الوسادة.

وضعت وسادة أخرى بين فخذيها، عصرت جسم الأخرى بقسوة الشوق، وانسلت على طرفها برهافة لمسات الوداع الأخيرة. أحست أنها تريد أن تقبض على جسمها لكي لا يدعها ويمضي، أن تزمه كي يبقى على طراوته ولا يتسطح، أن تتلفف به كي يبقى على دفئه وتبقى على دفئها. مدت يدها وتحسست أعمدة الخشب الأسطوانية الملساء في مسند السرير الخلفي، قبضت بيدها اليمنى عليها، تحسستها صعودا وهبوطا، ثم أرخت القبضة قليلا وتحسستها في اتجاه نصف دائرة أفقي. أحست بتيار ينبع من بين ساقيها، يتسرب إلى جسدها، يتوقف عند صدرها. يصعد إلى رقبتها. ثم يصلب رأسها وساقيها وقدميها قبل أن يخرج من حلقها. أطلقت عدة صرخات ثم بدأ جسدها يسترخي ببطء. ثم نامت.

مب: 7 أس

سيكون من الصعوبة بمكان إبلاغ عرمان بالاستغناء عن خدماته لو قرر حارس السر ذلك. علاقة عرمان به بدأت منذ سنين بعيدة. كان عرمان شابا لا يزال، كثير الهجرة والترحال. من أرض آبائه في بلاد قوزي، التي في منطقة الفخذ، رحل إلى بلاد شوبان، في منطقة الرقبة. لكنه لم يرتح هناك، ولا شعر بأن أهل شوبان يرحبون بالغرباء. والترحيب لا علاقة له على الإطلاق بالوفرة، لا بالسعة ولا بالضيق، إنما له علاقة بالإحساس بأنك في بيتك. وهنا فإن الإنسان ربما يترجم عدم رغبته في محيطه بأنه عدم رغبة من المحيط فيه. وعرمان حين ضجر من بلاد شوبان ارتحل جنوبا جنوبا إلى بلاد إست، التي تقع في مؤخرة البرج، وهي بلاد قليلة الخير، بشعة الرائحة، كثيرة المشاكل، لكنه عمر فيها لفترة لا بأس بها. وهناك دشنت علاقته بحارس السر.

عرمان اصطحب إلى هناك زوجته ليدي ست، ولأنه يعرف طباع بلاد إست فقد أشاع لدى وصوله أن ليدي ست أخته. وفعلا، بمجرد أن سمع حاكم البلد بجمال أخت الغريب القادم استدعاه، وأعرب له عن رغبته في استضافته وأخته في قصره، حيث صارت "الأخت" إحدى محظياته. ولم يعترض عرمان على الإطلاق، بل انشغل خلال تلك الفترة بتنمية ثروته من عطايا ملك إست، حتى صار له من الخير الوفير، وقرر أن يهاجر مرة أخرى إلى بلد يستطيع أن يستمتع فيها بهذه الأموال بدلا من قضاء بقية حياته في هذا البلد العفن الرائحة الشحيح المباهج. ولما علم ملك إست بهذا أخبر عرمان بأنه يستطيع أن يهاجر كما شاء على أن يترك ليدي ست، وأنه سيجزل له فوق ما لديه عطاء إضافيا، وأعطاه امرأة استقدمها سابقا من بلاد جينيتاليا اسمها كهرمانة على سبيل الهدية، لكن عرمان قال للملك إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك لأنه يريد ليدي ست معه. ألح الملك واعتذر عرمان. لكن الملك لم يقبل الاعتذار ولم يعتبره كافيا ولا مقنعا. واضطر عرمان في الأخير إلى مصارحة الملك بحقيقة أن ليدي ست زوجته. وهنا اغتاظ الملك غيظا شديدا لأن عرمان خدعه ولم يقل الحقيقة. إنزيمات الغضب لدى الملك تحركت فكسر أواني الفخار حوله وأتى بفأسه وأراد أن يكسر كرسي العرش، وإنزيمات عرمان تحركت ففكر سريعا، ثم عرض على الملك أن يحتكما إلى حارس السر. حارس السر؟ ضحك ملك إست من عرمان. ثم قبل التحكيم استهزاءً به. وهل سيترك حارس السر أمور البرج ويتفرغ للنظر في قضية واحد من العامة؟!!

سلطة حارس السر في البرج سلطة مطلقة. لا شيء يقف أمام أمره، ولا يجرؤ أحد على اقتراف نهيه. لكن الناس لا يفكرون فيه كثيرا. ولا يكادون يذكرونه. الناس منشغلون عادة برموز السلطة القريبين منهم. تذكُّرُ عرمان لحارس السر أسعده، وكسر عنه وحدة وعزلة لا يخطران على بال أحد. وأرضى عنده رغبة في احتياج الناس إليه وتوفيره الحماية لهم، رغبتان يعتبر رعاياه أنه عنهما مستغن. استمع حارس السر إلى قصة الملك، ثم إلى دفاع عرمان. وهذا قال بشكل أساسي إنه فعل ما فعل لأن أهل إست مشهورون ببشاعة نسائهم وإنه خشي على نفسه لو منع عن ملكهم زوجته الجميلة أن يتعرض لشر، فقال نصف الحقيقة: أن ليدي ست أخته وهي كذلك. بينما سكت عن النصف الآخر، أنها زوجته أيضا. في البلد التي تربى فيها عرمان، قوزي، يسمح للأخ بالزواج من أخته طالما لم تكن شقيقة.

لدهشة عرمان وملك بلاد إست كليهما، فقد حكم حارس السر لصالح عرمان، بأن يخرج من بلاد إست ومعه زوجته وثروته لا ينقص منها شيء، بل والمرأة القادمة من بلاد الجينيتاليا التي أعطاها ملك بلاد إست لعرمان هدية قبيل معرفته بحقيقة ليدي ست. المخرج الذي استخدمه حارس السر لإرضاء الطرفين هو أن لا تكون هذه الثروة ثروة عرمان بل ثروة ليدي ست وأن يعتبرها ملك إست هدية مقابل ما تمتع به طوال السنوات الماضية. رضي ملك إست بحكم حارس السر، وما كان له من خيار آخر. وتحركت قافلة عرمان فورا إلى فوق، مرت بصحراء العصعوص ثم استقرت في بلاد وازعان. وعرمان لا يزال دهشا من تصرف حارس

السر معه، ودهشا بشكل أكبر لأن حارس السر منذ تعرف عليه لم ينقطع عن السؤال عنه، وعن إرسال الرسائل النصية، والإيميلات، والحديث إلى عرمان على الموبايل. وعرمان من جهته أجزل في طمأنة حارس السر إلى أنه رجله الموثوق، وأنه مستعد لأن يفعل أي شيء يطلبه منه حارس السر. وقد أثبت ذلك حتى الآن فعلا لا قولا فقط. ما من أمر أمره إياه حارس السر إلا وأنجزه. سيكون صعبا الاستغناء عنه. سيكون صعبا. ينظر حارس السر إلى وجه عرمان في الشاشة ويقرأ التعبيرات المرسومة عليه. لا بد أنه يتخيل نفسه شاحذا مدفعه الآر بي جيه وصاعدا إلى أعلى قمة في عموم برج الأسد وقانصا تلك الأجسام الطائرة لو رآها، أو على الأقل مدمرا مجساتها. وحين تسقط، سيفككها ويبيعها قطع غيار في سوق الخردة، الأجزاء التي تريدها مختبرات الدولة سيتعاقد على نقلها لها، ومن الأفضل الآن أن يبدأ جمع المعلومات عن الطريقة الصحيحة لنقل هكذا أجزاء لكي يجهز عطاءه.

حتى في لحظات الغضب والتصميم، لا تفارق وجهَ عرمان أبدًا ابتسامةُ إدراك الفرصة السانحة.

حياة عرمان، الرجل العصامي، هي التي حددت الفرق بينه وبين أكيليس، زميله في جماعة الفك والربط. فالأخير ولد لأب ميسور "ورث" منه المال، لم يتكلف في هذا إلا بعض الحيلة على أخيه الأكبر، والهرب من مكان إلى مكان. في علاقة حارس السر بأكيليس كثير من المودة، يعرف عرمان، ولكن بقدر ما فيها من غضب. أما عرمان فهو الجندي المثالي.

الذي ينجز بأي ثمن. إن كان المطلوب زوجته فليكن. وإن كان المطلوب الشجاعة والقتال فليكن. وقد قاتل في شبابه بجيش صغير جمعه من شوبان جيشا كبيرا أراد أن يهجم على مدينة ساكريبيس المجاورة ورده. ويومها استقبله ملك ساكريبيس بنفسه وأطعمه من الجاتوه الملكي وسقاه خمرا بيده. وهذا تكريم ما بعده تكريم. عرمان الجندي المثالي، الذي يضع الشجاعة في موضعها، والخضوع في موضعه. وهو، على عكس أكيليس، لم يتمرد أبدا على رئيس له. بل و لم يتمرد على زوجة.

وعرمان، على عكس أكيليس، ودود، وقريب من القلب. يستشير حارس السر في أمور شخصية لا يستشير فيها الإنسان إلا صديقا مقربا. حين طلبت منه ليدي ست أن يضاجع كهرمانة التي أتيا بها هدية من ملك بلاد إست لكي يكون لهما ولد استشاره. وحين حملت كهرمانة واشتعلت الغيرة في قلب ليدي ست وهربت كهرمانة من البيت استشاره، بل وتدخل حارس السر بنفسه لإقناع كهرمانة بالعودة، وضمن لها شخصيا مستقبل ابنها. ثم حين أراد حارس السر لعرمان دورا سياسيا في البرج أخبره صراحة أن مولد ابن له من زوجته الأصلية سوف يساعده كثيرا في تحسين ملفه، وتعهد له بأن يقدم له كل ما يحتاجه علاج زوجته، وأن يتكفل بهذا العلاج من الألف إلى الياء، رغم أن تقنية الـ "إن فيترو فيرتيلايزاشن" أو الإخصاب المعملي باهظة في برج الأسد. وقد أوفى بوعده وحملت ليدي ست بعد أن فقدت الأمل. و لم يكن ذلك إلا لتبدأ الزن في أذن عرمان بما لم يتخيله – أن يطرد كهرمانة وابنها الذي أحبه عرمان كما يحب أب ولده وأكثر، أكثر لأن الولد أظهر نجابة وشجاعة

وقدرات قيادية تفوق سني عمره العشر. هددته ليدي ست بأن تجرده من ثروته كلها. هذه الثروة، يعلم عرمان، ثروتها من أصغر حمل إلى أكبر قصر. ولم يكن إلى جوار عرمان من أحد يستشيره - ضامنا ألا يسمع تقريعا واتهامات بالجور وعدم الرجولة - إلا حارس السر. ومرة أخرى لم يخذله. وأشار إليه بأن ينفذ ما أرادته زوجته. مكتفيا لطمأنته بكلمة عامة قال فيها إن كهرمانة وابنها سيكونان بخير.

الطاعة المطلقة منفرة، ومضجرة، ومغرية بالامتحان. بها شيء مقلق للمطاع. شيء مريب. بينما التمرد - كتمرد أكيليس - فيه جاذبية وإغراء. فيه رغبة عارمة في التطويع. ثم ما المعجزة في أن يطيعك المطيعون، إن آية القيادة هي أن تطوع المتمردين، وأن تخرج من معدومي الرجاء أملا.

اتصل حارس السر بعرمان على هاتفه المحمول، قال له إن بينه وبين الانضمام إلى جماعة الفك والربط خطوة، "لكن من الخطوات ما لا يحسب بفارق المسافة بين القدمين، بل بفارق المسافة بين نقطة البدء ونقطة النهاية".

"مرني أجبك،" قال عرمان لحارس السر. بتلك الرسمية التي تفرض نفسها بمجرد أن يشعر طرف بأن ثمة مهمة ثقيلة تحوم حوله. أحيانا تعبر الرسمية عن نفسها بكلمات وتركيبات صعبة كتلك، وأحيانا بورقة وقلم يقتنصان مساحتهما من مساحة الفراغ الذي يفصل بين اثنين، وأحيانا بملابس تستغرق وقتا أطول في الارتداء، أو ذات ألوان تحتاج إلى تفكير قبل الاختيار. كل شيء لا يأتي تلقائيا، يأتي. الكلمات فقط تجد صعوبة في

المجيء إلى اللسان، وتتعثر في الدخول إلى المخ. حارس السر – قادرا على أن يقرب التلقائي من اللا تلقائي – استطاع أن ينطق و لم يستطع عرمان أن يستوعب. قال الجملة مرتين وعرمان لم يفهمها، فأعادها للمرة الثالثة:

"ستكون معنا في جماعة الفك والربط لو أرضيت الكائن البرج بفعل يؤهلك... تخيل أنك في حرب وقدم ابنك طعاما للكائن البرج."

حتى بعد المرة الثالثة، لم يستطع عرمان أن يرتب أفكاره أو أن يرد على حارس السر. فهم أن المشكلة لم تكن في أن يفهم ما قيل، بل في أن يستوعب ما قيل. أحب أن "يستعبط" فقال لحارس السر، "ولكنني بالفعل فعلت ذلك. ألم آخذ كهرمانة وابنها إلى الصحراء وأتركهما هناك."

"كان هذا جيدا يا عرمان،" قال حارس السر. "لكن،" تنحنح حارس السر وطلب ماء، "آسف، لقد كنت آكل وأنا أتحدث إليك ويبدو أن شيئا علق في حلقي." هكذا بدأ حارس السر الاستدراك و لم ينهه. سأل، "عن ماذا كنا نتحدث؟"

"عن كهرمانة وابنها، ابني البكر، الذي ضحيت به بناء على مشورتكم."

"آه، بل نتحدث عن ابنك، وحيدك الذي تحبه، ابن ليدي ست التي من عشيرتك ودمك."

لم يدر عرمان ماذا يقول. لكنه شعر فورا أنه لا شيء. لا شيء. لا يملك ثروته لأنها ملك لزوجته. لم يملك ابنه الأول لأنه من أصل لا يناسبه.

ولا يملك الثاني لأن من يملك يريد له مصيرا آخر. لكن العقول المبدعة تعمل في اتجاهات لا يتوقعها الفرد العادي. عرمان، كعادته إذ يرى فرصة سانحة في كل شيء، رأى ها هنا فرصة سانحة لأن يملك شيئا أخيرا، شيئا لا ينزع منه. لكي تملك بشكل حقيقي لا بد أن تتخلص من كل ما يشغل قلبك مما لا تملك بشكل حقيقي. العادية في صوت حارس السر، وعدم إلحاحه، أقنعا عرمان بأن هذا أمر عادي، وأن عظمته المتخيلة تنبع من سريته، ثم لن تلبث ضآلته أن تنكشف بمجرد إزاحة هذه السرية عنه. كم من وحيد مات بسبب عضة من كلب، أو صدمة من سيارة، أو حتى ميكروب لم يُطَعَّم ضده، وكانت موته بلا عزاء ولا تعويض، تافهة كما هي حقيقتها البرجية (يقصد الكونية)! كم من وحيد مات وأمسك أبوه، حين عملت إنزيمات الغضب، بمزهرية خزفية لكي يكسرها ثم فكر لبرهة وأعادها إلى موضعها و لم يكسرها. إن كان حارس السر يطلب منه ذلك وهو المقرب لديه، وابنه بمثابة ابن روحي له، فما باله بما طلب حارس السر ممن سبقوه إلى الالتحاق بجماعة الفك والربط. لا بد أنه اختبرهم بأقسى من هذا. وإن كان الآخرون نجحوا في الاختبار فهو بلا شك ناجح.

وافق عرمان، و لم يبد حارس السر رد فعل لهذه الموافقة، بل تحول إلى موضوع آخر وأكمل المحادثة كأن شيئا لم يحدث. وهذا طمأن عرمان أكثر وأكثر إلى صواب خياره، إلى أنه الخيار الطبيعي المعتاد لمن هم مثله، ليس مفاجأة ولا خارقا للعادة. في نهاية المكالمة قال له حارس السر إنه سيرسل له رسالة نصية بعنوان الموضع الذي عليه أن يأخذ ابنه إليه، وهو

موقع يدعى الشَفا، منه ينزلق الطعام إلى فم الكائن مباشرة قبل أن يتحول بعد هضمه وامتصاصه إلى جزء من دم الكائن الأعظم نفسه. لقد تحول شعور عرمان هذه اللحظة من الرغبة في سماع امتنان لتضحيته إلى الرغبة في التعبير عن امتنانه لاختيار ابنه لهذا التكريم الذي ما بعده تكريم – أنه سيصير جزءا من دم الكائن ولحمه وأنسجته. يا لهذا التكريم! يا لهذا التكريم!

بمجرد أن وصلت الرسالة أخذ عرمان ابنه على الفور. بالتأكيد لم يخبر أم الصبي بما يعتزم. سافر إلى محلة الشَفا بمساعدة مرشده الإلكتروني في البداية، ثم بمساعدة ثلاثة من الأدلاء التقى بهم في سفح جبل الشارب فأكدوا له أنهم يعرفون بالخبرة أكثر مما يعرف المرشد الإلكتروني. يعرفون مكان الصخور المكسورة، ومكان الانزلاقات المحتملة، ومواضع الممرات المهدة. كل هذه أمور، في بيئة جبلية كتلك، تتغير يوما بعد يوم وأحيانا تتغير في اليوم الواحد، بأسرع مما يستطيع المرشد الإلكتروني (الذي يعمل من خلال محطات منخفضة العلو متصلة بمركز معلومات لأن أهل البرج لا يستخدمون التقنيات التي تتطلب خروجا إلى الماحول) أن يواكب. وقد كان. صعد عرمان إلى قمة جبل الشارب، ووضع ابنه على منصة القربى، وقَبَّلَه، ثم عاد إلى الخلف ليسحب ذراع الخلود، وهو الذراع الذي يقلب ضلفتي المنصة إلى أسفل فينزلق كل ما عليها إلى جوف الأسد.

لم يعلم عرمان أن حارس السر حاول في تلك الأثناء الاتصال به على هاتفه المحمول لكنه لم يفلح لأن الشبكة كانت معدومة في أعلى الجبل.

كان يريد أن يثنيه عن فعلته تلك وأن يبلغه بأنه اجتاز الاختبار بمجرد رضاه وامتثاله، ولا أحد يريد منه أن يفقد ابنه. حدث ما حدث، وانتقل ابن عرمان إلى الخلود. وحدث ما حدث ولم تتقبل ليدي ست كل تبريرات عرمان، فطردته من البيت وجردته من ثروته. وحدث ما حدث واختير عرمان عضوا في جماعة الفك والربط. حدث ما حدث وصار حارس السر، رغم محاولاته، غير قادر على التخلص من بعض إحساس بالمسؤولية عما حدث، لكنه ترجمه إلى مزيد من التكريم العلني لعرمان. فضم إلى جماعة الفك والربط ابن أخيه أوفيد أيضا.

حدث ما حدث. لكن الآن لا بديل عن التصرف بحزم وحسم. ربما صار وجود أوفيد في جماعة الفك والربط، الذي كان يوما تكريما لعرمان، عاملا مرجحا للتخلص منه الآن. حتى لا يكون لأحد ذيول. ولا سيما أن أوفيد ذاهب في كل الأحوال. لم يفكر حارس السر لحظة في أن يكون أوفيد هو الشخص الذي يبقى.

طلب حارس السر من جماعة الفك والربط كلهم أن يكتفوا بهذا القدر مما رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم. أذاع عليهم ذلك في مايك موصل إلى السماعات العازلة التي يرتدونها. رفعوا رؤوسهم ونزعوا الأحزمة الجلدية عنها. طلب منهم حارس السر أن يناموا على أفكارهم وأن يعودوا إليه لاحقا بمقترحاتهم لكيفية مواجهة هذا الخطر الداهم. لم يخبرهم بشيء عن خططه هو للمستقبل.

هو أيضا سينام على أفكاره، وسينظر ماذا يرى.

مب: 8 شر

استيقظت زوان من النوم تشعر بالقرف من نفسها، ومن سنغ ومن كل من حولها. اتصلت به على الهاتف ووبخته لأنه استغل الظرف النفسي الذي كانت فيه و لم يتعامل كصديق حقيقي. لم تكن تتوقع منه هذا. كانت تتوقع منه أن ينصحها ويطلب منها الانتظار لكي تتأكد من مشاعرها وتختار بينه وبين خطيبها. كانت تتوقع منه أن يخبرها بالحقيقة، أن يقول لها إنه فعل هذا من قبل وإنه أمر وقتي سريع ولا يستحق كل هذه التضيحة التي قدمتها. قالت إنها تتصل به الآن لتبلغه بأن هذا لا يمكن أن يحدث مرة أخرى، وبأنها تحب خطيبها، وبأنهما يجب ألا يلتقيا مرة أخرى أبدا، وإن كان لا بد من اللقاء فليكن في مكان عام، وبأنه يجب أن يمحو رقم تليفونها من ذاكرة التليفون، ولو استطاع أن يمحوها هي شخصيا من ذاكرته فليفعل. سألته لماذا هي بالذات وهو يعرف فتيات

كثيرات وله علاقات بفتيات كثيرات. لماذا هي بالذات؟ لماذا هي بالذات؟ كررت السؤال أكثر من مرة حين تأخر في الرد. صمتت. ثم عادت إلى تكرار السؤال. لماذا هي بالذات؟ لماذا هي بالذات؟

في المرة الأولى التي ووجه فيها سنغ بهذا السؤال كان قادما إلى محافظة مصر منذ فترة وجيزة ولذلك رد بطريقة تلقائية على تلك السائلة بأن "ما حدث هو أننا في تلك اللحظة كنا أنا وأنت في مكان مناسب وشعرنا بالرغبة في فعل هذا." يا لهوي يا لهوي على ما فعلته فيه تلك الفتاة. صمتت، ثم صمتت، كأنها في تفكير عميق، بينما سنغ يقول لها "آلو، آلو، تفيدة، هل أنت أوكيه؟" بعد قليل قالت له تفيدة إنها بخير لكنها تفكر كيف ترد عليه وهو يشتتها. سكت سنغ مصغيا لفترة حتى جاء صوت تفيدة على الجانب الآخر: "أنا هقول لك كلمة واحدة بس يا سنغ واسمعني كويس".

رد سنغ بأنه كله آذان صاغية.

أخذت تفيدة نفسا ثم صرخت "آاااااااااااااااااااه". في لحظة فقد سنغ طبلة أذنه كأنه كان في محيط انفجار. ولولا المرهم الصيني "صمغ وي دان" الذي يلزق طبلات الأذن الممزقة لفقد سنغ السمع في أذنه اليمنى. لكنه بعد ذلك تعلم، أولا، أن يبعد التليفون عن أذنه بعد أن يضاجع في المنطقة الشرقية الوسطى، حتى لو كانت الفتاة تتحدث بلكنة باغي (باريس). فمن يعيش في المنطقة الشرقية الوسطى يجب أن يكون شرقيا وسطيا، وأولهم هو. وكان هذا مفتاحه إلى الإجراء الثاني. أن يحفظ بعض أكاذيب يرددها

في مثل هذا الموقف. وما صمته إلا لأنه لم يكن مستعدا، و لم يأت بالورقة حين رأى اسم زوان على الموبايل. أخطأ مرة أخرى حين اعتقد أن زوان مختلفة لأنها تتحدث بلهجة باغي وتعيش عادة هناك. أثناء الصمت كان جهاز البحث عن الورق يبحث له عن مكان الورقة. في درج الشفنيرة السفلي في غرفة النوم. ذهب إليه سريعا الآن وأتى بالورقة.

1 – أول شيء لفت نظري فيك في الحقيقة هو جمالك. الخليط بين ملامح المنطقة الشرقية الوسطى مع الأناقة والبساطة الغربية شيء لا يقاوم.

2 – لكن بعد أن عرفتك أصبحت مأسورا بشخصيتك. الخليط بين قوة الشخصية والحساسية شيء لا يقاوم.

3 – حين تحدثنا انبهرت بثقافتك. الخليط بين الثقافة الرفيعة والإلمام بالثقافة الشعبية شيء لا يقاوم.

4 – لا أعرف كيف تستطيعين أن تكوني مستقلة ولكن في نفس الوقت حنونة وتاتشي فيلي بهذه الطريقة. هذا الخليط بين الاستقلالية وحب الناس شيء لا يقاوم.

قرأ سنغ الورقة لزوان، فصمتت. ثم سألته ماذا سيفعل بدونها، لأنها لا تعتزم أن تترك خطيبها؟ مرة أخرى، سنغ الذي تعلم جيدا من دروس الماضي كعادة الصينيين رد الإجابة التي تعلمها تماما: "الله يعينني."

هع! تعلم من دروس الماضي؟ هذه زوان يا حبيبي. "هل تقول الله

يعينك؟" سألته، "هل هذا من قلبك أم مجرد تعبير تقوله؟ أنت لا تؤمن بالله سبحانه وتعالى أليس كذلك؟"

أسقط في يد سنغ و لم يدر ماذا يقول. كل هذا القدر من الأكاذيب أعلى من طاقته كصيني. قال لها إن الصينيين يؤمنون بوحدة الكون، فليكن الإله مجسدا في من يكون. هذه تفاصيل. أغراها هذا بدعوته إلى الإسلام. لم تكن زوان يوما متدينة، حتى الحجاب لم تفكر يوما في ارتدائه، ولا تتذكر أنها واظبت على الصلاة أكثر من ثلاثة أخماس يوم – المرات القليلة التي نوت فيها المواظبة لم تصلِّ المغرب ولا العشاء. لكن هداية شخص إلى الإسلام إنجاز له طعم مختلف. فيه شيء من النبوة، فيه شهادة شخصية بالقدرة على التأثير الجذري، نيشان بطولة كذاك الذي يناله الجنود الذين أنقذوا رفاقهم من براثن الهلاك. أسلم يا سنغ. ستشعر بطعم جديد لكل اختراع تخترعه. سيصير الاختراع البسيط فتحا، وكل كلمة "نعم" تسامحا، وكل كلمة "لا" موقفا بطوليا، وكل خطوة صناعة للتاريخ. أسلم تسلم يا سنغ، يعزك الله ويعز بك الله. كيف جاءت هذه الجملة الأخيرة على لسانها؟ لا تعلم. من أين؟ لا تعلم. هل كانت تنصت إلى خطب دون أن تدري؟ هل كانت تستمع إلى برامج دينية دون أن تدري؟ هل كانت إلى هذا القدر مؤمنة وعالمة بالدين دون أن تدري؟ لو أسلمت يا سنغ ستكون المسلم المثالي. لا تغير شيئا، فقط نيتك واعتقادك، فأنت إنسان جيد كما أنت يا سنغ لا ينقصك إلا هذا الشعار فوق قمة المبنى. ستكون أفضل مسلم عرفته. لربما تتغير حياتك وحياتي يا سنغ.

لم يكن هذا في قاموس سنغ، لكنه يحتاج إلى التفكير سريعا. تحسس أذنه وأبعد الموبايل قليلا عنها. صمت فترة ثم قال لها. هذا ليس قرارا سهلا فامنحيني فرصة للتفكير. وهي أكدت له أن هذا هو التصرف الصحيح. فقط تريد أن تبلغه بأنه، إذ سمع منها الدعوة إلى الإسلام، زال عنه عذر الجهل، فليأخذ الموضوع بجدية.

أغلقت الخط فشعرت أنها إنسان مختلف، وأن لحياتها غرضا محددًا وهي التي عاشت في باغي في حيرة، وهي التي كانت قبل يوم واحد تصغي إلى سنغ إذا تكلم، وقبل شهرين تصغي إلى رفيقاتها الباريسيات إذا تحدثن، وقبل سنة تصغي إلى ما تقرأه أو تسمعه على الإنترنت. صارت اليوم ذات رسالة، تنساب على فمها بسهولة وتحملها بشغف وتعبر عنها بعاطفة. الحديث على التليفون لن يفيد كثيرا في هكذا موضوع، لا بد أن ترى سنغ، لا بد أن تتحدث إليه وجها لوجه. على الفور اتصلت بسنغ وطلبت منه أن يلتقيا: "سأرتدي ملابسي وآتي إليك... مسافة السكة."

سنغ نسي المكالمة، لم يظن أنها جادة، اعتقد أنها مجرد دعوة وستنساها بعد حين، أو ربما كانت دعوة كفيلة بأن تريح زوان بخصوص ما حدث بينهما. حين أتت زوان كان منغمسا في تركيب جهاز يثبت في الأنف وعن طريق مجموعة من الاهتزازات يمنح نفس الشعور الذي يمنحه الحشيش، لكنه ليس مخدرا. يتوقع لهذا الجهاز نجاحا كبيرا في محافظة مصر وبعض محافظات المنطقة الشرقية الوسطى، لكنه قلق من منعه من جهة الرقابة ويريد أن يجد له يافطة يبيعه تحتها. أكثر ما يحب سنغ في العمل

أنه يقتل الوقت، نشأ طفلا بلا إخوة، لأبوين يخافان عليه من الخروج من حدود الشقة، تعبين لا رغبة لديهما في اللعب. كلما أراد أن يلعب اشتروا له "مكعبات ليغو" جديدة، حتى صار لديه منها ما يكفي لبناء سور الصين الصغير. ومنها تعلم الاختراع والابتكار. حاول أبواه أن يورثاه تقاليد التأمل الصينية، لكنه لم يتقبلها، فهي تضاعف من وطأة الوقت عليه، وساعة التأمل تمضي كعشرين ساعة من ساعات اللعب والفك والتركيب. الآن أيضا، لو كان يتأمل لتأخرت زوان إلى نهاية هذا الفصل، أو ربما إلى الفصل القادم، لكن مع انغماسه في الاختراع فوجئ بها تدق الجرس و لم تنته الفقرة بعد. صب على الاختراع قطرتين من مادة حافظة، ثم قام وفتح لها الباب.

"إيه دا، سنة لكي تفتح لي الباب؟" شرشحت زوان في وجهه وهي تدخل. كان منظرها غريبا عليه تماما. ترتدي قفازات كحلية وحذاء رجاليا أسود وفستانا غامقا. سألها لماذا ترتدي هذه الملابس، فقالت له إنها ترتاح فيها، "الحر" لا يطاق مع الملابس الضيقة. ابتسمت زوان في جوفها على جهله الذي لا يزال يعيش فيه، ثم انتقلت الابتسامة من جوفها إلى شفاهها وأسنانها، وقالت، "أنت لا تعلم يا أخي.. لا تعلم. تعالَ واجلس إلى جواري."

حين جلس إلى جوارها ونظر إليها ابتسمت مرة أخرى، ابتسامة أوسع هذه المرة، أوجفت سنغ الذي اعتقد أن ثمة شيئا غير طبيعي في ما يحدث. مدت يدها ووضعتها على كتف سنغ كأنما تقول له لا تخف.

لا تخف يا سنغ من ابتسامتي غير المبررة. لا تظن أنها مصطنعة، لست بلياتشو نسي مساحيق التجميل في البيت وعليه أن يحتفظ بفمه مفتوحا طوال الوقت بداع وبدون داع، لست سياسيا "كشريا" نبهه من حوله إلى أهمية أن يبتسم وإلا خسر الانتخابات فصار يبتسم بمناسبة وبدون مناسبة، أو يبتسم حين يجب أن يكون جادا وحازما مع المتحدث إليه. كما أني لست بالتأكيد عريسا مضطربا وهو يتقدم لطلب يد فتاة. لست هذا بالتأكيد لأنك لست فتاة يا سنغ. هل أنت فتاة؟ لا. فكيف إذن أكون عريسا يتقدم لطلب يدك. ثم إنني أنا فتاة، فلا يمكن أن أكون عريسا. فتاة ومؤمنة لكنني عصرية ومودرن. هل تريد دليلا؟ ادخل إلى المطبخ يا سنغ، هات لي طعاما وسوف آكل بالشوكة في يدي اليسرى والسكين في اليمنى. ادخل يا سنغ وهات الطعام، دون العصي التي تأكلون بها فأنا لا أجيد استخدامها. أنا فتاة يا سنغ. نفس الفتاة التي ظلت، وأنت أعلم الناس بذلك، حتى الأمس طاهرة كسطل من الحليب الأبيض. ومعك أنت فقط لا أحد غيرك تبسترت. انتقلت من حالة الطهارة الكاملة إلى حالة عهر سريع (كنت سريعا جدا يا سنغ أمس) مباشرة. لكننا نستطيع أن ننظر إلى الجانب المضيء من الموضوع: أن هذه البسترة سوف تحفظني مدة أطول مما كنت أظن. وستجعل صلاحيتي بإذن الله إلى نهاية العمر، لعلي بسبب ما حدث أمس سأموت أكثر صلاحا مما كنت قبل أمس، تماما كرابعة العدوية رحمها الله. تحت هذه الملابس يا سنغ نفس الفتاة التي كنت نائما عليها أمس، بل اليوم صباحا، النوبات الليلية حيرتني في حساب الأيام، نفس

الفتاة، نفس التضاريس، نفس الهرمونات، نفس الجمال، نفس الحنية، نفس الشخصية، نفس الاستقلالية، كل الأشياء الجميلة التي حدثتني عنها هي نفسها، مع فارق وحيد، أنها الآن ذات هدف.

ارتاح سنغ لأنها وضعت يدها اليمنى على كتفه، تمنى لو وضعت يدها الأخرى على كتفه الآخر لكي تتوقف عن تحريك أصابعها بهذه الطريقة المخيفة. تمنى لو ضمته لكي لا يرى وجهها بهذه التعبيرات الغريبة عليها. لكنه يعلم أن هذا طلب صعب في الوقت الحالي، وأن الأفضل له أن يتعامل معها كما يتعامل الإنسان مع الأطفال - أطفال الآخرين - أو المجانين. هكذا قرأ في كتاب صدر في محافظة بريطانيا لكنه لم يأت إلى هنا، أن أفضل طريقة للتعامل مع أهل المنطقة الشرقية الوسطى هي التعامل معهم كالأطفال. إذا صرخوا اعتراضا على مسرحية فلتفهم أن الأطفال يخافون من أشياء لا يدركها البالغون وأنه يجب ألا يطلب من الأطفال مواجهة هذه المخاوف والتغلب عليها بل "مطاوعتهم" و"أخذهم على قد عقلهم" ثم عليه إلهاؤهم بشيء آخر لتشتيت انتباههم، وإذا بكوا طلبا لشيء فأعطهم جزءا منه ولا تحول الموضوع إلى مباراة في العند، بل رسخ سلطتك، قرر القدر الذي يمكن أن يأخذوه أو الوقت الذي يمكن أن يلعبوه واطمئن إلى أنهم سيتركون اللعبة كلها خلال دقائق. لا تشعرهم أبدا أنك ند لهم، فقط أشعرهم بأنك الذي تعطي وتمنح ودعهم يلجأون إليك دائما. وحين يتحدثون أظهر لهم دائما أنك منصت لما يقولون وأجب إجابات صادقة ولكن على قدر أذهانهم، لا تُسَلِهم بالدخول في مناقشات أكبر من

قدرتهم على الاستيعاب. تذكر أنك كنت مثلهم. تذكر أن أهلك سجدوا لبشر باعتبار أن الإمبراطور من نسل الآلهة وكانوا مقتنعين بذلك. وإن طلبوا منك أن تفعل أشياء أعلى من قدرتك، فاعلم أن هذا يدور في مخيلتهم واسألهم إن كانوا يستطيعون أن يفعلوه ثم اجعلهم يجربوه في بيئة آمنة. حين لا يستطيعون، وقتها فقط سيقتنعون أن هذا أمر لا جدوى منه. قبل ذلك والله لو أتيت لهم بالطبل البلدي فلن تزحزحهم عن موقفهم شيئا، بالعكس ستخلق لهم لعبة جديدة سيحبون أن يلعبوها.

أحست زوان بشروده، فتوقعت أسئلته. أكيد يسأل نفسه يا ترى ما الذي تغير في زوان في هذه الساعات القليلة. لعله لن يستوعب أبدا أن الإنسان قد يجد نفسه في لحظة، لحظة إشراقية تنسف كل ما سبقها، وتمهد الطريق للآتي الجميل، الطري، السلس، اللدن. لدنة هي لا تزال، وطرية، وجميلة. سلسة؟ لا تعلم. حسب تعريفه لكلمة سلسة. إذا كان يقصد سهلة فهي ليست فتاة سهلة. أما إن كان يقصد إيزي غوينغ أو لينة الجانب فإنها كذلك. حتى السكس. لا تزال تريد جنسا. مخطئ لو فكر أنها صارت "معقدة". والفارق بين الحلال والحرام في الجنس دقيق، ورقة بيضاء وبعض الحبر. "أكيد أنك تسأل نفسك إن كنت ستستطيع أن تتمتع بالجنس معي مرة أخرى أم لا؟ نعم ستستطيع. الموضوع بسيط."

في الحقيقة كان هذا أبعد شيء عن تفكير سنغ في تلك اللحظة. لا يزال يفكر في تلك الورطة وكيف يخرج منها، والآن وجد ضالته: "تعالي أرك الاختراع الجديد الذي اخترعته."

"نعم بالتأكيد،" قالت زوان وعلى وجهها نفس الابتسامة، "أنا بالتأكيد لا أزال مهتمة باختراعاتك، وأحثك على مواصلة الاختراع دون كلل أو ملل."

سارا معا إلى غرفة المكتب. أخرج سنغ الاختراع، وهو على هيئة لاصق طبي كالذي يستخدم لجروح الأصابع لكنه يلصق في مقدمة المنخار، كذلك اللاصق الذي يستخدمه لاعبو الكرة لتحسين التنفس. في الواقع هو تطوير للفكرة، لأنه يحفز الدم في هذه المنطقة عن طريق مادة فيه لكي يصير أكثر ميلا لحمل الأكسجين، وهذا ينشط الدورة الدموية ويعطي شعورا بالحيوية ثم السعادة والإحساس بالقوة والقدرة على قيادة الأفكار، ملاحقتها أو تجاهلها، أو ترتيبها في أشكال أجمل من المعتاد والنظر إليها من زوايا مختلفة عن المعتاد. وقولبتها في قوالب مختلفة عن المعتاد. كل شيء يصير مختلفا مع هذا الاختراع. لكن أهم ما فيه هو تحرير الإنسان من الضوابط والمحددات لكي يعبر عن نفسه.

مد لها سنغ الاختراع، قلبته زوان بين يديها وسألته ما هذا فشرح لها، وأخبرها أن اسمه المؤكسِج. ضحكت زوان وذكرته بأنها طبيبة وتعلم أن هذا "الاختراع" موجود في الأسواق منذ عقود. ابتسم سنغ. طلب منها أن تلصق البلاستر على عظمة أنفها.

"أوكيه، ماذا تفترض أن يفعل؟" سألته. فشرح لها أن هذا الاختراع قادر على مساعدة الإنسان على التعبير عن نفسه. ولا، ليس مخدرا. أجابها على تساؤلها التالي.

ألصقت زوان البلاستر، ثم ابتسمت بسخرية. وأشاحت بيديها الاثنتين ورفعت كتفيها ساخرة. لا يفعل شيئا. لا تشعر بشيء على الإطلاق. أشار لها سنغ أن تستريح ولا تدخل في معركة لا فائدة منها مع الاختراع.

بربشت زوان بعينيها، "الواد سنغ سونغ طلع بيعرف يقول قصايد." قالت لنفسها. جلست على الكنبة وأصغت إليه. لكنه لم يكن ليقول شيئا آخر. لقد أوجز فكرته في كبسولة. هذا مستهدفه دائما. إنجاز الأفكار في كبسولات، إيجاز العلاقات والصلات بين الأشياء في معادلات رياضية. أرادت زوان أن تفعل مثله. قالت له إنها تخشى من الاعتراف بأن ما فعلاه أمس، أو اليوم صباحا، كان جميلا، وإنها أرادت أن تفعله مرة أخرى. ثمة شيء مريح للنفس حين لا تستمتع، ربما. أو لنقل ثمة أسئلة لا نستطيع أن نتجاوزها حين نستمتع:

1 – كم يساوي هذا الاستمتاع؟ صيغة أخرى: هل قدم المستمتع الآخر لي ما يساوي ما منحته من متعة؟ وكم سأدفع أنا ثمنا لهذه المتعة؟

2 – وكم شخص سيدفعون الثمن معي – أطفال يلحقهم العار، خطيب يلحقه العار "برضو"، أهل يلحقهم العار أيضا أو آخرون لا تعلمونهم الله يعلمهم؟

3 – كم شخص في العالم سيحزنون أو يغضبون أو يشعرون بالعار أو الغيرة أو الحسد لو عرفوا بما فعلت؟

4 – وإذا لم أكن أستطيع أن أخبرهم أفلا يعني هذا أنني مذنبة؟

"ليس بعد،" قال سنغ، "تفكيرك لا يزال ابن وسخة ويحتاج إلى مزيد من التصفية، خذي أنفاسا أعمق واحبسي النفس قليلا قبل أن تخرجيه."

فعلا تفكيرها لا يزال ابن وسخة. لماذا تمنحه "أفضلية"، لماذا تبرر أفعالها له، بينما لا يبذل هو نصف المجهود لكي يبرر أفعاله وأفعال مجتمعه "العظيم"؟ كلنا في الهواء سواء. من أجل حفنة اختراعات يعتقد أنه أفضل منها وهو لا يستطيع أن يفتح فمه في بلده وإلا خاطوه له، غرزة غرزة ولضموه في عمود نور بارد ولصقوا له لسانه فيه. لكن هل يفيد هذا؟ ربما تكون هي المستفيدة. الإنسان حين ينتقد نفسه يتعلم، والإنسان حين يعجب بنفسه يتأخر. لا يزال تفكيرها ابن وسخة. لماذا تريد أن "تصحح" تفكيرها في جلستها تلك؟ ولماذا تشغل نفسها أصلا؟ لماذا لا تكون على طبيعتها؟

"أنا مش عايزة أتكلم في المواضيع دي يا سنغ، لأنها مش واضحة في دماغي، وأي كلام فيها هيكون جدل لأجل الجدل. أنا بِودِّي أسألك عن شيء واحد، ولا أريد أن أسمع منك إجابة، فقط اسمعني. ما دمنا متخلفين، لماذا تتاجرون في تخلفنا؟ لماذا تصنعون لنا مثل هذا الجهاز الذي أعطيتني إياه المرة الماضية؟ مش دا تشجيع على التخلف؟"

طلبت منه أن يشغل موسيقى رقص بلدي. واستعجب أنها تريد أن

تسمع موسيقى "بلدي"، أليست هذه الموسيقى "البلدي"؟ ما الذي غير رأيها؟ لكنها لم تغير رأيها. كل الموضوع أنها طلبت ما تريده في هذه اللحظة. دخلت إلى غرفة النوم (وهي تعرف أين غرفة النوم، جوار الحمام مباشرة (-؛) وأتت بملاءة سرير ومشبكين وعلقت الملاءة من كل طرف في خزانتين متقابلتين من خزانات اختراعاته، فقسمت الصالة نصفين، نصفا يجلس فيه هو، ونصفا ترقص فيه هي. ناداها من خلف الحجاب لماذا تفعل هذا فأجابته بأن هذا ما تريد. أعجبته جدا الفكرة. أراد أن يتلصص عليها من جوانب "الستارة" لكنها نهرته إذ فعل. نظر إلى ظل جسدها وهي تتمايل من خلف الستارة، إلى لدانته، إلى حركات يديها حين تعلوان في الهواء كحيتين متشابكتين ثم حين تنحدران على جسدها كحيتين تزحفان هبوطا على جذع شجرة، أعجبته بروزاتها وهي تلف وسطها في دائرة حول نفسه. دب في عضوه انتصاب لم يجربه من سنين إذ يتخيل هذين الردفين ينظران إلى السماء، منفرجين قليلا في المنتصف، يتضرعان أن تمنحهما قليلا يسعدهما. استند على مسند الكنبة ونظر إلى عضوه وهو منتصب بهذا الشكل تحت بنطاله. يا لها من سعادة ينالها الرجل إذ يكون في وضع كهذا. كيف يتصرف؟ كيف يتصرف؟ آه.

أتى بكراسة الأفكار. كانت زوان لا تزال ترقص خلف الستار. سجل كل حركة لها، وضع الجسم، زواياه، حركة الأطراف، أصغى إن كان ثمة أصوات هامسة تخرج منها وهي ترقص. كتب ملاحظة بين قوسين (لا أستطيع سماع شيء و لم يؤثر هذا سلبا على درجة إثارتي – فلأفترض أن

الزبائن أيضا لن يتأثروا). الزبائن؟! نعم الزبائن. أخبر زوان بعد أن انتهت أنها أوحت له بفكرة خطيرة لم يكن ليصل إليها لولا ما فعلته. تركها مسترخية على الكنبة، سعيدة، منشرحة الصدر، مبتسمة الثغر، ككومة من الحشيش الأخضر المندى تحت ظل شجرة في يوم حار. تغمض عينيها فتتخيل كل الرجال الذين اشتهتهم في حياتها، بخيال يشبه جمال تحققه. ابتلت عرقا ورغبة. واحمرت إثارة وشوقا. وارتجف مخرج الرغبة الوليدة التي بدأت تطل برأسها وتدخل، تظهر وتدخل، تخرج وتدخل.

كان سنغ في غرفته يقيس الأبعاد، ويفكر في المواد الخام اللازمة، وفي أماكن التروس، ويحسب معادلة محصلة القوى في كل وضع يختاره حتى يصل إلى الزاوية الصحيحة. لم ينبهه من استغراقه سوى صوت صرخات نشوى متعاقبة أتت من الصالة. أصغى. حينها انتبه إلى أنه يريد أن يتبول. فقام وتبول ثم عاد إلى أوراقه.

غادرت زان الشقة دون أن تفكر في إلقاء السلام على سنغ.

حين انتهى سنغ من عمله قبيل الصباح بقليل دبس أوراقه في بعضها البعض وكتب على الورقة الأولى:

رسومات كروكية لاختراع بوبي دول خشبية

ترقص خلف ستار نصف شفاف

(يمكن ترويجه في محافظات المنطقة الغربية)

✂ ✂ ✂ ✂ ✂

"يابن الكلب يا سنغ،" صفع أحد الرجال الجالسين في الحجرة جانب

فخذه بيده، "يابن الكلب." قهقه. "ابن الكلب يريد أن يبيع لنا بوبي دول مثل زوان. لا بد أن نأتي بهذا الشخص ليشتغل معنا. لا بد. ثم إن المؤكسج هذا سيفيدنا جدا. لا يمكن أن نترك الأمور للمصادفات. لا بد من التحكم في الإيقاع" كان الرجل ينزع عن وجهه قناع الفم ذا المجسات الفائقة الحساسية. ثم نزع أيضا عن وسطه الحزام الذي يغطي المنطقة التناسلية.

قبل خمس عشرة سنة، اجتمع ستة هم أغنى أغنياء برج السرطان، المعروف عند أهله باسم الشرنقة. قال واحدهم للآخر: إن الشرنقة ستنتهي عما قريب. والآخر رد: أعلم هذا. كل رجل وكل امرأة في برج الشرنقة يعلم أن الحياة فيه ليست أكثر من مرحلة انتقالية، قبل أن ينتقلوا إلى كوكب – كوكب حقيقي وليس برجا – جديد في مجرتهم اسمه الأرض تحدث فيه "اللُحمة الجينية"، أي تلتئم فيه جيناتهم مع جينات سكان برج الأسد، بعد أن انفصل الجنس البشري قديما إلى هذين البرجين – الشرنقة والأسد – في انفجار كوني كبير.

هناك خلاف بين أهل الشرنقة رغم ذلك. ثمة خلاف أولا على التوقيت: متى ينتهي كوكب الشرنقة؟ إذ لا أحد أفادهم بالتحديد، والموضوع لا يتعدى حزمة من النظريات والتنبؤات والنبوءات. بل إن الموضوع فقد معناه لكثرة ما ردد رجل الشارع العادي أن البرج في أيامه الأخيرة – "البرج في ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن

يكون". وثانيا، الخلاف على ما يجب على المرء أن يفعله. هؤلاء الرجال الستة رفضوا فكرة ترك الموضوع لفعل الطبيعة والانتظار كما الحال مع سائر البشر في البرج. اتفقوا على أهمية التحرك وأهمية أن يكونوا فاعلين. من أجل هذا سعوا إلى ضم ستة آخرين من أكثر أهل برج الشرنقة تأثيرا ونفوذا، منهم العالم والكاتب والمخترع والإعلامي والفلكي ونجم البوب. وكونوا لجنة. اقترحوا في البداية أن يسموها "اللجنة السرية لصيانة الشرنقة." لكن الكاتب الذي في اللجنة، واسمه لبيب، رفض هذا الاسم تماما، كما رفض غيره من الأسماء التي تحمل شعارا لمهمة. واقترح اسم "الساهرون". كل دلالات الكلمة، قال لهم، إيجابية: الساهر يحب، الساهر يدرس، الساهر على راحة طفل أو مريض، إلخ. وهكذا كان اسم اللجنة. لجنة "الساهرون".

نعود إذن إلى موضوع التوقيت. متى سينتهي برج الشرنقة؟ "الساهرون" جمعوا حين كونوا اللجنة قبل 15 عاما كل ما بك يا شرنقة من أبحاث علمية وتنبؤات فكلية ونبوءات دينية وأخضعوها لدراسات وتحليلات عند أكبر "مخازن الفكر" – مراكز الأبحاث – في عموم برج الشرنقة. وخرجوا من هذا بنظرية واحدة وجدوها مقبولة أكثر من مثيلاتها. النظرية – باختصار – تبرز تدهور خصوبة المرأة في المنطقة الغربية بعد نجاحها إلى حد كبير في التطور إلى رجل، وتدهور خصوبة المرأة في المنطقة الشرقية القصوى بسبب القوانين التي تحد من النسل. أما في المنطقة الشرقية الوسطى فإن المرأة لا تزال أخصب من مثيلاتها، إلا أن خصوبتها تتراجع أيضا بمعدل متسارع بسبب العنوسة مضافا إليها الإهمال وعدم الاستعمال.

هذه النظرية تؤكد أن الشرنقة مرتبطة بخصوبة المرأة، عملا بالمقولة المعروفة: "الطبيعة امرأة". السنة التي يتقاطع فيها منحنى الخصوبة الخاص بالمرأة في المنطقة الشرقية الوسطى مع المنحنى الخاص بالمرأة في المنطقة الغربية أو المنطقة الشرقية القصوى، هذا هو العام الذي يجب أن تنتهي فيه الحياة في الشرنقة. كل حياة على الشرنقة بعد ذلك العام ستكون حياة ضنك وشقاء بلا متعة ولا طائل، كالزراعة في أرض بور. قبل خمسة عشر عاما أفادت الحسابات بأن هذا اليوم سيأتي بعد ستة عشر عاما. أما الآن فإنه العام القادم. عندئذ، وهنا جاءت إضافة المتدينين التي وافقت مزاج العلميين، "على العقلاء أن يهربوا إلى الجبال، والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه". كما فعل نوح مع الطوفان، وكما فعل لوط وابنتاه مع سدوم وعمورة. لم يلتفت أيهم خلفه. في كل غرفة من غرف المبنى الذي يجتمع فيه "الساهرون" لافتة مكتوب عليها "إذا التفت ضعت."

من موضوع الخصوبة، ومن خلاصة اجتماعات لا عدلها، واستشارات مع علماء ورجال دين وخبراء تغذية وحتى قراء طالع، توصل "الساهرون" إلى خطة، خلاصتها متابعة النساء اللاتي لا يزال فيهن أمل، متابعة دقيقة، لقياس مستوى "أنوثتهن". كل امرأة مرت من التصفية البصرية روقبت على مدار السنوات الخمس عشرة الماضية. وكل منهن جُهِّز لها فيديو ممنتج لنشاطها الجنسي لمدة ساعتين. أنوثة المرأة حددتها اللجنة بوسيلتين:

1 - وسيلة عملية معملية: قياس قوة الانتصاب عند أعضاء اللجنة

وهم يتابعون تلك المرأة، عن طريق الأجهزة المثبتة في منطقة الحوض وما بين الساقين.

2 – وسيلة نظرية تقديرية: يطلب من كل عضو في اللجنة بعد مشاهدة الفيلم الإجابة عن هذا السؤال: لو كان لديك ألف جنيه كم تدفع منها لتنال هذه المرأة؟

حصيلة النقاط تجمع إلى بعضها بنسب معينة، والمرأة التي تحصل على أعلى حصيلة هي المرأة الأكثر خصوبة، والأكثر قدرة على الإغواء. سيحمل الساهرون هذه المرأة ويهربون بها إلى كوكب الأرض. في الطريق سيتوقفون في برج الأسد لكي تغوي رجلا من أهل البرج فيوافق على الاشتراك معهم في الخطة. هذا مهم جدا لإحداث "اللحمة الجينية". مهم أيضا أن يتم التخلص من كل مخلوق آخر في الكون، سواء في برج الشرنقة أو برج الأسد حتى لا يحاول أحد ملاحقتهم ويفسد الجنس البشري مرة أخرى.

هذه هي النظرية. لكنها مجرد نظرية، تثبت نفسها، أو تنفي نفسها. خطة الساهرون اشتملت على إرسال رحلات فضائية استكشافية تراقب برج الأسد على مدار الساعة. المعلومات الاستخباراتية تفيد بأن أهل البرج شكاكون للغاية من الغرباء، لأنهم يخشون انتقال "الجرثومة" إليهم.

زوان، بعد هذا العرض مع سنغ، حصلت على تقدير عال جدا عمليا معمليا. فقد تسببت في انتصابات فولاذية لدى أعضاء اللجنة. لكنها لم تحصل على درجة نظرية تقديرية كبيرة. ربما بسبب طبعها الصعب!!

مب: 9 أس

"كيف ترى الوضع يا عرمان؟" بادر حارس السر بالسؤال بمجرد أن دخل عرمان إلى غرفة التحكم المركزي.

"أراها فرصة جيدة لمشروع مربح،" قال عرمان مبتسما، في الواقع مطمئنا إلى أن هذه هي الإجابة "الإيجابية" التي يحبها حارس السر. لم يدرك أن الموضوع هذه المرة جاد وأن هذه الآراء الظنية لم تعد تصلح. هذه الدمية التي تقلبها على وجهها فتقول بابا وعلى ظهرها فتقول ماما صارت رفاهية من رفاهيات الماضي لا أكثر. بل وأكثر، صارت قنبلة موقوتة لو تركها ستنفجر فيهم. لم يدرك أن حارس السر يريد إجابة عملية مباشرة، مبنية على معطيات وحسابات واضحة.

فك عرمان الشال الصوف الرمادي العريض الذي يغطي بذلته من

الرقبة إلى الوسط، ثم رفع لحيته البيضاء الطويلة بظهر يده اليسرى ومرر يده اليمنى إلى جيب باطني في بذلته الصوف ذات الخطوط البيضاء والرمادية الطولية العريضة. ثم أخرج ورقة مطوية وفتحها فإذا برسم هندسي كروكي لعدد المجسات وأبعادها عن البرج، وفي أسفل الورقة، بخط رفيع، كتابة تحت عنوان: خطة السيطرة على المجسات المعادية ثم الاستفادة منها لصالحنا.

بنود الخطة:

1 – توجيه ضربات ديناميتية مدفعية نحو المجسات لإشعارهم بقوتنا.

2 – محاولة الاتصال بهذه المجسات، بمن يقودها.

3 – مساومتهم على الثمن الذي يريدونه، ثم محاولة التوصل إلى طريقة تفيد كلينا.

4 – تتبعهم مخابراتيا لمعرفة من هم وتحين الفرصة للإجهاز عليهم وعلى عائلاتهم إن لزم الأمر.

بدا الضيق على وجه حارس السر. سأل عرمان إن كان هذا كل ما لديه، وعلى الفور أحس عرمان أن في صوت حارس السر شيئا لم يعهده من قبل. قام حارس السر عن كرسيه وتناول من على الطاولة التي تفصل بينه وبين عرمان بعض السهام الصغيرة ذات الريش الخلفية الملونة. تابع عرمان السهام بعينيه في يد حارس السر اليسرى، ثم وهو يمسك أحدها بيمناه، ثم استدار عرمان ليرى مصير السهم الذي انطلق. لقد استقر في قلب لوحة

عليها دوائر مختلفة الألوان والمساحة، كل دائرة تحتضن دائرة أصغر، حتى الدائرة الصغيرة في قلب الجميع. السهم أصاب الساعة الثالثة، على الخط الخارجي الذي يرسم الدائرة الكبيرة. على الخط تماما. كاد عرمان يبتسم، بداية كتلك ستجعل حارس السر أكثر تواضعا. لكن السهم التالي طرد الفكرة تماما. لقد أصاب الساعة الثانية على نفس الخط، والتالي أصاب الساعة الواحدة، وهكذا، عشرة أسهم تصيب كل منها الساعة السابقة للساعة التي أصابها السهم السابق. وحارس السر لا يتحدث. فقط يناول بيده اليسرى سهما لليد اليمنى ويصوب. لم يبق إلا سهمان في يده حين التفت حارس السر إلى عرمان، وقال له إنه حكم بأن تكون الأرض المتنازع عليها بين ابن أخيه أوفيد وبين أكيليس وأبنائه من نصيب أكيليس.

"لكنني أستطيع لو فكرت في الأمر قليلا أن آتي بخطة أحسن من تلك، أنت تعرفني." قال عرمان، إيجابيا كالعادة، مبتسما والورقة في إحدى يديه المفتوحتين، ويتحدث بثقة كأنما يخرج الكلام من عين تفجرت في جوفه.

"ما علاقة هذه بتلك؟" قال حارس السر، "هذا حكم مبني على المعطيات التي توافرت لنا."

"لكن أبناء أوفيد يعيشون في تلك الأرض منذ هاجر أوفيد وعائلته إليها قبل عقود. وهؤلاء يتامى. وأنت تعلم أن فيجيل –زوجة أوفيد– ماتت خطأ وهي في طريقها إلى خارج ـــ"

"أنا أعلم المعطيات تماما، فلا داعي لأن نخوض في أمور لن يرضيك ذكرها."

"سيدي، أنا لن أغضب، سأتقبل حكمك كما تقبلت أحكامك دائما، أنا فقط أسأل لكي أطمئن."

"تغضب؟ وهل غضبك خيار؟"

"آسف سيدي. أعني أنني أستبعد أي غرض آخر لسؤالي غير المعرفة. أريد أن أدرك تجلي عدلك في هذا الحكم."

"امسك هذين السهمين يا عرمان،" قال حارس السر وهو يمد يديه إلى عرمان بينما يقوم هذا عن كرسيه الخشبي ويقترب. أمسك عرمان بالسهمين وسكت، وجهه يسأل ماذا يجب أن يفعل بهما. أمسكه حارس السر من كتفيه وأوقفه في الموضع الذي وقف هو فيه وهو يصوب السهام. "هل ترى الموضعين اللذين كان يجب لهذين السهمين أن يكونا فيهما؟" سأل حارس السر وأجاب عرمان بنعم، فواصل حارس السر، "أرني مهارتك، ضعهما حيث يجب."

لم يكن عرمان أبدا متفوقا في الرمي بالسهام، ولا سيما بهذه الطريقة. شجاع. يحارب بالسيف. يتقدم أقرانه. لكنه كبير في السن. يده ترتعش. فضلا عن أنه لم يجرب هذه اللعبة من قبل. بيد أن كل هذا لا يعني شيئا الآن، الأعذار تستجدي المسامحة لكنها لا تقتنص الفوز. رمى الأول فأخطأ. ورمى الثاني فأخطأ. في الواقع أخطأ بمسافة كبيرة

لا تغفرها إلا الحكمة المجهولة. تلك التي لا تقدم أسبابا إذ تمنح. ولن تقدم أسبابا حين تمنع.

"لقد أخطأت سهامك من قبل لكنني تجاوزت و لم أحاسبك، ليس ظلما لأحد، وإنما إكراما لك،" قال حارس السر ورفع يده سريعا حين حاول عرمان أن يوافق، حتى الموافقة لا يريدها حارس السر الآن، لأن السماح بالموافقة يعني السماح بالمعارضة. "أما الآن فحان وقت العدل وليس النعمة، لأن الظرف لم يعد يحتمل. وبالمناسبة، في موضوع أوفيد، العدل كان الخيار الوحيد. والنعمة لم تكن مطروحة أساسا، لأننا لا ننعم من ممتلكات الغير." سكت حارس السر ثانية أو ثانيتين كأنه يختبر رد فعل عرمان. ضرب غضروف أذنه اليمنى من الخلف بطرف سبابة يده القريبة، ثم فعل الشيء نفسه مع اليسرى، كأنما يخرج رماد ضجيج غير مرغوب فيه. " وعلى ذكر ممتلكات الغير: كيف شهدت بأن الأرض من حق ابناء أوفيد وأنت تعلم أن أبناءه أبناء سفاح؟"

"أبناء سفاح؟!" تعجب عرمان.

"هل تمزح يا عرمان؟ أنت تعلم هذا. بعد موت فيجيل لم يبق في رحلة الهرب إلا أوفيد وابنتاه. لم يكن معهما رجل آخر، فمن أين جاء الولدان؟ أكيليس قدم أوراقا طبية تفيد أن ابني بنتي أوفيد ابناه. أوراق طبية بـ دي إن أيه."

شعر حارس السر أنه نال من عرمان. ليس عرمان فقط، ولكن عرمان وأوفيد في ضربة واحدة. وأن الوقت حان للضربة القاضية: "لا بد أن تستقيل أنت وابن أخيك فورا! لا تقل لي إنكم تسمحون بزواج الآباء من بناتهم أيضا!!"

"أستقيل؟!" صوت عرمان ارتعش في لحظة، ووجهه اضمحل عند خديه وتحول إلى أحمر داكن كدم محبوس. "فلتقلني أفضل." لم يكن الرد متوقعا من جانب حارس السر.

"هل تتحداني يا عرمان؟!"

"لا، فليفظني الأسد بزفرة منه إن كان هذا قصدي. إنما أقرر واقعا أنت تعلمه. أنت تعلم بم ضحيت من أجل خدمة البرج وأهله."

"ضحيت من أجل البرج؟!" قال حارس السر وتعبيرات وجهه لا تزال بقدر الإمكان محايدة. فقط يضرب غضروفي أذنيه بسبابتيه، واحدا بعد الآخر. "دعني أصغها بهذا الشكل. ستكون تضحية أعظم من أجل البرج لو استقلت. أيهما أعلى ثمنا: أن تستقيل أم أن تضحي بولدك؟ لقد فعلت الثانية من قبل، فافعل الأولى الآن."

"ء..............."

"لا أريد محاكمتك علنا أمام الناس بتهمة شهادة الزور. أما أوفيد فسوف أرى ما أفعل معه."

"أي شهادة زور؟! تلك أول مرة أسمع فيها هذه القصة." قال عرمان

مستعطفا، ثم بصوت متحمس كأنما وجد تائها، "هل سألت أوفيد نفسه؟ ماذا قال لك؟"

كلمات عرمان لم تثن الذراع الممدودة نحو لوحة التحكم. ضغط حارس السر بأصبعه على زر فيها، فلف قرص من الأرضية، حول قدمي عرمان، ولف عرمان معه حتى واجه باب الخروج.

"هل حكمت محكمة؟" سأل عرمان بسرعة ملتفتا إلى الخلف. بينما فتح باب الغرفة المعدني الثقيل وعلى الفور لفحه الهواء الذي كان الباب يحجزه. امتدت يدان زنبركيتان إلى حيث يقف عرمان وسحبتاه إلى خارج الباب، في ظلام دامس ينار بضوء خافت في موضع الخطوة القادمة. كان الممر الذي يسير فيه عرمان باردا، يدخل هواء من فتحات على جانبيه وأرضيته وسقفه فيجعل السائر في دوامة من الهواء البارد.

شعر حارس السر أنه أزاح حجرا عن صدره. صفر بفمه بنغمة أغنية كان يغنيها في طفولته. ثم عاد إلى لوحة التحكم المركزي. حان الآن دور أكيليس.

مب: 10 شر

لم تعلم زوان شيئا عن الأهمية الكونية للقائها بسنغ. لم تكن تعلم أنها شاركت لتوها في مسابقة أهم كثيرا من مسابقة سيدة العالم أو ملكة جمال الكون. ولا كان سنغ يعلم حتى تلك اللحظة أنه لفت الأنظار إليه وإلى اختراعاته. الساهرون اتفقوا بعد أن رأوا الفيلم على أن المؤكسج مهم جدا لهم ولخطتهم. حصلوا على بعض المؤكسج ووزعوه على المساجد في عموم المنطقة الشرقية الوسطى كاختبار أول.

ليلة زوان في استقبال مستشفى قصر العيني ليلة غريبة. لا تزال تحت سحر التأثير المحرِّر للمؤكسج. تبتسم لمن تريد، وتعبس في وجه من تريد. تتساءل لماذا لا تبدو مستشفى قصر العيني في النهار بتلك الوداعة؟ تبدو في النهار مكانا كئيبا لا موضع قدم فيه بلا مريض يتألم في انتظار الدور،

وفقر يرتدي ملابس سوداء بطرح تتماهى مع الفقر بلونه، أو ملابس ملونة خاماتها تحاول أن تخدع عيون الآخرين وتتماهى مع الغنى بألوانه. أصوات عالية، وحرارة دائمة، حتى في ديسمبر. اصوات قرقعة الشباشب المنزلية التي يحلو للناس أن يأتوا بها إلى هنا، ربما كدليل على خطورة الحالة. لكن أكثر ما يشعرها بالفقر منظر أقفاص الخبز على رؤوس صبية يبيعونه داخل المستشفى. شيء ما في جريد النخيل يوحي لها بالتقشف، والشظف، والجفاف، والقسوة، وانسلال خيوط العمر خيطا خيطا. وهذا القرص من خرق قديمة الذي يضعه الصبي بين قفص العيش ورأسه. هل يكفي هذا للإحساس بالأمان؟ وأواني "الجبن القريش" التي تجلس بها نساء لإطعام المنتظرين، والتمر الهندي والعرقسوس. سوق. هذه سوق. أسوأ ما فيها الأطباء الحديثو العهد بالسلطة.

لكنها تكتشف أنها طالما أحبت غرفة استقبال الحوادث ليلا بسبب الباب المطل على النيل. الهدوء الخارجي في لحظات البطالة، النسمة الباردة على وجهها وهي تقاوم النوم على كتفها المغطى بشال الكشمير. الكلمات التي تصارع لكي تخرج من الأفواه حية، أحيانا تفعل لكنها تتشوه، وأحيانا تبالغ في ادعاء الحياة فتخرج كصرخة عالية. وأحيانا لا تجد من خيار سوى أن تتدلى من الشفاه ببطء ثم تسقط إلى مثواها الأخير. احمرار عيون الساهرين من زملائها استعدادا للنوم، ولزاجة عيون المستيقظين من النوم استعدادا لتسلم المهمة. "شهامة" الأطباء الذكور وهم يصرون على زميلاتهم أن يذهبن إلى النوم ويتركن لهم مهمة استقبال الحالات.

دخل مريض "زبون" تراه في المستشفى كثيرا. يحتاج إلى قسطرة متكررة للمثانة بسبب حادثة أصابت ظهره وأفقدته الإحساس في النصف السفلي من الجسم. ذهبت إليه وأخرجت عضوه وبدأت في تنظيفه، فاستحى الرجل. وقام طبيب زميل وقال لها "عنك يا دكتورة".

"إيه عنك يعني؟ إنت شايفني بمسح البلاط؟" ردت زوان بعصبية.

لكن المريض قال لها منكسرا، "معلهش يا دكتورة خللي الدكتور هو اللي يعملهولي."

"يعملهولك؟" مدت زوان وجهها نحو المريض، "إيش حال إن لم تكن فاقدا الإحساس في نصف جسمك السفلي، لو أغمضت عينيك فلن تدرك أن أحدا يمسك بقضيبك؟ يا ريتك تحس. تبقى أمك داعيالك لو أحسست قريبا أن قضيبك في يد بنت."

"يا دكتورة،" قال المريض بلهجة حكيمة، "أنا صحيح فقدت الإحساس في نصف جسدي السفلي، لكن قلبي لم يفقده. والأهم من ذلك أصابعي لم تفقده. ماذا تفعلين لو مددت أصابعي على مؤخرتك؟"

"هوديك القسم يا خفيف."

"الدكتور شاهد أهو إني طلبت إنك متمسكيليش بتاعي، الفتنة اشد من القتل."

هنا تدخل الدكتور مرة أخرى، "معلهش يا دكتورة، عنك.."

لم تكن زوان متأكدة أن هذا الطبيب يستطيع أن يفعلها، لم تره يدخل القسطرة البولية من قبل. نظف عضو الرجل مرة أخرى وهو يتحاشى نظرات أبي الرجل وأخيه الواقفين كلا إلى جانب مقبض من مقبضي الكرسي المتحرك. لم تتفاءل كثيرا وهي تراه يدخل القسطرة بينما قضيب الرجل ليس مستقيما تماما. نبهته إلى ذلك، فامتعض. أكدت عليه أنها ستقول دائما ما تريد، وأن الموضوع ليس لعبة. هؤلاء الفقراء الذين يذهبون إلى المستشفى ليسوا فئران تجارب. نظرت إلى المريض وقالت له "أنت متخلف وعديم الإحساس ولا الذوق، لكنك لست فأر تجارب." والمريض شعر أن في هذه الجملة ما يستحق الاحتفاء. أي جزء من الجملة لا يعلم، لكن واضح أن الدكتورة تقف إلى جانبه بطريقتها. فشلت المحاولات الأولى للطبيب في إدخال القسطرة من فتحة القضيب، كانت يده ترتعش. دهن الدكتور مزيدا من المادة الملينة على رأس أنبوب القسطرة ثم أدخلها من الفتحة الأمامية للقضيب وهو حريص هذه المرة على أن يكون مستقيما. بمجرد أن دخلت مقدمة القسطرة في الفتحة الأمامية للقضيب "قشعر" جسد الدكتور فاهتز منتفضا. زوان سألته متهكمة إن كان شعر بدنه وقف. لكن ما وقف حقيقة هو القسطرة. والدكتور لا يزال "يعافر" فيها حتى خرج دم من المثانة إلى الأنبوب. زوان صرخت فيه.

"أنت لم تدخل القسطرة من قبل، لو فعلت لعلمت أن هذا الرجل عديم الإحساس في نصفه السفلي لن يرشدك بألمه. يجب أن تكون حريصا بدرجة أكبر حين يكون مريضك فاقد الإحساس."

خرجت بسرعة واستدعت النائب ليتولى الأمر. لكنها لم تعد معه، بل قررت أن تستريح قليلا.

مب: 11 أس

ضغط حارس السر على زر في لوحة التحكم المركزي. ظهرت له غرفة أكيليس على شاشة الدائرة التليفزيونية المغلقة. طلب منه أن يأتي، لكن أكيليس أجابه بأنه نائم الآن وسوف يأتي بمجرد أن يستيقظ. هذا الإنسان لا يتغير. ضحك حارس السر في سره. هكذا كان أبوه. حين كانا طفلين يلعبان معا كان يتعمد ألا يجيب من النداء الأول إذا ناداه مناد. يعتقد أن الممانعة ترفع قيمة الشخص والتواضع يضعها. الابن نبت أبيه. ضغط حارس السر على زر آخر، ونظر إلى شاشة جانبية ثم ضحك ومال إلى الخلف حتى سقط به الكرسي وهو لا يزال يضحك. وقف بسرعة مستندا إلى التابلوه الذي عليه الشاشة واستأنف الضحك. على الشاشة أكيليس يتقافز مذعورا، عاريا، بعرجته التي يبدو أنها لم تكن كافية لتذكيره بحدود قدرته، وبنقائصه. كان أكيليس يرفع يده نحو العدسة التي يعرف مكانها

وهو يصرخ، "أطفئ هذه النار. سآتي إليك فورا. سامحني. سآتي فورا. سامحني."

ظل حارس السر يضحك، ثم اقترب من الميكروفون وأسمع أكيليس ضحكته، قائلا له وهو لا يزال على الضحكة نفسها، يصمت مفتعلا جدية ثم يعود ليضحك: "هيا. تعال فورا، لن أطفئ النار، ارتد ما تصل إليه يداك وتعال وسوف أطفئ النار حين تغادر." ثم واصل حارس السر ضحكته. إن مجرد رؤية أكيليس تبعث في نفس حارس السر البهجة. ولا بد أن الأمر معه سيكون أيسر كثيرا من عرمان. آه، ولا في الأحلام. فكر حارس السر. لكنه ابتسم مرة ثانية.

"أخليك تعرج برجلك التانية كمان؟"

أكيليس أخذ من أبيه توقيعا على عقد بيع وشراء لكل ممتلكاته وهو في مرض موته، لا يدري بما يدور حوله. فعل أكيليس ذلك حتى لا تنتقل الأملاك إلى أخيه الأكبر جيزاوي. ثم هاجر إلى ديار عمه هربا من أخيه، وتزوج من ابنتيه. لكن عمه كان صعبا شحيحا. احتال أكيليس على عمه واختلس من رأسماله الذي كان يتاجر له فيه. واضطر إلى الهجرة مرة أخرى عائدا إلى بلده، وأرسل برسل إلى أخيه جيزاوي يحملون له هدايا طلبا للصفح. وبينما هو في انتظار الرسل لكي تعود كان حارس السر قد سمع بعودته فأرسل إليه مرسالا من قوات العمليات الخاصة برسالة مختومة يطلب منه فيها موافاة حارس السر. أكيليس لم يصدق، وظن أنها حيلة من أخيه، فتعارك مع المرسال الذي يرتدي زي العمليات الخاصة، والمرسال

لا يريد أن يؤذيه. تحدث المرسال إلى حارس السر فطلب منه هذا الأخير أن يتركه بعد أن يحدث فيه عاهة. الضابط ضرب أكيليس بسن حذائه الغليظ فخلع له مفصل فخذه. هنا فقط أدرك أكيليس أن هذا الرجل مبعوث بالفعل من حارس السر وأنه كان يقدر من البداية أن يهزمه فاسترضاه وطلب الأمان ووعد بأن يوافي حارس السر في أقرب فرصه.

"لماذا تهوى إيقاظي من النوم؟ لماذا؟ لماذا؟" قال أكيليس وهو يشيح بيده داخلا إلى غرفة مكتب حارس السر.

"يابن الكلب،" قال حارس السر بود وهو يضحك، "متى ستتعلم كيف تتعامل معي؟"

"ماذا تريد؟"

أكيليس في السادسة والثمانين من عمره، لكنه بالنسبة لحارس السر الذي تجاوز المئة والعشرين لا يزال طفلا صغيرا، أو مراهقا، يسعى لإثبات نفسه أمام جيل أبيه. وهو في الوقت نفسه ماهر بما لا يقبل الجدل. يعطي الأشياء ما تأخذ لأجل تنفيذها. إن كان بالحيلة فبها، أو بالعراك فبه، إن كان بالصبر فبه، أو فبالتودد إن كان به.

"سأزيحك من جماعة الفك والربط، نريد أن نعطي الراية لجيل من الشباب الأكثر منكم خبرة، جيل يستخدم الكاتوب ويفهم في مفردات العصر الحديث،" قال حارس السر وقد استعاد جديته. كان ينظر في عيني أكيليس مباشرة وفي يده كوب من الشاي لم يدر أكيليس إلا وهو ينضح

ما فيه عليه، و لم تسعفه رجله العرجاء فوقع. نظر إليه حارس السر وقال، "يبدو أنك لم تتعلم الدرس. ويبدو أنك ستظل لا تدرك حدودك أمام السلطة، أو لعلي أنا السبب في سوء خلقك هذا. لكن صدقني. المهمة هذه المرة عسيرة، ولا وقت فيها لدلع النسوان هذا، وصدقني سأعلمك درسا لن تنساه هذه المرة. أنا كما تعلمني في حلمي، لكنك لم تجرب حتى الآن غيرتي وغضبي."

في لحظة كان أكيليس يزحف على الأرض نحو حارس السر الجالس على كرسيه أمام تابلوه التحكم، في لحظة قبض أكيليس على قدمه وقبلها. قبل ظاهرها، ثم رفعها وقبل باطنها، ثم قبل أصابع قدميه أصبعا أصبعا، وشعر حارس السر أن الأرض تميد به، شعر أنه عاد إلى قوزي طفلا في العاشرة من عمره، يمرح خلف أقرانه في الحقول، ويتعاركون فوق أجران القمح.

أخذ حارس السر نفسا عميقا وصرخ، "كفى! كفى." ثم أمر أكيليس بالنهوض وأن يتوقف عن هذه الطريقة في المداهنة، فكل ما يطلبه منه أن يطيع أصحاب السلطة، فقط يطيعهم، لأن في هذا خير البرج، لم يطلب منه أحد أن يلعق أقدامهم. وهو إن كان تسامح معه في الماضي أيام الرخاء، نعمة منه ووفاء لذكرى أبيه، صديق طفولته، فإنه لن يفعل هذا مرة أخرى، لأن المهمة الآن صعبة وتحتاج إلى طاعة عمياء، إلى أناس تدرك الغرض، وتتفانى من أجله. ليس أقل من ذلك أبدا.

"هل فكرت ماذا يمكن أن نفعل مع الأعداء المحيطين بنا؟" سأل حارس

السر مستخفا. كأنما يدرك أن الإجابة ستكون بلا، من هذا الفهلوي الذي يبرع في الخديعة والمداهنة والعراك وكل ما قصر نفسه وسرعت نتيجته.

"نعم،" قال أكيليس ثم أطبق على الميم بين شفتيه لوهلة، ومن نفس الشفتين أخرج واو العطف للشق الثاني من إجابته، "و لا."

"هل هذا لغز يا روح أمك؟!" كبس حارس السر زرا بجانبه فاستدار قرص في الجزء الذي يقف عليه أكيليس ووجّهه نحو الباب، ثم كبس زرا آخر فانفتح الباب وامتدت ذراعان زنبركيتان نحو أكيليس، وهذا قفز من مكانه في مربع رقم ستة إلى المربع رقم تسعة، وتعاظمت عرجته الخفيفة. كبس حارس السر الزر رقم تسعة فتوجه الذراعان الزنبركيان إلى حيث يقف أكيليس لكنه قفز سريعا إلى المربع رقم سبعة، فكبس حارس السر المربع رقم سبعة، هذه المرة وهو يضحك كطفل اكتشف لعبة مسلية، بينما بدأ أكيليس يترجاه أن يتوقف وأن يستمع إليه. أحد عشر، خمسة، اربعة، ستة، ثلاثة، عشرة، حارس السر يضحك، وأكيليس يطلب منه أن يتوقف حتى يشرح له فكرته. وفجأة قفز أكيليس إلى مربع رقم اثنان المجاور لحارس السر مباشرة، وكبس الزر اثنين ثم سحب كرسي حارس السر إلى المربع، وامتد الذراعان الزنبركيان وأمسكا بحارس السر وسحباه في اتجاه الباب، لكن أكيليس كبس زر الإيقاف سريعا، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه.

"دعنا نتحدث،" قال أكيليس وهو يمد ذراعيه إلى الأمام، كأنما يتقي بهما غضب حارس السر الذي تحرر من الذراعين الزنبركيين، والتفت

إلى أكيليس بوجه ملوثه الحنق. توجه من فوره إلى خزانة في جانب الغرفة فتحها وأخرج منها بلطة، ورفعها في الهواء وهو يخطو نحو أكيليس، احمرار وجهه انعكس على كل شيء أبيض فيه، على شعره الذي انتصب كأبر، وعلى لحيته التي تنازعت نفسها كصوف خروف اشتبك في أسنان مشط ضيق، وعلى عينيه اللتين جحظتا. الإنسان حين يدرك حتمية نهايته لا يتمنى إلا التعجيل بها. وأكيليس رأى نهايته في عيني حارس السر فلم يفعل شيئا ليردها أو يؤجلها، فقط نزل على ركبتيه وأرخى رأسه إلى الأمام كأنما ييسر المهمة على حارس السر، وهو في الحقيقة ييسرها على نفسه. أخطأ أكيليس الحساب، والمتوازن على الحبال لا يملك رفاهية الخطأ في الحساب. لمعت البلطة في الضوء الخافت القادم من الممر، ثم اختفت اللمعة الخافتة حين احتجب الضوء خلف جسم قادم عبر الباب المفتوح.

"سيدي!" نادى الجسم المقتحم. قبل أن يتوقف مندهشا أمام ما رأى.

حارس السر ضبط إنزيماته في لمح البصر. "ترفع البلطة هكذا،" قال لأكيليس بصوت معلم يشرح لتلميذه درسا، "متزنة بين يدين كضلعي المثلث المتساوي الساقين، لا تميل يمينا ولا يسارا وإلا تركت جانبا كاملا من جسدك لقمة سائغة لقادم من خلفك،" أشار بإبهام يده اليسرى إشارة بسيطة، دون أن يغير وضعه، إلى الخلف، ثم – كأنه تذكر أن شخصا جاء من الخلف قبل قليل – التفت إلى مصدر الصوت وسأل بحزم: "ماذا بك؟" ثم عاد مباشرة إلى وضعه السابق، معطيا ظهره لمصدر الإجابة.

"جهاز التنبيه أعطى إشارة تنبيه بخصوص الذراعين الزنبركيتين،" قال الرجل بصوت مرتبك، "فجئت لأتأكد أن كل شيء تمام، ثم..." توقف الرجل.

"كل شيء على ما يرام، اذهب الآن." قال حارس السر، ناظر إلى عيني أكيليس اللتين تحاولان أن تبعثا إلى موظف الأمن رسالة استبقاء، قبل أن تقررا أن تعيشا اللحظة تماما، وتشاركا في اللعبة تماما.

"لقد كان درسا مفيدا يا سيدي،" قال أكيليس وهو يقوم عن الأرض، "ولن أنساه ما حييت. لكن الآن دعني،" أشار بيده نحو موظف الأمن، "دعني أذهب مع هذا الرجل المجتهد لكي أتعلم منه درسا آخر سنحتاجه بالتأكيد عن احتياطات الأمن في مقر القيادة." مع أول خطوة أضاف سريعا، "وبالمرة أزور الحمام لأنني،" ضحك، "بالكاد أمسك نفسي، وكنت محرجا من مصارحتك أثناء الدرس."

ابتسم حارس السر، وأنزل البلطة مستسلما للأمر الواقع. لقد كانت مزحة، وأوشكت أن تكون مأساة، ثم انقلبت مزحة مرة أخرى.

مب: 12 شر

ذهبت إلى غرفة استراحة أطباء الامتياز، زميلة لها تنام على الشيزلونج المتواري خلف الباب. تمنت لو كان هذا فارغا. نامت على الشيزلونج الآخر فلم يطاوعها النوم. تتقلب على هذه الجهة وتلك لكنها لا تستطيع. أيقظت زميلتها وذكرتها بأنها نائمة منذ بداية النوبة الليلية وأن عليها على أقل تقدير أن تذهب إلى زملائها وترى إن كان أحدهم يريد أن يرتاح قليلا. وإن لم تكن تريد أن تفعل ذلك فعليها أن تنتقل إلى الشيزلونج الآخر لأنها – زوان – تريد أن تنام على هذا الشيزلونج المتواري. نظرت إليها زميلتها بقرف. أي قلة ذوق!! قرأت زوان ما في النظرة، فابتسمت وقالت للزميلة إن كانت تعتبر أن ما تفعله قلة ذوق فلتتأكد أن ما تفعله هي أقل ذوقا.

ما إن غفت زوان حتى استيقظت. أصوات هرج ومرج وحابل ونابل وقائم وقاعد تأتي من جهة النيل، حيث مدخل الطوارئ، ومدخل

سيارات الإسعاف. أناس تصرخ من الألم، وأناس تصرخ من ألم أقارب لهم، وأناس تصرخ هلعا ورجاءً ألا يموت أقارب لهم، آخرون يهتفون هتافات دينية، إسلامية، مسيحية، يهودية، معادية للإسلام، لليهودية، للمسيحية. لم يكن أحد يهتف للبوذية ولا الهندوسية، لكن اصواتا عالية كانت تهتف ضدهما. "كل بوذي يسد بوزو، كل بوذي يسد بوزو". "خطي يا هند ودوسي، على جتة هندوسي، خطي يا هند ودوسي، على جتة هندوسي."

فتحت زوان الشباك وسألت أحد الهاتفين: "من هي هند؟"

"آي ثينك هند بنت عتبة،" أجابها هاتف أشقر بعيون زرقاء. "نريدها أن تأكل أكبادهم كما لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه."

أحاط بالأشقر دائرة من أفارقة سود البشرة يرتدون جلابيب بيضاء قصيرة تتقافز على أجسامهم النحيلة وهم يدقون بأيديهم على دفوف متماثلة ويتمايلون، بينما أحدهم يترك بالتناوب حدود الدائرة ويقترب من الرجل الأشقر الذي في مركزها وينفث في وجه ثم يعود إلى مكانه في الحلقة. الأشقر يرجف رجفة وجيزة كلما نفث في وجهه أحدهم، لكنه سرعان ما يبتسم ويقول "سبحان الله" مرة، "ما شاء الله"، أو "إن شاء الله"، و"بارك الله شيخ"، أحيانا يقول "موئظة وذكرى".

أغلقت زوان الشباك ثم ركضت إلى غرفة الحوادث لا تدري ماذا حدث. كل هؤلاء الناس وسيارات الإسعاف، لا بد أن حدثا جماهيريا

كبيرا وقع. تجمع أطباء الامتياز جميعا في غرف الطوارئ وطلبوا من حرس المستشفى أن يرسلوا إليهم من يحفظ الأمن. "إدارة موقع العلاج أهم من العلاج نفسه"، تتذكر زوان الكلمات للمرة الألف. ولكن ماذا حدث؟ بدأت زوان تسأل هذا وذاك من المصابين بينما أمن المستشفى يحجز الأهالي بعيدا عن المدخل ويهدد بعدم علاج أي مصاب طالما لا يزال آخرون في ساحة المستشفى.

أول مصاب من نصيبها شاب في التاسعة عشرة من عمره. شج في الحاجب أعلى العين اليسرى، يصرخ طوال الوقت: "طلعتوا السهم من دراعها ولا لسة، طلعتوا السهم من دراعها ولا لسة؟" زوان هدأته وهي تغسل الجرح استعدادا لتقطيبه. سألته ماذا حدث له فصرخ مرة أخرى متسائلا هل أخرجوا السهم من ذراعها أم لا. فجأة انفتح الباب ودخل رجل ضخم بلحية سوداء كثة وملابس ممزقة تعطيه شكل إنسان العصر الحجري، كان يمسك بيده سيفا يشهره عاليا وهو يصرخ: "أنتم من أضاع الأندلس، أنتم من أضاع الأندلس!"

قفز عليه رجلان من أمن المستشفى، ثبتاه، انتزعا السيف من يده وأخرجاه من المستشفى. نظرت زوان إلى الشاب الباكي. وصرخت فيه: ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ كيف أضعت الأندلس؟ تقول ذلك وتضحك ساخرة من الرجل ذي السيف، ومحاولة تهدئة نفسها بعد أن أتلف ذلك الرجل أعصابها. لكن الشاب بدا قلقا. يقلقه أن ذلك الرجل ذا السيف لا يبدو مجنونا تماما فهو يقول جملا صحيحة ومستقيمة وبليغة، بنطق سليم،

يعجز عنه أبو الشاب نفسه، رغم أنه أستاذ في الجامعة. هذا ما قاله الشاب لزوان، وبينما يتبادلان الحديث كان صوت الدف يعلو في الخارج. زوان تحتاج لبعض الهدوء، وصوت الدف يفقدها تركيزها. قررت أن تطلب من الأمن إبعاد هؤلاء. فتحت الباب فوجدت في وجهها مباشرة رجلا يرتدي جلبابا بلديا رماديا، ويمسك بيده اليمنى شيئا يتوارى تحت الجلباب، بالتحديد في منطقة العانة. أزاحها الرجل من طريقه بلا عنف ودخل إلى الغرفة متهالكا على أقرب كرسي، ثم أطلق آهة عظيمة يبدو أنه كتمها لفترة طويلة. جمدت الدهشة لسان زوان، بينما أسنان الرجل يجز أعلاها على أسفلها فتبدو مع آهات الألم كمصارعين رومانيين في ساحة قتل، لقتل الوقت. الرجل يميل بجذعه إلى الأمام وإلى الخلف في محاولة لعصر الألم، وعصر الحروف لكي تستطيع أن تنفذ من بين الأسنان المطبقة في خناق بعضها البعض:

"هل... يوجد... أطباء... رجال... هنا؟"

الحياء والألم على وجه الرجل حجزا عنه غضب زوان جارفا. مرتان في يوم واحد. قالت له بحزم إنها الطبيبة المسؤولة عن هذه الغرفة الآن، وإن الليلة ليلة مزدحمة لأن هذه مستشفى عام وليست فندقا خمس نجوم "يا روح أمك". أوه! مرة أخرى يتصاعد الغضب بعد أن بدأت هادئة وتتحدث زوان إلى المرضى بطريقة لا ترضى عنها. لقد قطعت عهدا على نفسها من قبل ألا تفعل. لكن سحر الجملة أقوى من إرادتها: "إدارة منطقة العلاج أهم من العلاج نفسه." باسم هذه المقولة اقترفت زوان كل الخطايا

التي تخجل منها. حين بدأت زوان العمل هنا لم يكن غريبا أن تراها تحتضن ابنة رجل يعالج من حادثة سيارة، أو تمسح على شعر ابن سقطت أمه على الدرج. لكنها هذه المقولة، أو ربما المسؤولية، أو ربما تعاملها بجرعة أكبر من المعتاد مع الفقراء، والفقراء فيهم شيء يشبه الآشعة السينية – لا ينبغي أن تعرض نفسك له بجرعة أكبر من المعتاد، ربما هذا كله جعلها تتحول من إنسانة ترى نفسها ملاكا بجناحي رحمة إلى إنسانة ترى نفسها إنسانة، مسؤولة عن حمى حدوده مرسومة بالطبشور، عليها أن تتعامل مع كل من يخطو إلى داخل هذا الحمى، عليها أن تسوسهم.

أعادت صياغة عبارتها للرجل الكهل الممسك بشيء تحت جلبابه في موضع عانته. الليلة مزدحمة وعليه أن يتعامل مع الدكتور الموجود في المكان وإلا فليعد إلى بيته وليأت في وقت آخر يكون أهدأ. لكن حالة الرجل لم تكن لتتحمل.

التفتت زوان إلى المريض الآخر الذي عاد إلى وصلته الأولى: "طلعتوا السهم من دراعها ولا لسه؟ طلعتوا السهم من دراعها ولا لسه؟" أمرته بحزم أن يسكت وإلا يخرج من هذا المكان حالا وسيجد رجل الأندلس في انتظاره. سكت الفتى على الفور. بدأت زوان في تقطيب حاجب الفتى وهي تتحدث إلى الرجل الممسك بشيء تحت جلبابه. سألته ماذا به. وأجابها بعد حياء أخمدته نهرة من زوان بأن زوجته قعدت عليه بطريقة خطأ وأن عضوه "انكسر". قالت له زوان إن العضو التناسلي للرجل لا ينكسر، مجرد تمزق. لو كانوا يعلمونكم تعليما جنسيا صحيحا في المدارس

هنا لما قال هذا الكهل إن عضوه "انكسر". أعطت الرجل، بينما تقطب جبين الفتى، خطبة طويلة عريضة عن الفرق في النظام التعليمي بين الصعيد وبين الشمال في باريس أو لندن أو برلين.

كان الرجل لا يزال ممسكا بعضوه تحت جلبابه، لكنه وضع ساقا على ساق واعتدل في جلسته وقال لها إن النظام التعليمي في محافظات الساحل الاسكندنافية أفضل. انبهرت زوان بهذا الحقير المتعلم. سألته كيف تثقف كل هذه الثقافة رغم أنه حقير وليس لديه ذوق إذ يبدو أن امرأته سمينة جدا. قال الكهل إنه يتابع نشرة الأخبار يوميا ويستمع إلى إذاعة لندن قبل أن ينام.

"صحيح يا معلم؟!" تساءلت زوان بفرحة واندهاش. تبدل الرجل أمامها، صارت تراه شخصا آخر، يخفي مظهره جوهره، يحتاج إلى عين مختلفة. سلمت الممرضة إبرة التقطيب وطلبت منها أن تلضم الخيط وتقطعه. وأن ترى إن كان في المريض أي جرح خفي. انحنت على ركبتيها أمام الكهل – المعلم – وطلبت منه أن يريها الإصابة.

أمسكت زوان عضوه الرجل ونظرت إليه من أكثر من زاوية، "تعرف يا معلم أنني تمنيت من زمان أن أمسك قضيب رجل عادي زي ما بمسك دراعه وأنا بكشف عليه؟ وأنا صغيرة كنت بتمنى إني ألعب مع الولاد ألعاب القَرْص. بعد القرصة المئة لا أظن أننا سنفكر في شيء غير اللعب حين نلمس بعضنا بعضا. لكنني كنت في مدغسة في باغي، واللمس هناك محدد، أبوك وأمك والنطع اللي هينام معاك علشان الجنس. العيشة

في محافظات الشمال بتقتل اللمس يا معلم. والله. بتقتل اللمس."

في هذه اللحظة دخلت الغرفة طبيبة زميلة لزوان لولا الغيرة لكانتا صديقتين، طبيبة أمراض نفسية من محافظة فلسطين، تزوجت منذ ثلاث سنوات وسافرت إلى محافظة الولايات المتحدة، لكنها عادت لقضاء فترة الامتياز هنا، في محافظة مصر. نظرت مليا نحو زوان وسألتها إن كانت تريد مساعدة، وزوان شكرتها، وأخبرتها أن الأمور على ما يرام. الزميلة وعدت أن تعود مرة أخرى بعد نصف الساعة.

كانت زوان خاشعة كأنها تصلي، لكن المعلم متوتر، راجع برأسه وجذعه إلى الخلف كمن يتحسب لضربة خاطفة، تنغلق عيناه وتتقلص عضلات وجهه من الألم مع كل حركة ضئيلة، بينما الفتى والممرضة مشدوهان. الممرضة تستند على فخذ الفتى غافلة عن أن الأبرة لا تزال في يدها، وهذه تنغرس في فخذه فيصرخ وتصرخ الممرضة. تنتفض زوان ويهتز القضيب في يدها فيصرخ المعلم صرخة عظيمة. بسرعة يفتح رجلا الأمن الباب ويدلفان إلى الغرفة ثم يقفان مشدوهين. الجمهور يتجمع خلفهما. الجميع ينظر إلى عضو المعلم متورما ومحمرا ومائلا بانحراف غير طبيعي، وزوان ممسكة به. استجمعت جأشها وقالت له إنها ستعطيه فقط مرهما يخفف الألم، وعليه أن يكون حريصا في الحركة ولا يتعرض لأي مؤثرات جنسية. "لن يستطيع أحد أن يفعل لك شيئا."

.بمجرد أن وصلت جملة زوان الأخيرة إلى أحد الجموع الذين نجحوا في الدخول إلى الغرفة خلف رجلي الأمن لفت رأسه إلى الجماهير من

خلفه وصرخ وهو يرفع قبضة يده في الهواء:

"مؤامرة على أعضائنا"

"مؤامرة على أعضائنا."

سرت المقولة كنار في بقعة نفط، وعلا هتاف الناس في الخارج. "مؤامرة على أعضائنا". "مؤامرة على أعضائنا." وتعجبت زوان من موضوع المؤامرات الذي يرسم ملامح يومها وليلتها. سألت الرجل ماذا حدث، وإذا كان المعلم يعرف بعضًا مما حدث فإنه لم يعرف كيف كان ضحية لمؤامرة.

كما لم يعرف سنغ الذي كتب الجزء السابق من القصة كيف أُقْحِمَ اسمُه كمدبر للمؤامرة. عرف بعد ذلك، إذ تولى مهمة التدوين زميل له مسؤول عن متابعة ميريهان، الطبيبة صديقة زوان. فهي أيضا خضعت للمراقبة منذ اللحظة التي دخلت فيها على زوان في غرفة الطوارئ. كانت على وشك أن تشي لها بسر مهم. لكنها لم تفعل.

مب: 13 أس

سري للغاية

إلى حارس السر من خادمه المخلص أكيليس.

~~خطة محكمة أضع فيها تحت تصرفكم مواهب عائلة أكيليس الفريدة:~~

~~أولا – بيان بالقدرات الفذة لأبناء العائلة~~

~~استدعهم إن رأيت أن تنعم علينا وعلى البرج. ومعا لن يهزمنا أحد.~~

~~1 – جوزيه خوان:~~

~~فتى ساحر تقع في القلوب محبته بلا جهد منه ولا رغبة. فهو راغب عن كل شيء في الدنيا. قادر على قراءة الكف، وتفسير الأحلام، ومعرفة الآتي~~

في مستقبل الأيام. بهذه القدرات أنقذ العائلة من خطر محقق. وهو ايضا راغب عن النساء. ابناه ابناي. وقد فسر حلما لملك إست وصار يعمل مستشاره المالي وأنقذ بلاده من شح وجدب كبيرين.

2 سرغون ران

ولدته أمه على شاطئ النهر ووضعته في سلة، ثم غابت عن الوعي فانزلقت السلة في الماء، لكنها سبحت إلى الشط الآخر ولم يصبها مكروه. حين كان رضيعا نزع بيده عمامة رئيس شرطة منطقتنا، بيصار. نزعها وألقاها على الأرض ودهسها بقدمه. حين جن جنون رئيس الشرطة قال له الناس إن هذا طفل صغير لا يعي، ولكي يثبتوا له ذلك أتوا له بطبق من جمر ووضعوه أمامه. فأخذ سرغون حبة من الجمر ووضعها في فمه ثم ابتلعها ولم يتأذ إلا أنه صار أهتم، لا ينطق حرفين من اللغة نطقا صحيحا، بل يتلعثم في اسمه واسم أبيه. لطالما استهتر الناس به وحسبوه أخرق، لكنه أظهر قدرات لا تبارى. صار صبيا يلعب مع الحيات والعقارب، ويأمر الضفادع والجراد، ويحيل الماء دماء ويحيل الصخور ماء. ولم ينس رئيس الشرطة. ذبح خروفا وعجن دمه بالعشب وأصاب رئيس الشرطة بلعنة لم تبرأ، فصار كلما وُلد له ولدٌ مات، وكلما وُلِد لواحد من ذريته ولدٌ مات. بهذه القدرات استعاد لعائلتنا جزءا كبيرا من حقوقها من أعدائها، إذ الجميع يهابونه ويرهبونه.

3 آرتيميس

الرقيق الشجاع، عازف العود القادر على غسل القلوب وتجهيرها،

وقلبها وعدلها، وطيها وقليها. لا يبارى في النيشان. يصيب الشعرة من مسافة لا ترى منها. ضرب ذبابة على وجه دب بسهمه فقتلها ولم يصب الدب بأدنى أذى. وضرب عملاق عائلة وازعان بحجر فقضى عليه، ثم أخرج عوده وعزف، فرقصت العداء، وبرأ المرضى، وأثمرت عرايش الكروم في غير موسمها.

4 - أبوللو القيس:

الشاعر الفنان، الذي يفهم لغات الإنسان والحيوان. والسمك والطير. شياطين الشعر تخبره بكل شيء. وليس هذا كل شيء. ربما تكون في صفوف الأعداء نساء، هذا احتمال. لو كان الأمر كذلك فهذا رجلنا. ملكة بلاد المثانة خضعت له بمملكتها بعد مكالمة على الهاتف - المحمول لا الأرضي (تخيل).

5 - هيركيوليسام شون:

سرقوته باتع. يضرب المبنى العظيم بيد فينهار، ويأكل العسل من جوف الأسد، يرفع دبابة بيد واحدة ويقشر قصبا ويمصه باليد الأخرى. لا أدعي أن عقله راجح، لكنه طالما كان بعيدا عن النساء فلا خوف منه.

هؤلاء، وخادمك المطيع أكيليس، ستة أفراد. نصف جماعة الفك والربط. أما النصف الآخر فلك لكي تختاره بنفسك. وإن كنت أظن أننا قادرون بمفردنا على القيام بالمهمة، لأننا سنتشرف بأن نكون وحدنا من اخترتهم من بين سكان البرج لها.

ما هذا الكلام؟! فكر أكيليس. سأجعل من نفسي أضحوكة أمام حارس السر. شطب بقلمه على ما كتب ثم شرع في كتابة مسودة جديدة. لم يحتفظ فيها مما سبق إلا بالديباجة الأولى.

سري للغاية

إلى حارس السر من خادم البرج، المخلص، أكيليس.

خطة محكمة أضع فيها تحت تصرفكم مواهب أبناء أكيليس الفريدة:

1 – جوزيه خوان:

خبير استراتيجي. وعالم في الفلك والأرصاد الجوية. ومحلل للشؤون الاقتصادية والجيوسياسية، وخبير نفسي. عمل مستشارا اقتصاديا لملك بلاد إست. تعلم أنه رغم مجهوداتكم الضخمة فإن بلاد إست، ولأسباب جغرافية لا دخل لأحد بها، ليس لها نصيب وافر من الخيرات، وأن البضاعة التي تصل إليها غالبا ما تكون قد فسدت في الطريق. بفضل جهود جوزيه خوان فإن بلاد إست تبنت خطة خمسية، أشرف فيها جوزيه خوان على تقليص النفقات الحكومية وتشجيع الادخار فصارت البلاد تستطيع تحمل أوقات الشدة التي تمر بين أوقات اليسر. بجهوده نستطيع أن نضمن خطة لعموم البرج تكون احتياطيا استراتيجيا لنا حال حدثت مواجهة.

2 – سرغون ران:

بداياته الصعبة جعلت منه شخصية قيادية لا تبارى. تعلم فنون الحرب البيولوجية وصار خبيرا بها. قائد عسكري محنك. وخبير في الجغرافيا

العسكرية. حين يجمع هذه الخبرات معا يفاجئ الجميع بقدراته على استخدام الجغرافيا الطبيعية والبيولوجية لصالحه. سأعطيك مثلا. تعاركنا مع فلاحين في بلاد وازعان أكثر منا عدة وعتادا، فجهز للمعركة بتجميع كمية من الجراد ثم تركها تتكاثر داخل أوان زجاجية. حين اقترب الجيشان أطلق الجراد الجائع من الأواني فانطلق نحو الأراضي الزراعية التي يختبئون فيها، وهربوا دون أن نطلق عليهم سهما واحدا. وهو أيضا خبير جيولوجي، قادر على شم رائحة الماء في الصحراء والجبال. أضف إلى ذلك كله أنه درس القانون على يد الأستاذ حموزايد. دراسته للقانون جعلت منه ذا رأي سديد يفرض روحه القيادية في كل مكان يضع قدمه فيه.

3 – آرتيميس يوسا:

بطل في سلاح الرماية. وخبير في الحرب المعنوية والنفسية. حين كان في الثانية عشرة من عمره قتل عملاقا من قبيلة معادية. كان صاحب الفكرة. أصر، من واقع موهبته في الحرب النفسية، ان فعلا كهذا كفيل بإنهاء الحرب، بينما لو قتل هو على يد العملاق فإن ذلك لن يؤثر في الحرب شيئا. لا يستهان بأثر الشؤون الترفيهية التي يقدمها للجيش. وهو أيضا خبير في "الكاموثلاج" (الكاموفلاج، ولكن أهل برج الأسد ينطقونها هكذا، يقلبون الفاء ثاء)

4 – أبوللو القيس:

خبير الاتصالات السلكية واللاسلكية، الأرضية والمائية والجوية.

ومتبحر في علوم فك الشفرات، ومحنك في علم اللسانيات واللغات. صاحب مركز لدراسة حالات التخاطب عن بعد، وباحث في شؤون المؤثرات الجوية الاصطناعية. مواطن خبرته فريدة تجعل منه إضافة لا تبارى في أي حرب أو مواجهة. كما أنه خبير في التنويم المغناطيسي. وليس هذا كل شيء. ربما تكون في صفوف الأعداء نساء، هذا احتمال. لو كان الأمر كذلك فهذا رجلنا. ملكة بلاد المثانة عرضت عليه التنازل عن عرشها له فرفض.

5 – هيركيوليسام شون:

بطل رياضات القتال وفنونه. أثناء تدريباته شق أسدا نصفين وأكل عسلا من جوفه. رفع دبابة بيد واحدة وكان يمص قصبا باليد الأخرى. لا أدعي أنه الأرجح عقلا. لكن لا غنى عنه في المواجهة. هو فرد بثلاثين ألفا. بالإضافة إلى ذلك لا مشكلة مع رجاحة عقله طالما ليس في الموضوع نساء. بصراحة، من الأفضل لنا أن نضمه معنا، لا أضمن غضبه إن تركناه خلفنا، فهو يحب الحرب محبة السباع للحم.

هؤلاء وخادم البرج المخلص أكيليس سنكون ستة. نوفي الجوانب المطلوبة في الحرب. في العائلة مواهب أكثر إن شئت. كلما كنا، جماعة الفك والربط، فريقا واحدا متجانسا، لنا نفس الجينات، كلما كنا متفاهمين أكثر.

استدعهم ودعهم ينالوا من خيرك.

خادم البرج المخلص

أكيليس

طوى أكيليس الرسالة. تناول كوب ماء. ارتعش هذا في يده وسقط بعض الماء على حجره. أعاد كوب الماء وقام ليغير البنطلون. وقعت عينه في المرآة على أثر ضربة الضابط في فخذه: من قال إنه لا يتذكر ما فعله حارس السر به؟!

هل يمكن أن تكون تلك الخطة المحكمة التي يريدها حارس السر؟ يمكن، بعين الرضا. ولكن ـ لغرض الحقيقة – فإن أكيليس التقط جوهر فكرة حارس السر رغم أن هذا لم يبلغه بشيء مم فكر فيه.

مب: 14 شر

وحدث أن المعلم أخبر زوان بما صار. إذ إن شيخ المسجد الذي صلى فيه المعلم اليوم كان مختلفا عن عادته. مظهره الخارجي كما هو. كانت جبة وكان قفطان. كان منبر وشخص يصعد إليه أبطأ من المعتاد. وكان مصلون. المصلون يعتقدون أن الشيخ دائخ بسبب خبطة أو ما شابه لأنه كان يضع بلاسترا طبيا على أنفه. لكنه لم يبد متألما، بل واجه الناس بابتسامة ملء وجهه. عيناه تضيقان فيختزن الجفنان بينهما لمعة من بلل، وخليطا من حب وشجن وخفة دم. وضع الشيخ يده على قلبه ثم حركها حركة دائرية وأخذ نفسه عميقا، ثم حرك نفس اليد حركة دائرية أخرى، ببطء، وأخرى، ببطء، وسمع الناس أنفاسه العميقة تتردد في الميكروفون. هل تنظرون هذه الحركة الدائرية البسيطة؟ سأل الشيخ مستمعيه. وسأل: كم تكلفنا هذه الحركة؟ صمت الشيخ انتظارا للإجابة.

صمت أكثر وركز عينه في عيون المستمعين كأنما في كل عينين على حدة، ثم رفع رأسه نحو السماء وأطال كأنه يبحث عن الرب، فأطرق الناس رؤوسهم وفكروا في سؤال يرفعون به هاماتهم. وفجأة علا صوت الشيخ بكلمة "سبحاااااانو". وكانت رؤوس جرؤت على الارتفاع فعادت إلى الإطراق. ثم سكت الشيخ. ثم تكلم الشيخ بصوت شجي كحبيب يهدي محبوبه ورده، أو أب يسدي ابنته نصيحة:

سبحانو خلق اجسامنا وقال افهموها

اديتكوا زراير وعليكو تشغلوها

وتر على وتار الكمان يعزف ألحان

بس شوية حنان، وإلا تقطعوها.

ثم استمر الشيخ في تحريك يده فوق قلبه. وقال إن الناس صاروا يطيعون أوامر الله ولا يستقصون حكمته. وذكرهم بأن الله خلقنا لنستقصي حكمته بالتجربة. من أجل ذلك طرد الله آدم وحواء من الجنة، ومن أجل ذلك خلق الله الناس شعوبا وقبائل وذكرا وأنثى. كان قفطان الشيخ بنيا وعمامته بيضاء، وكان المنبر خشبيا، ولونه بيج فاتحا، يبدأ بسلمتين بارزتين ثم ما بقي من الدرج يحتضنه درابزين المنبر. وكانت في السقف مراوح تعطي المصلين نسمات رقيقة جدا. قبض الشيخ بيده على درابزين المنبر وقال إن الله ربي وربكم يؤخر بعض المتع في الدنيا ويقدم أخرى، كل بميقات معلوم. أشار الشيخ بأصبع يده اليسرى إلى يده اليمنى

وهي تتحرك فوق قلبهَ. المصلون رفعوا أعينهم ينظرون إلى إشارته وحركة يده. قال للمصلين: هل ترون هذا الفعل البسيط؟ إذا فعله ذكر لأنثى أو أنثى لذكر أسعدها وأسعدته. كم يكلفنا هذا؟ لا شيء. لكنه يمنح سعادة ورضا ولحظات من السكينة قد لا يمنحها مليون جنيه قاهري أو حتى جنيه لندني يضعها إنسان في البنك. إن الله يقول إنكم تخلقون طائرات وصواريخ وموبايلات. وإن الله يقول إنه يخلق هذا، يخلق المتعة، وهي لا يستطيع أحد أن يخلق مثلها.

لم ير الحاضرون شيخهم بهذا الخشوع من قبل، لقد كان مرتاحا ومريحا، وقد أظهر من الإبداع الكثير. عباد آخرون في مساجد أخرى رووا حكايات عن شيوخ آخرين. لقد كان تجلي الرب واحدا لكن الرسالة مختلفة.

ولما كان وقت صلاة العصر فإن شبابا علموا بما فعل هذا الشيخ الذي مسح على قلبه. فغضبوا غضبا شديدا. غضب الواحد منهم حتى صار وجهه أحمر كثمرة الطماطم، وساخنا كقدر ماء الاستحمام، حين يغلي، فقاقيع فقاقيع. صعدوا إلى المنابر في غير وقت خطبة وخطبوا. كان هؤلاء شبابا جامعيين في مختلف المحافظات، وإن في محافظات المنطقة الشرقية الوسطى أكثر، يشغلون المساجد المهملة، فيفرشون فيها حصرا ألوانها سادة بعيدة عن الزركشة. مساجدهم صغيرة، أسفل العمارات. الأسمنت فوقها يخنقها ويحد من فرصتها في أن تكبر. لكن الله هيأ لميكروفوناتها أن ترتقي، من طابق إلى طابق، حتى دخلت نوافذ الناس وعلت أسطح

العمارات. أعطاها الرب بركة فصارت أكثر من ميكروفونات المساجد الكبرى. خطباء كثيرون يومها ضربوا للمسلمين مثلا: إن جاسوسا زار الأندلس قبل أن يفقدها المسلمون فرأى فتى مسلما يبكي عند شجرة فسأله عن سبب بكائه، قال لقد رميت التفاحة بسهمي ثلاث مرات فلم أصبها إلا مرتين، فعاد الجاسوس إلى من أرسله وأخبرهم أن الوقت لا يزال مبكرا على حرب المسلمين. وبعد سنوات عاد إلى نفس الموضع، وعند نفس الشجرة، ورأى فتى آخر يبكي أيضا فسأله عن سبب بكائه، وهذا قال إنه ينتظر محبوبته ولم تأت، فعاد الجاسوس إلى من أرسله وقال الآن الآن، وجاءت الجيوش وأخذت الأندلس من المسلمين.

المتزوجون جربوا وصفة الشيخ، والعشاق جربوها، والمراهقون اتفقوا على أن يجربوها لمدة دقائق بدلا من الحسوكة ومسك اليد لساعات. من فوق الأسرة في غرف النوم سمع الأبناء ضحكات. ومن شقق العزاب سمع الجيران ضحكات، ضحكات رضى لأنهم سعداء، لم يكن فيها صرخات متعة تستفز الآخرين. ومن خلف أشجار حديقة الأورمان أو رصيف سور شارع النيل، سمع الناس شهقات. ثم انطلقت الصرخة. "هذه مؤامرة على أخلاقنا – لزقة تزيد الشهوة الجنسية توزع بيننا".

علت الصرخة. خرجت من هؤلاء وغيرهم. وعلم الناس بما حدث من الميكروفونات، من البرامج. قرأوه من حكايات تشيعها ألسنة ثم تؤكدها حناجر. وانتبه الجميع إلى المؤكسج. أكبر مظاهرات في تاريخ المنطقة الشرقية الوسطى من أيام حروب الأراضي المقدسة خرجت بعد

ساعات قليلة من وقت صلاة الجمعة الحزينة. كيف استمع شيوخ هنا لشيوخ هناك وردوا عليهم في نفس الخطبة؟ كيف توحدت القلوب كلها على التحرك؟ كيف وكيف وكيف. طاشت الطائشة، وصار العلمانيون يضربون في المتدينين والمتدينون يضربون في العلمانيين. العلمانيون اليساريون يضربون في العلمانيين المحافظين، المتدينون التقدميون يضربون في المتدينين الرجعيين، المحافظون يضربون في النضاليين والثوريون يضربون في السلفيين. متدينون يتحالفون مع علمانيين ضد متدينين آخرين. وعلمانيون يتحالفون مع متدينين ضد علمانيين آخرين.

إحدى المظاهرات إلى جوار جامعة القاهرة التقطت صوت شهقة فتى في حديقة الأورمان، فحسبته مع فتاة، لكنه كان وحيدا. كان الفتى وحيدا. إنما بكى لأن الفتاة لم تأت. بالضبط كما حدث لفتى الأندلس. تجمع حوله المتظاهرون فظهرت الفتاة، كانت مختبئة خلف شجرة وتريد أن تعرف كيف سيتصرف إن تأخرت عليه. والآن تأكدت أن قلبه يحبها. فخرجت لهم. وقالت هي ذي الفتاة التي لوعت قلبه وجعلته يبكي. وقالت إنها تستحق ما يحدث لها فليأخذوها وليتركوا حبيبها. فأخذها المتظاهرون وقيدوها ووضعوا على رأسها تفاحة. وأعطوا الفتى قوسا وسهما وقالوا له نريدك أن تصوب السهم نحو التفاحة مرتين، فإن لم تصبها في الثانية فلتكمل البكاء. عندها سنستعيد محافظة الأندلس. وإذ رفض فقد أخرجوا له سيخا محميا ووضعوه إلى جوار رقبته ونطحه أحدهم في رأسه فشج حاجبه. الفتاة قالت له أطلق السهم وابق لي فقد أحبك قلبي. كانت الفتاة واثقة أنه لن يخذلها. وهو خوفا من السيخ المحمي قبل. شد السهم وفي

لحظة إطلاقه أغمض عينيه، فسمع صرخة عظيمة اهتز لها جذع الشجرة القريبة إليه. فتح عينيه وهو يحسب أنها ماتت، لكنها، ببركة الرب، كانت حية، وكانت صرختها صرخة خوف وقد انطلق السهم ليقسم التفاحة نصفين. أخذ الفتى سهما آخر وشده. في هذه المرة لم يغمض عينيه وهو يطلقه. وبهاتين العينين رأى السهم يتراقص في الهواء ويستقر في ذراع محبوبته. فصرخ صرخة عظيمة، فكبر المتظاهرون وقالوا: ها هو ذا فتانا يصرخ لأنه لم يصب التفاحة. على الفور ارتفع خطيب فوق كتفين وقال "يا معشر الناس إني أشم رائحة الأندلس"، ثم هتف هاتف ورددوا وراءه وهم يخرجون من الحديقة إلى شارع الجامعة مرة أخرى: "زي الماتادور، هنجيب قرن التور."

وكان هذا هو الفتى الذي تعالجه زوان الآن. وكان فتى وحيدًا، لم ينعم الرب على أبويه بغيره، وجاءهما بعد أن بلغ بهما العمر عتيا، فكانا يدلعانه ويدللانه، وكانا إذ يطلب طلبا يجيبانه بأسرع ما يستطيعان. لا يتأخران ولا يتخاذلان. طيبان أبوا الفتى. بنعمة الله التي تلقياها يتحدثان. ومن بركتها يعطيان هذا وذاك. لا منة ولا تكبر. والفتى نشأ من ذاك رقيقا، لين الحاشية، سريع الدمع، وله ملامح حسنة جدا. فكان مشغولا بالفتيات والفتيات مشغولات به. لكنه لم يعرف امرأة بعد. الحب لديه أغان يغنيها رجل اسمه عبد الحليم حافظ أو امرأة اسمها سيلين ديون. أولهما من محافظة مصر والثانية من محافظة كندا. ولذلك حين رأى الفتى أن زوان أمسكت قضيب المعلم ونظرت إليه بتمل فقد حدث أنه صدم صدمة عظيمة جدا. لم يفوِّقْه منها إلا أن إبرة الممرضة انغرست في فخذه. ثم

تتالت الأحداث فخشي على نفسه جدا من الغاضبين في الخارج. لكنه كان فتى طيبا. لم ينس أن يسأل مرة أخيرة عن الفتاة التي كانت معه والتي أصابها السهم في ذراعها.

وأجابته زوان بأنها لا تعلم أين هي. ربما أخذوها إلى مستشفى أخرى غير تلك.



2

كتاب الحوادث



حو: 1 شر

وكان صباح وكان مساء. ثم كان صباح وكان مساء. يومان بأكملهما بعد الذي رأت زوان وعلمت في المستشفى. وفي مساء اليوم الثالث غلا ثمن المؤكسج. زاد الطلب عليه، وانتشرت في البلاد سوق سوداء للتجارة فيه. لكنه كان باهظ الثمن. لا يستطيع كل الشعب أن يشتريه. فقط من كان لديه فضل أموال وسعة وبسطة يستطيع. وحدث أنه اتخذ أشكالا جديدة. فصار منه دهان مثل أبو فاس، وصارت منه بودرة كبودرة التلك، وصارت منه حقن تعطى في الوريد البارز في الذراع.

وبمجيء الجمعة التالية حمي غضب الشيخ البنجابي، وصار يتحدث ويصرخ كالمجنون. طلب الشيخ البنجابي من الشعب أن يقاطعوا كل بضاعة تأتي من محافظة الصين. كل بضاعة من محافظة الصين لا يشترونها ولا يبتاعون منها. كل التجار الذين يشترون ويبيعون من الصين لا يعطيهم

الشعب نقودا ولا يتسلمون منهم بضاعة. كل بضاعة عليها ختم الصين أو مرت بمصانع الصين أو بمصانع تديرها أموال صينية يقاطعونها. كل واحد من الشعب يشتري بضاعة صينية فالأعداء نصر وشعبه خذل. خذل شعبه من اشترى بضاعة صينية.

وحدث أن أحد الصحفيين المغمورين استطاع أن يحصل على كمية لا بأس بها من المؤكسج. المؤكسج اختاره ولم يختر هو المؤكسج. كان سائرا بعد يوم عمل طويل في صحيفة الأهالي، كارها نفسه والظروف، حين طرقت رأسه لفافة، فتحها فوجد لصائق المؤكسج وتعرف عليها على الفور. لصق واحدة على أنفه قبل أن ينام –حريص هو ألا يراه أحد– وفي الصباح وجد نفسه سعيدا. اتصل بمكتب الوزير وأخبر مساعده أنه يريده لأمر هام. إلحاحه جعل مساعد الوزير يعطيه موعدا في نفس اليوم. الصحفي ذهب إلى مكتب الوزير. في يده ملف. في الملف كانت أسماء الحضور في اجتماع سري في الجريدة غرضه شن حملة منسقة ضد الوزير. أسماء الحضور، مضبطة الجلسة، مكان الاجتماع القادم، خطوات الحملة، أسماء بعض المصادر التي تسرب المعلومات من داخل الوزارة، كل هذه الوثائق كانت على مكتب الوزير هدية من السماء، تماما كما كانت لفافة المؤكسج على رأس الصحفي هدية من السماء. الوزير بنفسه استقبل الصحفي في مكتبه، وسلم عليه وأعطاه منديلا أصفر وشرح له معاني الألوان، ثم رفع الوزير كرافتته ومشاها على وجه الصحفي وداعب بطرفها السفلي المثلث مقدمة أنف الصحفي وشفتيه.

داعب الوزير بكرافتته شفتي الصحفي. فتح الصحفي فمه والتقط الطرف بشفتيه وسحبه بلسانه إلى الداخل، ثم أمسك الكرافتة بيده ومسح بلسانه عليها حتى العنق، وهو يضحك ويقول "هوف، هوف. هوف هوف".

في مساء اليوم نفسه كان لدى الصحفي جريدة ترخيصها من قبرص، وكان لديه طقم صحفيين عامل، ويستقبل راغبين في العمل. بل وكان العدد الأول من الجريدة في الأسواق. كل إنسان في الشعب تجري في دمه ذرة من المؤكسج أحب الجريدة جدا. كل إنسان لم يدخل إليه المؤكسج أبغضها. زوان أحبت الجريدة جدا. ولأن قلبها لم يصف نحو سنغ اتصلت بالصحفي وأعطته سبقا. أخبرته أن سنغ سونغ الصيني الذي يعيش في غاردن سيتي هو الذي اخترع هذا الاختراع لكي يقضي على الشعب. وأعطى هذا الجريدة شهرة في أرجاء البلاد. وبينما تسمى الصحف "الحقيقة"، "النضال" أو "الكفاح"، إلى آخر هذه الأسماء، فإن الصحفي سمى جريدته "العلمادينية". استمع الصحفي إلى انتقادات المنتقدين وهو سعيد. كان مبتسما في وجه الانتقادات. كأنما ابتسامته تطريز أبيض في قماش مخملي بني، وكأن أسنانه عباد شمس يدور مع الضوء.

وحدث لاحقا أن سنغ حصل على لجوء سياسي إلى المنطقة الغربية، في محافظة هولندا، وحصل أيضا على جائزة اللمبة الذهبية للدفاع عن الحريات. وضمه الساهرون إليهم كبير مخترعين، ومساعد رئيس مبتكرين. لقد ساهم في تحرير الناس من عقدهم. أليست الخطوة الأولى في التحرر من العقد أن تضع يديك عليها؟ وضع ناس كثيرون أيديهم

على عقدهم بفضل سنغ سونغ. تذكر الناس ماذا فعل بحاروة باريس في صعايدة مرسيليا، ماذا فعل بنجابيو عصفور في بنجابيي هدهد، وماذا فعل كشمير كشمير في حرير القز. مشاكل لا عد لها ولا حصر، و لم تعد منطقة آمنة في كل البلاد إلا حيث يملك الغربيون قواعد. محافظو المحافظات الشرقية الوسطى فقط، في كل المنطقة الشرقية الوسطى، كانوا آمنين أيضا. لكن في ما سوى ذلك كان كرب، وضيق خلق، وحبسة. الرجال في المنطقة الشرقية الوسطى شعروا بـ"وَش" كبير، وش قادم من الميكروفونات، وزغللة من الصحف والتليفزيونات. وحدث في تلك الأثناء أن جماعة من يهود يعاونهم مسيحيون، أو جماعة من مسيحيين يعاونهم يهود، جماعة كبيرة، دخلوا على شعب الفلسطينيين فأزاحوهم من قدامهم. فقتلوا في يوم واحد ألف امرأة ومثلهن رجالا ونساء قصيري الأجسام، قصيري الأعمار، لأجسامهم ألوان سخط، ولأسنانهم ألوان جوع، وشعورهم متسخة كمن لم يستحم منذ سنين. كل من كان لونه لون سخط، وأسنانه لون جوع، وشعره متسخا، فقد أزاحوه من قدامهم في محلة صبرا وشاتيلا. وقال شعب إسرائيل وحزبهم إننا لم نلمس امرأة منذ سنين فلنأخذ بنات الفلسطينيين نساء لنا قبل أن نقتلهم وقد فعلوا. و لم يكن في البرية أحد يبكي على الفلسطينيين إلا ذووهم، غير ذويهم لم يبك عليهم أحد، ولا صمت لهم أحد ثانية واحدة، ولا تذكرهم أحد بعدها بأسبوع. غير ذويهم لم يتذكرهم أحد.

لكن الذكرى بقيت مكبوتة في القلوب، والذكريات المكبوته تنبت أنصالا، لا تنبت إلا أنصالا.

حو: 2 أس

حتى الشجعان من جماعة الفك والربط، كعرمان وأكيليس وديوكاليون، لم ينجوا من الخوف في هذا المكان الأجرد المقفر الذي أخذهم إليه حارس السر. أوفيد كان مخمورا كعادته. يسير في ظل عرمان ويحاول بلورة استفسار فلا يستطيع إلى ذلك سبيلا. يعول على عرمان ويشعر بالطمأنينة لأنه موجود، لكنه لا يستوعب ما يحدث، ولا لماذا يقف حارس السر في ذلك الموضع الذي يقف فيه، ولماذا يتجمع جماعة الفك والربط الاثنا عشر في الموضع الذي يتجمعون فيه. وقف حارس السر قبالتهم بين جبلين عظيمين، تصفر الرياح وهي تمر من ثناياهما ومن بينهما. جبلٌ عن يمينه، صخور قمته كرؤوس أحصنة عملاقة منكبة إلى أسفل، كأنما في سباق حام نحو المقدمة، ترمح. أجسادها متزاحمة، متدافعة، تتعارك بالركض، وتتقاتل بالهرب. ملتصقة معا ككتلة واحدة،

حتى أكتافها ملتصقة، رؤوسها وحدها منفصلة. أما الجبل عن يساره فإن قمته كباطني قدمي عملاق ممدد. راحة القدم أكبر من سفينة ديوكاليون الكبرى عشر مرات، وأصقل منها. كل أصبع في القدمين صخرة عظيمة تكفي لصلب عشرة رجال. الأرض تحت أقدامهم متشققة كشفتي جمل لم يعد في سنامه ماء يجتره، كباطن قدم أنجزت عمل النهار حافية في أرض حامية. لا نبات في هذا المكان إلا صبارا حاد الشوك، متجهم الملامح، ونباتات شعثاء متناثرة في الجرد كأنها لحية خضراء كالحة على وجه متجهم. في أي موضع من الكائن حلوا؟ وما هذا الهسيس الذي يسمعون؟

وقف حارس السر موليا ظهره لهم، ينظر إلى مساعديه وهم يغرسون في الأرض جسما مستطيلا طويلا تغطيه ستارة سوداء كبيرة. ثم استدار، صار ينظر في اتجاه جماعة الفك والربط الجالسين على بعد مئة متر محسوبة بالميللي. الشمس، المائلة بحيث تجعل ظل الرجل مثل طوله مضافا إليه ظل الزوال، تنظر نحوه. تحميه من الشمس قبعة لها سطح قرصي أسود قطره أكبر ثلاث مرات من قطر رأسه. فوق محيط نصف الدائرة الخلفي مرآة على هيئة نصف اسطوانة معدنية مصقولة، ارتفاعها ثلاثون سنتيمترا، ومقعرة كمحراب صغير. من طرفيها الرأسيين تخرج أسلاك معدنية صلبة. من كل طرف يخرج أربعة أسلاك. تلتقي الأسلاك الثمانية بموازة الحد الأمامي لقرص القبعة الأسود لتثبت عدسة كبيرة من أطرافها. العدسة مقعرة ناحية نصف الاسطوانة، ومحدبة من الأمام. استدار حارس السر بوجهه قليلا وركز نظره نحو مجموعة من الشجيرات على يمين الرجال الجالسين. الشجيرات دخنت، ثم اشتعلت فيها النار. رفع رأسه حتى

لا ينظر في اتجاه الرجال الجالسين واستدار قليلا إلى الجهة الأخرى، إلى شجيرات على اليسار منهم. الشجيرات دخنت، ثم اشتعلت فيها النار هي أيضا. زاد الهلع في الوجوه واستكان الجميع فكأن على رؤوسهم الطير، وحده أكيليس أراد أن يضحك. رفع حارس السر وجهه قليلا ونظر في اتجاههم، ثم أخفضه ونظر نحوهم وهو يلفت وجهه سريعا من أقصاهم على اليمين إلى أقصاهم على اليسار، فما ترى جماعة الفك والربط بمن فيهم أكيليس إلا وقفوا يتراقصون في مواضعهم يحاولون أن يحموا أرجلهم من الآشعة الحارقة المصوبة إليها، بينما يضعون أذرعتهم حول وجوههم كي لا يصيب الحريق أعينهم، ثم يتقولبون ويتكورون على الأرض ويحتمون خلف ملابسهم، حتى صرخ فيهم صوت حارس السر النافذ أن يثبتوا. فإذا به، حين أزاحوا ملابسهم عن أعينهم، قد فرد يديه واتسعت عباءته كطائر يستعد لأن يحلق. وبيده اليمنى أنزل غطاء معدنيا أسود على العدسة فغطاها. وساد صمت تام، خفت صوت الريح كأنما خافت مما هو قادر على أن يفعل بها. لم يبق إلا الهسيس. في الواقع علا صوت الهسيس قليلا. قبل أن يخنقه صوت حارس السر خطيبا، فما عاد يسمع إلا متملصا من بين فجوات الكلام.

"رؤساء أنتم رؤساء لسكان برج الأسد، أنتم، أنتم. وأنا من اخترتكم. رعاية هذا البرج.. واجبكم. حماية هذا البرج.. واجبكم. الذود عن هذا البرج واجبكم، في كنف الكائن ذي الرهبة والسطوة. ليس وحدكم! أنا قائدكم. تسيرون. أتقدمكم. لأصابني قبل أن يصيبكم.. الضر. لعصف بي قبل أن يعصف بكم.. الشر. أسمع زئير صاحب الرهبة وأنتم لا تسمعون.

أهتز لتململه وواحدكم مسترخ، يغسل رجليه في ماء دافئ.

"لقد حدث، نعم حدث، لقد أريتكم بأعينكم. أولم تر أعينكم؟! إنهم قادمون. ولا شك. أقول لكم لا شك. أعيد عليكم: لا شك. قادمون بالجرثومة. لعل رحلتهم بدأت منذ زمن بعيد، والآن فقط وصلوا. ستسألوني لماذا لم يرهبوا الكائن البرج وعادوا من حيث أتوا. أقول لكم إن الكائن البرج يتصرف بمواقيت لا نعلمها. لكنه تململ فأيقظنا وجعلنا نكتشف الشر المحدق بنا.

"كلكم أظهرتم استعدادا لاحتضان الجرثومة إن أتت. كلكم إلا أكيليس (وهنا نظر الجميع ما عدا أوفيد نحو أكيليس، كان أسرعهم التفاتا عرمان، بينما نظر أكيليس إلى الأرض). هو فقط يبقى في جماعة الفك والربط، وأنتم تظلون هنا، في هذا المكان معززين مكرمين، لا الناس تعرف أصل أبناء أوفيد (رفع أوفيد رأسه لدى سماع اسمه وقام مادا يديه متأهبا للمسير نحو حارس السر، لكن عرمان شده من ملابسه وأجلسه)، ولا مصير أهل سفينة ديوكاليون (وضع ديوكاليون يده على وجهه في أسى)، ولا فعال عرمان وزوجته (رفع عرمان رأسه ثم أخفضها، كمن أوشك على الاعتراض ثم فكر ثانية). لن أعلن على الملأ أسبابا لعزلكم. سآتي لكم بطعام أجود مما كنتم تطعمون، وشراب أعذب مما كنتم تشربون، لكنكم هنا ستبقون. هذا الجيل لن يقدر على المواجهة. من اليوم سنختار جماعة فك وربط جديدة، ليس فيهم أحد من القدامى. لا أحد إلا أكيليس. وأكيليس أيضا يملك أرض وازعان. ويخرج منها أبناء أوفيد

تماما ويحظر عليهم دخولها حتى عاشر جيل."

مرة أخرى وقف أوفيد حين سمع اسمه وأوشك على التحرك نحو حارس السر كالمنوم مغناطيسيا، ومرة أخرى سحبه عرمان من ملابسه فأجلسه، بينما يضم حارس السر يديه إلى جسده ويصمت ويلتفت نحو الجسم الضخم المغطى بستارة سوداء ويهمهم بكلمات لا يسمعونها من موضعهم.

الثمانية الباقون من جماعة الفك والربط لم يكونوا – كما العهد بهم – أكثر من تماثيل تخطى عمر الواحد فيهم مئة وثمانين سنة. يجمع بينهم الآن أنهم ينظرون حواليهم وكأنهم في انتظار حدث ما، بنوع من الترقب، الفزع الاستباقي. كأنهم في فيلم شاهدوه من قبل، يعرفون أن مشهدا مؤلما قادم، لكنهم لا يخبرون من حولهم. كان القدامى ينظرون إلى قمم الصخور، وإلى الشقوق التي بينها، ويصغون آذانهم، كأنهم يبحثون بها عن مصدر الفحيح والهسيس الذي يسمعون. ديوكاليون لمح ماكباي، ينظر في اتجاه معين ويمعن النظر. ماكباي هو أكبر أعضاء جماعة الفك والربط سنا، يزيد على المئتين حاليا. قتل أخاه في خلاف عائلي، قضى فترة في السجن أحسن فيها السير والسلوك فعفا عنه حارس السر السابق، وضمه إلى جماعة الفك والربط، ثم أوصى حارسَ السر الحالي بالإبقاء عليه، ليعلم الناس أنه مهما فعلت تستطيع أن تعود لتكون مواطنا كامل المواطنة. وليتذكر الناس دائما أن أهل برج الأسد في أصلهم رعاة أغنام، وأن الزراعة تتلف النفوس كما أتلفت نفس ماكباي.

نظر ديوكاليون في الاتجاه ذاته الذي ينظر إليه ماكباي، إلى أعلى. إلى أين بالتحديد؟ ساعات مرت منذ جاؤوا إلى هنا و لم يتغير شيء. ما الذي لفت نظره؟ لماذا بدا الآن مهتما؟ سحلية ضخمة تنظر إليهم من فوق إحدى الصخور. لو أمعن أي منهم لوجد عشرات، مئات، من تلك هنا وهناك، ليس فقط فوق الصخور، وبين النباتات الجرداء، بل أكيد في قلب هذه الشقوق التي تملأ الأرض. ماكباي خائف لأنه مزارع، يعتقد أن الأجراد تتربص به.

علا الهسيس في أذن ديوكاليون. لا بد أنه بسبب أفكاره، أو لعله ما بقي من صوت الريح التي خفتت. عيناه أيضا تبعت أفكاره، بحركة لا إرادية. نظرت إلى الشقوق. خيل لها أن رؤوس ثعابين تطل منها. لم يكن تخييلا. رؤوس ثعابين تطل منها. في لمحة واحدة سكتت الريح تماما وانتصر صوت الهسيس انتصارا مؤزرا. كل جماعة الفك والربط، كبارهم و"صغارهم"، انتفضوا. الكبار في أماكنهم، والصغار استعدوا للهرب. كلهم ما عدا أوفيد. "اثبتوا في أماكنكم،" صرخ حارس السر. نظروا جميعا إلى مصدر الصوت. يد حارس السر تسحب الستارة السوداء عن الجسم الضخم المستطيل، فتكشف عن صليب خشبي ضخم، ملفوف حوله ثعبان برونزي ضخم مخيف. "من ينظر إلى هذا الثعبان فلن يضره شيء،" صرخ حارس السر مرة أخرى. مَسمَر الجميع أقدامهم في الأرض وعيونهم نحو الثعبان الساكن. حاول عرمان بسرعة تنبيه أوفيد إلى ما يحدث، لكي ينظر إلى الثعبان البرونزي. وهو بالكاد انتبه لكنه لم يكن متحفزا مثلهم. يشعرون حول سيقانهم بالثعابين الباردة

الخارجة من الشقوق، والزواحف التي هجرت الصخور، وهي تغوي أجسادهم بنظرة واحدة نحوها، ولو بطرف عين. لكن العيون لا تكاد تطرف. الفضول والقلق يشدان رؤوسهم إلى أسفل، وعضلات رقابهم تتشنج لكي تبقيها إلى أعلى. أصوات أنفاس سطحية متلاحقة. انزلاق الثعابين على الأرض صار له صوت. وأوفيد، بكل بساطة، استجاب لهذا الصوت، وبمجرد أن طرف بعينه إلى أسفل، بمجرد أن غابت صورة الثعبان البرونزي الساكن من سواد عينيه، هجم عليه ثعبان يفوقه طولا فأطبق على رقبته. دمه انبثق واستقر بعض منه على ملابس عرمان وعلى ظهر يده المفتوحة الأصابع. أحس بخيوط الدم تسيل على ظهر يده ثم بتؤدة فوق أصابعه التي لا يعرف كيف تبدو. تتوقف كل قطرة دم على شفا ظفر له، فيساعدها بنطرة من يده. لم يستطع أن يروي فضوله ولو بنظرة. زاد إحساسه بكل قطرة من عرقه تنضح من تحت إبطه وتسيل على جسمه كحشرة، أو تنضح من منابت شعره ومن خلف أذنه اليمنى. كان عرمان يأمل في أن يبقى أوفيد حيا، فهو أمله الوحيد الضئيل في أن يكذِّب أكيليس يوما ما. والآن راح الأمل. لم يستطع أن يودع أوفيد ولا بنظرة، ولم يستطع أن يحد عليه بدمعة حزن أو حتى لحظة تفكر. فما تبقى من العالم بعيدا عن هذا الثعبان البرونزي المتدلي عن الصليب الخشبي محظور على أعينهم. لا صلة لهم بهذا المتبقي إلا ما يرسل من إشارات إلى آذانهم. وما من شيء يرعب الخائف أكثر من الرؤية بأذنيه.

سمع ديوكاليون، ولا بد أن الباقين سمعوا. سمع صوت ماء يخر على الأرض الجافة المتشققة، وصوت شهقة متقطعة، شهقة أشبه بشهقات

البكاء هذه المرة. اختفى البكاء وجاء صوت صريخ استغاثات متكررة. لا يستطيع ديوكاليون أن يلتفت ليرى ما يحدث، وليس أمامه إلا أن يركب مشهدا. هذا ماكباي بلا شك، ومن غير ماكباي سيصرخ وهو يموت "قادم إليك يا أخي"؟! في هذه اللحظة بالذات هاجم مشهدُ الطوفان ديوكاليون. الاجسام الباردة التي تكبل ساقيه الآن جثث الغرقى. تتحين لحظة لتنقض عليه وتهلكه. ربما تنتظر إشارة من حارس السر، يراه ديوكاليون شبحا إلى جوار الثعبان البرونزي. رغم أنه يكاد يلتصق بالصليب الخشبي، لكن عين ديوكاليون زمت وزمت ووضعت الثعبان وحده في بؤرتها. لا بد أن ماكباي نظر بعيدا عن الثعبان الساكن، ربما نظر تحت قدميه يطمئن أن بوله، نعم بوله – صوت الخرير هذا لم يكن سوى صوت بول يرتطم بالأرض الجافة – لم يزعج الثعابين. لن يقف ديوكاليون هنا في انتظار دوره في الهلاك. تحرك بظهره وبالجنب، دون أن يحرك عينه عن الثعبان البرونزي. يوشك أن يسقط في بحر خلف ظهره. لا لا. هو في أرض جرداء وهذه تهيؤات. صخرة رهيبة ستنزلق الآن مدفوعة بمطر الطوفان وستهلكه. لا لا، ليس ثمة أمطار ولا سحب تنذر بأمطار. يريد ديوكاليون أن يهرب سريعا. قد يتعثر وهو يجري في اتجاه النصف الخلفي الأعمى من رأسه. سيجعل خطواته أسرع قليلا ولكن في سرعة آمنة، سيرفعها عن الأرض بمقدار آمن. لا ينبغي أبدا لعينيه أن تزيغا عن الثعبان البرونزي. بدأ بالفعل يعود إلى الخلف بسرعة أكبر، ثم تحول رجوعه إلى الخلف إلى ركض. الثعابين تثقل ساقيه لكنها لا تلدغه، ولن تلدغه طالما أبقى نظره مصوبا نحو الثعبان البرونزي. حتى متــ ؟ لم يكمل السؤال. انزلقت

قدمه فوق حجر صغير أملس كان ينتظره انتظارا ملولا فوق صخرة ملساء. واستحال كل ما حوله إلى عا لم أملس، لا مكان فيه يتشبث المرء به، وغرق في طوفان ضوء لا نهائي إذ صار قرص الشمس الذي كان خلف ظهره مصوبا إلى عينيه. حرك عينيه المفتوحتين بجذع كغريق يبحث عن طاف. يبحث ديوكاليون في وسط هذا الضوء، أو السماء المحتجبة خلفه عن الصليب والثعبان البرونزي. لكن الضوء لم يستمر أطول من لحظة السقوط، و لم يجد وقد اكتمل سقوطه على ظهره إلا جثثا تسقط عليه من السماء، متحركة وباردة ورشيقة، فتحجب الضوء تماما.

لم يبق من "الجيل الجديد" سوى عرمان وأكيليس. بينما يغادر حارس السر التفت نحو أكيليس، ضم يده وحرك أصبعه الأصغر بإشارة استدعاء سريعة. جرى أكيليس نحو حارس السر و لم يدركه إلا بعد أن غاب في مغارة العودة. وأخيرا أدرك عرمان أن حارس السر اصطفى أكيليس من بين الآخرين. أما هو فمصيره أسوأ من مصير ولده.

حو: 3 شر

نجاحا عظيما نجحت خطة المؤكسج. وإذ تحقق نجاح فإن ذلك أغرى "الساهرون" بتنويع التجربة في محيط الطبقات القائمة، واكتشاف تأثير المؤكسِج على مختلف مناطق النفوذ.

كلم متنفذ الإعلام الذي في لجنة "الساهرون" في الشرنقة رئيس تحرير مجلة الثقافة العالمية قائلا: يا رئيس تحرير مجلة الثقافة العالمية اكتب في صحيفتك قائلا: إنه في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني من السنة يكون يوم للاحتفال. في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني من السنة تخرج الشعوب إلى الحقول والأسواق، فيشترون ورودا حمراء. تيجان الوردة الحمراء تكون حمراء وطلع الوردة الحمراء يكون لونا غامقا. الورود الحمراء التي طلعها ليس غامقا لا يشترون. العروق الخضراء تكون ملساء خالية من الشوك ومحزومة في الثلث السفلي بخيط يجمعها إلى

بعضها. الحزمة كلها موضوعة داخل لفة من الورق السلوفان الشفاف، وفي قلب اللفة "باغ" صغيرة بها بودرة تقاوي. باغ بودرة التقاوي تفتح حين يصل المشتري إلى البيت وتوضع في بعض الماء في مزهرية وفيها توضع الورود. ويشتري الرجال للنساء ملابس داخلية. كلوتات رقيقة الأجنحة. من الخلف تكون عريضة تشف أو تكون دقيقة تزوغ. لو كانت شفافة أو كانت رقيقة، في كلتا الحالتين، تظهر مؤخرات النساء فيها عارية. ومن الأمام تكون الكلوتات دقيقة مع دانتيل أو عريضة مع شبك. يجعلون في جانب الكلوت مشبكا، أو ربطة سهلة الفك، تكون على شكل فينكة أو مربوطة ربطتين هينتين ومدلاة. ويشتري الرجل للمرأة أيضا مشدا صدريا، بمشبك ناحية الصدر في المنتصف غير المشبكين اللذين عند أعلى الظهر. لون المشد الصدري يختاره الرجل، كل مشد صدري مغر جيد. ويشتري الرجل للمرأة بطاقة معايدة ويكتب لها ما يفيد أنها تجعله يحمى وأنه يرغب فيها. يشتري الأزواج لزوجاتهم هدايا، حتى إن كانوا لا يرغبون فيهن ويلعنون الساعة التي رأوهن فيها. ويشتري العشاق للعشيقات هدايا. الرجل الذي يريد أن يغوي امرأة يشتري لها أيضا هدية. أسطوانات الحب تصلح هدايا. الجيبات القصيرة هدايا. الألعاب الجنسية هدايا. الورود هدايا. البارفانات ذات الروائح الشبقية هدايا، الصابون "الفنكي" وسوائل الحمام وزيوته المرققة للبشرة أو المرخية للعضلات والمُزَلِّجَة هدايا. حتى الأدوات المكتبية ذات الإشارات الجنسية تصلح هدايا. كل شيء جنسي أو يمس الأعضاء الجنسية أو يهيجها يصلح هدايا. فالنساء أيضا يشترين للرجال هكذا هدايا – تحفا شقية أو حلقات

أيور إيلاستيكية، مغطة أو أستك. وتزين المحلات واجهاتها بألوان حمراء. كل المحلات تزين واجهاتها بألوان حمراء وتعلن عما لديها من بضائع تصلح هدايا. تغرون الناس لشراء هدايا تغريهم بالنكاح، هذا يجدد حياتكم العاطفية ويفتح فرصا أكبر للقاء. إنه في ذلك اليوم تخلد ذكرى القديس فالنتاين الذي نكح نساء ومات قديسا. وفي هذا اليوم يعلمنا الرب أن النكاح لا ينافي القداسة والقداسة لا تنافي النكاح. من لا يشتري في هذا اليوم هدية تغضب عليه خليلته أو زوجته غضبا شديدا وقد تفكر في مضاجعة غيره من الرجال مضاجعة ليست لزرع. رجلا كريما سخيا تضاجع. ورجلا شحيحا بخيلا لا تضاجع. الكريم السخي يشجع الاقتصاد والبخيل الشحيح يفسده.

ثم كلم مالك ملاك استديوهات هوليود قائلا: كلم ملاك الاستديوهات وموزعي الأفلام قائلا: في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني من السنة يكون أصحاب المال من أهل الشمال قد ضجوا من البرد الذي أبقاهم في بيوتهم كثيرا، ويكونون وفروا أموال شهرين بعد الكريسماس، جهزوا لهذا اليوم أفلاما عن الحب الذي يسعدنا، عن حلاوة كلمة أحبك مصحوبة بهدية مغرية، الهدية مهمة جدا في الحب، إن كنت مفلسا الآن لكنك ستلقى أموالا في المستقبل استدن، المناسبات لا تنتظر أحدا. إن كنت وحدك ليس لك خليلة فأدرك كم أنت تعس، اشتر هدايا أكثر وأرسلها لنساء أصدقائك وأخريات تريد أن تغويهن بحبك، لنساء أصدقائك لا تكتب اسمك على الهدية وللنساء الأخريات اكتب اسمك

الأول. كن غامضا ومرحا وخفيف الدم، إن النساء يحببن الرجل الذي يضحكهن، لكن تذكر، إنهن يحببن الرجل الذي يشتري لهن هدايا أكثر كثيرا.

حو: 4 أس

لم يتحدث حارس السر كثيرا إذ أدرك أكيليس موكبه وهو يسير مسرعا عبر مغارة العودة. مجرد كلمات بسيطة مع محيطيه، دون أدنى التفاتة إلى أكيليس الذي وصل لاهثا. خطا حارس السر ليقف على السير المتحرك الذي يمتد من مؤخرة سيارته الكريستالية عديمة اللون، وحمله السير حتى جلس على مقعد السيارة. حارس السر لا يفتح شيئا ولا يغلقه، ولا يفتح له ولا يغلق عليه، إلا مختارا. هنا، في موضوع السيارة، لاعتبر الفتح والقفل إجبارا. ومن ثم مَيكن أعوانه هذه السيارة الكريستالية تماما من أجله. السيارة الكريستالية تلك لا مجال لأن يأتيها الشر، لا من فوق ولا من تحت ولا من أي من جوانبها. هذا مُمَيكن أيضا. تمنحه الطاقةَ بطاريةٌ وظيفتها أن تخلق مجالا جويا عازلا حول السيارة، منطقة رقيقة من ضغط جوي عال جدا يجعل الفرق في الضغط بينها وبين المنطقة الملاصقة لها تماما

رهيبا، وكفيلا بتدمير أي جسم يحاول أن يخترق تلك الطبقة الرقيقة. ليس للسيارة الكريستالية سائق، بل لها طريق كبسولي مرن يتغير بضغطة زر على خريطة في غرفة التحكم المركزي أو في لوحة التحكم المركزي المصغرة الموجودة في السيارة الكريستالية. غني عن القول إن أحدا على الإطلاق -سوى حارس السر- لم يخط داخل تلك السيارة إلى الآن أبدا.

خطا أكيليس على السير المتحرك واستسلم للتاريخ وهو يصنع. انبهر أكيليس إذ رأى صورته تنعكس على أُبَّهَةِ الكريستال وتتكرر ألف مرة، فكأنه كل شي وكأن كل شيء هو. تلك لَمحة واحدة من أبهة حياة حارس السر، لمحة واحدة، ربما لفرط تفاهتها لم يعد حارس السر ينتبه لها. وأكيليس يسأل نفسه كيف كان يجرؤ على تحديه والحديث إليه بالطريقة التي تحدث بها إليه! وكيف كان حارس السر يتقبل هذا! لو كان حارس السر أباه لما فعل من أجله مثل ما يفعل الآن.

"أنا، أنا، أنا،" قال حارس السر لأكيليس بمجرد أن جلس في الموضع الذي أشار له إليه، على مقعد قريب من أرضية السيارة، بحيث كانت رأسه تعلو قليلا مستوى ركبتي حارس السر. شَخَص أكيليس ببصره إلى أعلى. يقول حارس السر اللفظة بصوت ضخم كأنما يضع في فمه بيضة مسلوقة كاملة، ثم يصمت بين كل لفظة وأخرى كأنما ينتظر من أكيليس أن يبلع بيضة ويهضمها. وهذا يخشى أن يضحك. يعول على ملامح المفاجأة أن تتغلب على ملامح السخرية في وجهه فيبدو مندهشا، مأخوذا، لا مستهزئا. حارس السر لم ينقطع عن النظر بعظمة في عيني

أكيليس والاستمرار، بمنتهى الجدية، في التلفظ بكلمته، عبارته، جملته، كتابه الأحادي اللفظ والمعنى، "أنا، أنا، أنا، أنا، أنا."

لم يقطع عزف الأنا المنفرد سوى وصول السيارة الكريستالية إلى موقعها على طرف حجرة التحكم المركزي. هذه المرة علا سقف السيارة إلى أعلى وانفرد على شكل كريستالة مربعة انفصلت عن السيارة وارتفعت في الهواء ببطء حتى التحمت بالسقف فما صارت سوى مربع كريستالي فيه. وبعد أن غادرا موضعيهما بخطوات قليلة التأم قعر السيارة حول مقاعدها فصار كجوهرة عظيمة من الماس. ثم سحبت جوهرة "الماس" بخيط معدني رفيع فاستقرت في ركن من أركان السقف. ولاحظ أكيليس وجود عدة "جواهر" بنفس الحجم تقريبا معلقة في أكثر من موضع من السقف الضخم الممتد حتى حدود الظلام، ولا أحد يعلم إلى أين فيه.

صمت الاثنان في الخطوات القليلة من موضع السيارة إلى الموضع المعتاد لحارس السر في غرفة التحكم المركزي. ثم جلس حارس السر على الكرسي وبدأ مرة ثانية: "أنا، أنا،"وهنا أراد أكيليس أن يختبر رد فعل حارس السر فرسم على وجهه جذوة ابتسامة، طرفت الجفنين السفليين لعيني حارس السر، تشنجا تشنجا لحظيا، لكنه استمر بنفس الصوت، بل أضخم وبجذوة من غضب، "أنا، أنا، أنا". ثم توقف. وقال لأكيليس بصرامة: "احفظ هذه الكلمة فقط تنج. انسها تهلك. إذا أردت شيئا فإياي تسأل، فإن رفضتُ فلا تطلبه من سواي. لا تسألني لماذا قبلت ولماذا رفضت. ثق بي كما لم تثق بأحد، ولن أخذلك أبدا. هذه كلمة شكرا

الوحيدة التي أريدها منك. ولن تندم. هذا كل ما أريد. أما أنت فسلني ما تريد في أي وقت تريد وستجد بابي مفتوحا لك دوما. وثق تماما أني لن أمنع عنك شيئا إلا لأني أعلم أنه لن ينفعك على المدى الطويل.. فقط تذكر أني اخترتك وكنت قادرا أن أختار أيا من الآخرين. هل اتفقنا؟"

"طبعا،" قال أكيليس مباشرة.

"رد علي ردا كاملا،" قال حارس السر.

"هذا رد لا لبس فيه."

"أعطني موثقا."

"أعطيك الموثق الذي تشاء."

"أريد موثقا منك ومن ذريتك التي ستتولى الأمانة، موثقا مكتوبا، تشهد فيه أنك وذريتك من بعدك ستعاقبون عقابا وخيما إن أخللتم به." وضع حارس السر أصبعه السبابة على أحد تجاويف متراصة إلى جانب بعضها على لوحة التحكم، خرج لوح معدني فضي مستطيل، تناوله وقدمه إلى أكيليس. طلب منه أن يقرأ البنود العشرة المنحوتة فيه قراءة جيدة، وأن ينحت بإزميل ومطرقة اسمه تحتها، ويترك مساحة لأبناء أسرته الذين اقترحهم لكي ينحتوا أسماءهم واحدا واحدا.

أخذ أكيليس اللوح بجذل، نظر سريعا إلى البند الأول، "أنا، أنا،" مكررة. تركه ونظر إلى الثاني: إن فشلوا في منع الهجمة القادمة من الماحول فسوف يهلكهم - هذا معناها الذي التقطه أكيليس في تلك اللمحة السريعة.

لم يمهله حارس السر لينظر إلى البند الثالث، وضع أصبعه الإبهام في تجويف يحمل رقم 7 على لوحة التحكم، نفس المربع الذي يجلس عليه أكيليس. انفتح باب الغرفة وتحرك سير يحمله إلى خارجه وهو يقول في نفسه "يابن الوسخة، كل مرة تطردني وتعاملني بهذه الغطرسة!"

حو: 5 شر

متنفذ التعليم في "الساهرون" كلم رئيس رؤساء المدارس في الشرنقة وأمره بأن يستجيب لدعوة القديس فالنتاين، كلمه أيضا قائلا: اجعل المدرسين يرسمون للأطفال ورودا حمراء على ألواح الكتابة. ورودا حمراء كبيرة مائلة العيدان يرسمون، في كل ركن من أركان لوح الشرح يرسمون وردة، ولو لن يستخدموا لوح الشرح في الدرس وسيبقى خاليا طوال الحصة فليرسموا وردة كبيرة في المركز. وليُعطِ الأطفال استمارات مرسوما فيها وردة حمراء وحلزون وبقايا أكل وشبح، ثم تسألون الأطفال أن يختاروا أفضل ما في الاستمارة. الطفل الذي يختار الوردة الحمراء له تصفقون والطفل الذي لا يختارها لا تصفقون له.

متنفذ التغذية والصحة الذي في لجنة "الساهرون" في الشرنقة كلم "عم بو مسعود" مؤلف كتب الطبخ الشهير قائلا: يا عم بو مسعود ادع زملاءك

الطباخين إلى مسابقة أكل في باريس وأخرى في روما وثالثة في نيويورك. اصنع لهم كعكعة كبيرة سمها كعكة الفالنتاين، تكون الكعكة خمسة عشر سنتيمترا ارتفاعا وأربعين إلى خمسين سنتيمترا قطرا. من مركزها إلى الحواف ارسم خطوطا مستقيمة بالفراولة أو بغيرها من الفواكه الحمراء، إن لم تجد فاكهة حمراء فاستخدم سائل رحيق الفواكه. حين تقطع الكعكة تقطع على طول خطوط الفواكه تلك، فتكون كل قطعة على شكل حرف "في" اللاتيني. هذا أول حرف من اسم فالنتاين. على قمة الكعكة تضع فواكه مرملة، أنصاف فراولة تضع، باشون فروت مشقوقة في المنتصف تضع، وتضع أيضا حلقات من الكيوي والكاكا (الخرمة). تصنع لهم أيضا كعكا صغيرا، تعطي النسا كعكا صغيرا مغروسا في قمته عود اسطواني من الشيكولاته، عود الشيكولاته الاسطواني الأجوف يغرس فوق القمة منتصبا. في قلبه يوضع سائل فواكه. وتكون منافسة. تضع النساء أعواد الشيكولاتة في أفواههن ويمصصن السائل الذي بداخلها ويتعرفن عليه. للرجال في نفس المنافسة تصنع كعكا بكل واحدة منها تجويف جانبي. التجاويف أيضا بها سوائل فواكه. يضع الرجال ألسنتهم في الشق ويتذوقون السائل ويتعرفون عليه. ثم يقسم المتسابقون إلى أزواج ويرش كريم شانتي على كل متسابق ثم يطلب من شريكه أن ينظفه بلسانه. المتسابق الذي ينتهي أولا يفوز.

متنفذ المال الذي في لجنة "الساهرون" في الشرنقة تكلم إلى كبير رجال الأعمال قائلا: سيكون احتفال قريبا، وفر هذه الخامات من أجل الاحتفال ولن تندم. وأرسل له بالفاكس قائمة بكل الخامات المطلوبة لجميع أوجه

الاحتفال. احتفالات الفقراء لها خاماتها واحتفالات الأغنياء لها خاماتها. ولكل سن خاماته، كما لكل مزاج، ولكل قياسِ جسمٍ، ولكل منطقة.

في هذه الأثناء، وبينما كان كل شيء يعد للاحتفال، كان عملاء للجنة "الساهرون"يعدون للخطوة القادمة، يخفون مسحوقا من المؤكسج، أعده لهم سنغ خصيصا، في مطبخ طعام بابا المنطقة البروتيكانية، ومطبخ رئيس ائتلاف المحافظات الأمريكية.

حو: 6 أس

في جلسة واحدة في بيت العائلة قرأ أبناء أكيليس بنود الموثق وحفروا توقيعاتهم عليه، حفروها بالإزميل والمطرقة. كم كان الخيار سهلا: قيادة البرج مقابل التعهد بحمايته من الأخطار الخارجية، البرج الذي لم يتعرض في حياته لخطر خارجي واحد، ولا يبدو لهم أنه سيتعرض لخطر خارجي حقيقي. نعم هناك مجسات رصدت في الماحول. لكن من يعلم؟ ربما كانت ثمة مجسات موجودة من قبل لكن أحدا لم يرصدها لأنهم لم يكونوا يسمحون بصناعة أجهزة الرصد. قال لهم أكيليس إن الخطر المزعوم هو نفسه الجرثومة التي حذر منها بساريا أخطبوط منذ آلاف السنين، والتي لا يعرفون حتى الآن كنهها، وإن كانوا يعرفون فعلها. أعاد عليهم ما يعرفه عنها، ارتباطها بالعري، ولا سيما الذي يشمل فتحة ضيقة أو واسعة، وأعاد عليهم المقطع الذي ذكره حارس السر في خطبته من الكتب

القديمة: "التي تجعل الناس يمشون على رؤوسهم، لا يبالون بأمر، ولا يلتزمون بنهي، لا يفكرون في مصلحة، ولا يطلبون عدلا، تضيع مروءتهم فلا يتقصونها، وتعصيهم أنفسهم فلا يؤدبونها. يفكرون بالوسائل ولا يفكرون بالعواقب، يفكرون في اللحظة القادمة ولا يفكرون في الساعة القادمة. دقيقة ضحك تصير أثمن لديهم من ساعة تأمل. يفضلون رياضات السرير على رياضات الجيم، وبذر المني على بذر الحب. لا يستشير الناسُ قبل أن يفعلوا، ويفعلون قبل أن يحسبوا، ويفرحون قبل أن يتأنوا."

هيركيوليسام شون وحده الذي ضحك بصوت عال على ما قال، وقال لأكيليس: "يا حلاوة يا خال، صرت تحكي لغة البلا بلا".

أكيليس نهره ثم رفع عصا بجواره وضربه، "أنت الذي ستفشل مهمتنا يا بن الكلاب، إياك أن تقول هذا الكلام مرة أخرى".

عاد أكيليس ونبههم رغم ذلك، ومن باب نهجه الدائم في التحسب حتى لأضعف الاحتمالات، إلى ألا يسلموا بتحليله هذا لأنهم يعرفونه – "سيئ الظن وتهكميا".

لا سوء الظن ولا حسنه كانا قادرين على أن يفسدا شعور آل أكيليس بالانتصار. حارس السر يريد منهم الانتصار على عدو مجهول. بها ونعمت. لكنهم انتصروا بالفعل على عدوهم الذي يعرفونه. أوليس هو الذي منع أبناء أوفيد من دخول وازعان لعشرة أجيال؟ ومن قبلُ ألم ينف أبناء جنين بن سخنين بن ديوكاليون إلى بلاد بلابلا؟ إن ذلك لانتصار ذو مذاق.

حو: 7 شر

وكان بابا المنطقة البروتيكانية حين يخلد إلى النوم كل ليلة، وفي قيلولته اليومية، يتحدث إليه صوت قائلا: فلتغير لفظة اللـه الموجودة في الكتاب المقدس العربي إلى لفظ آخر. اللـه هذا إله المسلمين. إله اليهود والمسيحيين الذي في الكتاب المقدس لا يصح أن يسمى اللـه، اللـه هذا اتركوه للمسلمين، وقولوا عنه إنه إله لا نعرفه نحن. قولوا عنه إن اسمه مشتق من اللاة التي كان يعبدها العرب. قولوا إن المسلمين وثنيون وعبدة شيطان. طالما ظل إله المسيحيين واليهود في الكتاب المقدس هو اللـه لن تستطيعوا أن تقولوا هذا. ويصحو البابا من النوم يسأل نفسه من أين سمع هذا الصوت. الصوت يتحدث بالعبرية أحيانا، وأحيانا بالأرامية يتحدث الصوت، وحتى بالإيطالية يتحدث. لكن الرسالة دائما واحدة، واحدة رسالة الرب للبروتيكاني. احتار البابا، تمنى لو يتحدث الصوت إليه وهو

مستيقظ لكي يناقشه. حين يكون البابا مستيقظا لا يتحدث الصوت، رغم أن البابا يظل مرهفا السمع، وإذ ينام البابا يتحدث الصوت. بعد ستة أيام بالتمام والكمال كلم البابا مستشاره قائلا: يا مستشاري لقد تحدث الرب إلي عن أمر عظيم. ثم قص عليه القصة. بعدها كلم البابا مستشاره قائلا: يا مستشاري أشر علي، فإن هذا أمر خطير. إذا قلت هذا الكلام سيكون غضب ويكون بلاء عظيم، المسلمون سيقتلون المسيحيين البسطاء، ويحرقون متاجرهم، ويضعون قنابل في كنائسهم. وإن لم أبلغ الرسالة فقد خنت الرب. وأنا أستشيرك لأنك مني بمنزلة هارون من موسى. ببنت شفة لم ينبس المستشار. بل انحنى المستشار وقبل يد البابا وخرج وأغلق باب غرفة البابا خلفه. أول ما فعل المستشار أنه اتصل بمسيحيين هاجروا من بلاد المسلمين. وقص عليهم ما حدث. وحين سألوه ماذا نفعل. لم يجبهم. ببنت شفة لم ينبس المستشار. قال إنه يبلغهم ولا يأمرهم.

عضو الأديان الذي في لجنة "الساهرون" اتصل بصديقه في هيئة الإذاعة العالمية وأعطاه اسم قس ليستضيفه. اسمه القس براون. رجل صالح يرعى مصالح المسيحيين المهاجرين من بلاد المسلمين، فيشتري لهم كرات ليلعب الأولاد بها، ويشتري لهم حلوى وكعكا، ويدلهم على أماكن يسكنون فيها إلى جوار كنيسة تابعة لطائفتهم. كان البرنامج في العاشرة صباحا، في اليوم الثامن والعشرين من الشهر التاسع، في السنة العاشرة من القرن، وكان يوم أحد.

من قصص المهاجرين كره القس الإسلام كرها شديدا، رآه دينا شريرا،

لا يعرف المحبة ولا التسامح، ولا يؤمن بالرب يسوع المسيح المخلص. وهكذا قال في البرنامج. قبلها بأسابيع، في اليوم الحادي عشر من الشهر التاسع نفسه، من السنة العاشرة في القرن نفسه، تعهد قس آخر بحرق كتاب المسلمين. قال إن كتاب المسلمين شرير ويحض على قتل غيرهم. وأقسم أن يحرقه. رجل آخر تعهد بأن مآذن المسلمين لا ترتفع في محافظته في المنطقة الغربية.

المسلمون غضبوا من هيئة الإذاعة العالمية. كاسحا كان غضب المسلمين. كأنه نار تؤججها ريح تصرخ في الظلام، وكأنه خشب يقرقع في اللهب، وكأنه أصوات دلاء معدنية فارغة تتخابط بين أياد في محاولة يائسة للبحث عن ماء. مثل ذلك وأكثر كان غضب المسلمين. المسلمون بارعون جدا في الغضب. وكانت دماء كثيرة. دماء كثيرة سالت اعتراضا على وصف الإسلام بأنه دين لا يكترث لسفك الدماء. وخرج رجل منمق حليق الوجه يرتدي بذة منمقة. وتحدث الرجل المنمق إلى شعوب المنطقة الغربية قائلا إن معسكر السلام سيشن حروبا كثيرة، وإن محبي الحرية سيفرضون الحرية. قال إن الرب أوحى إليه بأن يأمر أصدقاءه يكتب كل منهم اسمه على عصا، ويجمعها المنمق في خيمة الاجتماع. من رضي عنه المنمق أينعت عصاه، ومن غضب منه تيبست. تيبست كل عصا أغضبت المنمق. وأينعت كل عصا أبهجت المنمق.

مقلق جدا ما حدث تلك الأيام بالنسبة للشعوب. المؤكسج كشف في نفوس الناس غمامها. وصار كرب عظيم. وصارت الحياة على الشرنقة لا تطاق. أهل الشرنقة الذين نموا معا إلى الحصاد صاروا قمحا وتبنا. وتكلم

جميع "حكماء العقول" في عموم الشرنقة الذين ملأتهم روح حكمة إلى تابعيهم أن يجمعوا التبن حزما ليحرق وأن يجمعوا القمح ويأتوا به إلى مخازنهم. كلٌ يظن نفسه القمح ويسمي الآخرين تبنًا. صار كل واحد أكثر إيمانا بصوابه، ونظرت لجنة "الساهرون" إلى ما يحدث فرأته دليلا على صوابها. قالوا لأنفسهم لقد غرسنا للناس بذرة حب وبذرة بغض، قلنا لهم إن الحب بالهدايا، وصفنا لهم الكعك وصفا دقيقا، والملابس التي تصنع الحب وصفا كاشفا، لكن التربة البور لا تنبت إلا بورا.

حو: 8 أس

مندرة عائلة أكيليس مبنى من طابق واحد منفصل تماما عن البيت الكبير، ويبعد عنه مسير خمس دقائق تقريبا. في أيام الأعياد تفتح أبواب المندرة لتلقي التهاني، وفي الوفيات لتلقي التوديعات. أما في الخصومات - كما هي الحال اليوم - فتبرز الوظيفة الأهم للمندرة، ويجتمع كل أفراد العائلة للتوصل إلى حل مرض. سرغون ران هو الذي دعا العائلة إلى الاجتماع، وهو بالتالي أول من وقف فيهم خطيبا:

"أأأأأنتم تعلمون أأأأأأأن كبير عائلتنا أأأأأكيليس هو الذي حمى هذه العائلة. ووووووحافظ على مكتسباتها وثرواتها بما له من صلات على أأأأأعلى مستوى في البرج. وووولولاه لما كنا الآن في الرغد الذي نحن فيه. إإإإإإن أأأأأأأكيليس زاد رفعة وشأنا، بببببفضل إإإإإخلاصه وتفانيه، ووووإإإإإإن قيادة البرج كما تعلمون هي التي أأأأأأوكلت إإإإإإإليه اختيار

بعض من أأأأأأبنائه الأقربين لكي نقوم بمهمة عظيمة ستغير شكل البرج إإإإإإإلى الأأأأأأأأأأأبد. ووووووهو يعرف أأأأأأنكم أأأأأأأأأأأنتم العائلة التي لا نعيش بغيرها، للللل لذلك أأأأأأأوكلني أأأأأأأأن أأأأأأأستمع إإإإإإإإإإلى مطالبكم."

لم يكن سرغون يهوى الكلام العلني، ولا يفعله إلا مضطرا. لثغته تغري الناس به مما يضطره كثيرا إلى اللجوء إلى العنف دون نية مسبقة، ليثبت لهم أن تردده في الكلام لسبب عضوي لا يعني أبدا أنه متردد في الفعل أو جبان. لم تكن لثغته هي التي أغرت به في ذلك الموقف رغم ذلك، بل كان الأمر أكثر مباشرة. هذه عائلة مرت معا بصعاب لا تعد ولا تحصى خلال الفترة الماضية حتى وصلت إلى النقطة التي وصلت إليها. وحين وصلت إلى وقت الحصاد اختار أكيليس أبناء بعض من أبنائه دون الآخرين لكي يمنحهم سلطة على البرج. لو فعل هذا مع أخيه جيزاوي الذي حدثت الوقيعة بينهما منذ زمن لكان ذلك مفهوما، لكنه فعل هذا مع العائلة التي بقيت معه والتي كلها من نسله. وكان سرغون يدرك ذلك جيدا إذ يتحدث على المنصة. المنصة؟! ليست أكثر من كنبة في الصدارة، أمامها طاولة بمفرش أبيض مطرز على حوافه بطريقة معينة حددها حارس السر بنفسه في خطاب التعيين الذي أعطاه لأكيليس. التطريز يأخذ شكل دوائر من خيط أسود، قطر كل منها سنتيمتران. تحوفها نقاط حمراء الواحدة منها على بعد ميلليمترين من الأخرى. وفي قلب الدوائر السوداء دائرة مصمتة ليلكية.

مسح سرغون بيده على المفرش الأبيض ونظر نحو الجالسين أمامه على الكراسي الخشبية ذات الرجل الواحدة العريضة. الكراسي قصيرة بحيث يستطيع الجالس عليها أن يضبط جلسته بقدميه طوال الوقت. أهل برج الأسد يعرفون أن الكرسي ذا الأرجل الأربعة أريح في الجلوس، لكنهم يتعمدون صناعة كراسيهم بهذه الطريقة لكي يظل الواحد منتبها لنفسه وواعيا طوال الوقت فلا يبالغ في الفرح ولا الغضب ولا الانسياق وراء انفعالاته. نظر سرغون، إذ تحدث، في اتجاه معين أكثر من غيره من الاتجاهات. في اتجاه عمه أبو قورة وأبنائه. أبو قورة طلب الكلمة ثم وقف متكئا على كتفي ابنيه عن اليمين واليسار. الابن الذي على يساره وقف نصف وقفة لكي يسنده، والثاني سارع إلى إزاحة الكرسي إلى الخلف والاطمئنان على توازنه لأن سقوط الكرسي حين يقف المرء شيء مشين لدى أهل البرج. مسح أبو قورة بأطراف أصابعه على الوصلة بين ذراعه اليسرى وصدره، تنحنح، ثم قال بصوته الذي لا يزال فيه كثير من شباب فتي رغم جسمه الهرم:

"أنت تتحدث من على المنصة وعملك يجلس بين الناس. هذا غريب! حتى أخي الراحل ران المناوي لم يفعل ذلك، فأنا أكبر منه سنا وكنت أفصح منه لسانا وأكثر منه إقداما. أنا الذي كنت أتحدث مع أبي أكيليس باسم إخوتي حين لم يجرؤ واحدهم على أن يواجهه. وأبي لم يكن ليفعل شيئا دون مشورتي أبدا. هل تريدني أن أصدق أن أبي يتجاوزني أنا وأبنائي من دون جميع أبناء زوجته الأولى؟"

على عكس سرغون، كان أبو قورة خطيبا مفوها، لا يتلعثم ولا يتأتئ، لا يكرر لزمة في كلامه لكي يبحث عن كلمات يضيفها، فصيحا كخطبة مسجلة سلفا، ثري اللغة كمعجم. نصف ساعة وهو يتحدث بلا توقف عن نفسه وعن أبنائه وعن دورهم في ما وصلت إليه العائلة. كانت خطبة حماسية ملهبة. تململ بعدها الجميع. حمون ران المناوي نظر إلى أخيه سرغون نظرة ملؤها القلق. حمون مثقف العائلة لا يبارى في طرح الحجج وتأليف القصص، وروايتها، لكنه متردد لا يملك روح القيادة، ميال إلى السلم مهما كان الثمن طالما كان في موقع المسؤولية، وإن كان هذا لا يحرمه من اتخاذ مواقف متشددة، وحكيمة في الوقت نفسه، طالما لم يكن هو المنوط بتنفيذها. سرغون يحتاج إليه دوما لترتيب أفكاره. وحمون بمواهبه كلها لا شيء على الإطلاق دون قلب سرغون وزنده. أخذ سرغون نفسا طويلا، نظر إلى الأرض مليا، إلى ورقة كتبها له حمون بخط صغير. ثم نظر إلى أعلى وبدأ يتحدث بهدوء. حاول أن يفهمهم أن لا شأن له بالأمر من قريب ولا من بعيد. قال لهم إن حارس السر هو الذي حدد العدد وإن جده أكيليس كان يتمنى أن يكون عدد المختارين من أبنائه أكبر لكن طلبه لم يلب. ظل السؤال لدى أبو قورة كما هو: فلماذا اختار أبناء أخيه ران المناوي وغيره من إخوته و لم يختر من أبنائه هو؟ بل إنه اختار من أبناء يوسا اثنين – أرتيميس وابنه أبوللو القيس – كيف هذا؟ وإذ بدا أن اقتناع أبو قورة ليس سهل المنال، اتفق الجميع على أخذ راحة قصيرة تهدأ فيها الأعصاب ويتناول فيها الجميع عصير كمش الإنزيمات، ثم يعودون إلى الاجتماع مرة أخرى.

خرج سرغون وتحدث إلى أخيه حمون حديثا سريا لم يشاركهما فيه أحد، لا الموالون الذين لهم تمثيل فيمن اختارهم أكيليس، ولا المترددون الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومعظمهم من أولاد أكيليس من زوجاته التاليات، وهؤلاء تربوا قانعين بأنهم درجة ثانية في العائلة. عاد الجميع إلى المندرة واصطفوا عند بابها. اطمأنوا على مستوى إنزيماتهم، كان أبو قورة الاستثناء الوحيد، لا يزال يحتاج إلى درجة ونصف أقل من معدل إنزيم الغضب.

دخل أبو قورة إلى غرفة جانبية في المندرة مجهزة خصيصا لهذا الغرض، فيها دمى محشوة بالقطن المقوى والفيبر. ارتدى القفازات وشرع في توجيه اللكمات إليها بعنف، تخيلها خصومه. الدمية التي تخيلها سرغون نالت النصيب الأكبر من العدوانية. لا يزال مقتنعا بأنه هو الذي خطط لهذا كله وأنه هو الذي أقنع أكيليس، وربما أجبره. وإلا لماذا لم يأت أكيليس بنفسه ليتحدث إليهم. قال لنفسه إنه لن يسكت على هذا أبدا، سيجمع أبناءه من أجل التصدي لهذا التعدي. فكر في اسم يندرج تحته أبناؤه حين يشقون عصا الطاعة عن العائلة. "قورة ليميتد"، "قورة حائط الصد" -ضرب الدمية بعنف- "قورة الصمود كله" - ضربها بعنف أكبر، "قورة الصمود والصد" - يبدو أن إنزيماته ترتفع- "قورة... قورة... قورة... "عض على أسنانه بشدة، ضرب الدمية بعنف، ارتدت الدمية من لكمة ساحقة إلى الوراء ثم عادت سريعا إلى الأمام وضربته في جبهته: وضع يده على جبهته من الألم. "قورة؟" قال لنفسه "أي قورة! اسمها جبهة يا جاهل... نعم" وقف بهدوء،

وقال لنفسه بثقة: "جبهة الصمود". سكت قليلا، "بل جبهة الصمود والتصدي". أعجبه الاسم. شعر أخيرا أنه برد، أن إنزيماته "انضبطت وتكيفت". رجع بثقة إلى حيث سرغون، مد ذراعه، تلقى وخزة الإبرة. اختبرت العينة. مستوى إنزيماته معقول جدا.

شجع هذا سرغون على أن يقول في بداية الاجتماع: "هل اقتنعتم يا عمي ويا أبناء عمومتي الأعزاء، بأن الأمر لم يكن المقصود منه إهانتكم أو استبعادكم؟"

"لا،" رد أبو قورة بمنتهى الهدوء.

"طيب،" قال سرغون، "هل أطمع أن تعطونا فرصة لنعمل على مدى الأشهر الستة القادمة ثم تقيمون؟"

"لا،" رد أبو قورة بمنتهى الهدوء.

كان حمون ران المناوي، يتابع الحوار عبر النافذة الزجاجية للمندرة. حين ارتفع الأصبع الثاني لأخيه سرغون شعر بالقلق. لقد رفض أبناء العمومة الطلبين الأولين. توجه حمون إلى أبناء عمومته الواقفين في الخارج بالحديث، طالبا منهم أن يسيروا معه في اتجاه البيت الكبير حتى لا يلفتوا نظر المارين في الشارع. فاستجابوا له.

في تلك اللحظة كان سرغون قد وجه سؤاله الثالث إلى أبناء عمه أبو قورة: "هل ترضون بأن تشكلوا فرقة خاصة تكون مسؤولة عن كل شؤوننا هنا عوضا عن الانضمام إلى جماعة الفك والربط التي اختيار أعضائها بيد

حارس السر فقط؟ وفي المقابل يتخلى أبناء ران المناوي عن كل سلطة، بل حتى يتخلون عن ارتداء الملابس العادية ويدارون أنفسهم بالمفارش البيضاء التي غطينا بأحدها الطاولة اليوم إثباتا لزهدهم في أية سلطة؟"

"لا،" رد أبو قورة بمنتهى الهدوء. "كل هذه أمور لا قيمة لها." نزع الجاكت الرمادي الذي يلبسه وقلبه إلى الداخل ثم أشار إلى باطن الجاكت بأصبعه، "هل تعتقد أن هذا يهمني، لقد ارتديناه كما ارتداه غيرنا في عموم البرج ونحن لا نعرف لماذا. في الحرارة المرتفعة نرتديه وفي البرد القارس نرتديه. كالدمى. لقد طلبت من أبي أن أضع له طبقة أخرى من القماش من الداخل لكي تدفئنا في الشتاء فرفض. قال لي إن الصور الموجودة في كتاب الإرشادات لا تحتوي على هذه الطبقة. قال لي إن كل إنسان في البرج مطالب بأن يلبس نفس اللبس. والآن تقول لي إنك ونسل ران المناوي سترتدون مفارش الطاولة وتريد أن تقنعني بأن هذا استغناء. هذا تمييز آخر لكم. البسوا كما نلبس لكن امنحونا بعض السلطة التي لكم. شاركونا. فقط شاركونا. لا نريد أكثر من المشاركة."

تلك إذن لاءات ثلاث. انتهت كل العروض التي خوَّلَ أكيليسُ سرغونَ تقديمَها إلى أبو قورة. سكت سرغون قليلا ثم سأل: "فماذا أنت فاعل يا عمي أبو قورة أنت وأبناؤك؟"

"جبهة الصمود والتصدي،" قال أبو قورة. وصفق أبناؤه. لم يدركوا بالضبط ماذا يقصد أبوهم، لكنهم أحبوا الكلمة. حتى هو لم يكن يدرك بالضبط ماذا ستفعل الجبهة. ولو أدرك وأبلغ سرغون لما اعترض. فالصمود

والتصدي تشي بالثبات في المكان وعدم السماح بالاختراق. وهذه ممانعة لا مقاومة. والفرق شاسع. وسرغون لم يكن ليخترقهم. بالعكس، يريد منهم تماما أن يثبتوا في مكانهم. نظر سرغون إلى الأرض مليا وأحس أنها اللحظة التي يجب أن يغادر فيها. نظر إلى أبو قورة وقال له: "فليكن لك ما شئت يا عمي". ثم خرج.

ما أن خطا سرغون خارج المندرة عدة خطوات ووجه النداء إلى أخيه حمون وأبناء عمه الذين كانوا على بعد مئة متر أمامه حتى توارت الواو والنون من اسم أخيه في صوت انفجار هائل في المندرة، قذف الانفجار بسرغون نفسه خطوات إلى الأمام فانبطح على الأرض وهو لا يسمع شيئا ولا يرى إلا بالكاد. رأى كتلة كبيرة تتحرك نحوه. أخوه جرى نحوه يطمئن عليه. رأى فمه يتحرك و لم يسمع صوته. أبناء عمه وأناس آخرون يركضون هنا وهناك. وكان هذا آخر مشهد يراه قبل أن يغيب عن الوعي تماما ولا يفيق إلا في المستشفى.

حو: 9 شر

وأما ميريهان فهي صديقة لزوان، من البلاد المجاورة. اسم أبيها سليم واسم أمها سليمة. حين أهلتها درجاتها في امتحان البكالوريا لدخول كلية الطب تحدث أبوها قائلا: إن تزوجت ميريهان تذهب لدراسة الطب في محافظة مصر، وإن لم تتزوج ميريهان لا تذهب. أم ميريهان تحدثت إلى أبيها قائلة: ميريهان تخطب أولا ثم تتزوج بعد السنة الثالثة. ليس قبل السنة الثالثة في الكلية تتزوج ميريهان. وكان ما تحدثت به سليمة زوجة سليم. لذلك فإن ميريهان الآن متزوجة منذ ثلاث سنوات وتعيش في أمريكا. هذه السنة فقط عادت ميريهان إلى قصر العيني من أجل سنة الامتياز. تسافر من مصر إلى أمريكا مرة كل أسبوع. منطقة أوروبا تعبر برا في ساعة، وتعبر البحيرة الأطلنطية في ساعتين.

ميريهان وزوان لولا الغيرة لكانتا الآن صديقتين. زوان تغار من ميريهان وميريهان لا تغار من زوان. كانتا صديقتين في السنين الأولى من الكلية، ثم خفت الصداقة حين انتقلت ميريهان إلى محافظة أمريكا. أما حين عادت في سنة الامتياز تحولت الصداقة إلى قول بونجوغ والرد بصباح النور أو مساء النور أو أحيانا بونجور. هما الآن يتدربان معا في مستشفى قصر العيني. وقصة زوان وعلاقتها بسنغ والمآل الذي آل إليه شريط الفيديو الخاص بهما أما هي مذكورة في جزء سابق؟!

ميريهان ذهبت إلى غرفة الطوارئ. فتحت الباب لتسأل زوان عن هذه الهتافات الدينية التي تسمعها. لكنها رأت أن زوان مشغولة بمريض. رجلا شعبيا من العامة كان المريض. زوان على ركبتيها أمامه، تمسك عضوه الذكري وتنظر إليه مليا من هنا ومن هناك. عضوه الذكري كان متورما على ما يبدو. مرأى زوان وهي تنظر إلى عضو المريض المتورم، ثم التقاء عينيها بعيني ميريهان، ذكرا ميريهان بسبب غيرة زوان منها أنها متزوجة ولها بعل يضاجعها لزرع وليس لزوان بعل يضاجعها لزرع. وهذا جعل ميريهان تحمد الرب على ما هي فيه. وتحدثت إلى نفسها قائلة: "فليكن جوع جنسي في الأرض بعيدا عني، وليكن حرمان بين النساء بعيدا عني."

ميريهان تعرفت عبر غرف الدردشة على شخص من أبوين مصريين يعيش في محافظة بريطانيا اسمه طارق. اسم أبيه سلطان واسم أمه سلطانة. تعرفت عليه قبل أشهر. طارق و"ميريهان" يحبان الغرائب التي تصنعها

الكلمات. الشعر يحبان. النكات يحبان. القفشات والإفيهات يحبان. وهذا جعلهما يتقاربان سريعا. هي تعرف ظروف حياته، هو يعرف ظروف حياتها. اسم عائلتها لم تخبره. بل اسم عائلة زوجها أعطته. هذا هو اسمها الآن، وهذا هو الاسم الذي يستخدمه لإرسال هداياه وخطاباته – ميريهان يافي. قالت ميريهان لطارق أرسل ما تريد أن ترسله إلى عنوان عملي. وأعطته العنوان. طارق تحدث إليها قائلا: يا ميريهان، لماذا لا تخبرينني باسم عائلتك؟ وأجابته قائلة: دعني على راحتي. ميريهان أيضا لم تعطه اسم زوجها. قالت له إنها لا تريد له فضيحة. طارق متزوج لكنه لا يخشى الفضيحة. يخشى طارق غضب زوجته. لو ضبطته لن تكون المرة الأولى.

حين سمعت ميريهان الهتافات الدينية خارج المستشفى أرادت أن تسأل زوان ماذا حدث. كانت ميريهان تخشى جدا على علاقتها بطارق، تخشى من التعصب بين الأديان والشعوب. فأديان الشعوب فرقت شعوب الأديان. أم وابنتها لم تفترقا، لأن الابنة تدين بما تدين به أمها. رجل وابنه لم يفترقا لأن الابن يدين بما يدين به أبوه. رجل وزوجته لم يفترقا، لأن الشعوب تحرص على أن يتزوج رجل وامرأة من نفس دينهما. لكن قليلين من رجال ونساء يتزوجون من غير دينهم. هؤلاء يسببون مشاكل. يفترقون مع عائلاتهم. أبناؤهم يحتارون بين عائلة أب لا ترتاح لعائلة أم، وعائلة أم ترفض عائلة أب. ميريهان أخبرت طارق أن زملاءها في المدرسة كانوا ينادونها ابنة الكافرة، لأن أمها مسيحية. أبو ميريهان كان

مسلما. وميريهان كانت حريصة على أن تتزوج رجلا مسلما. كل هذا قالت ميريهان لطارق في أول معرفتهما.

وكان أن عادت ميريهان إلى أمريكا بعد أحداث المظاهرات على الفور. لم تشأ أن تعيش في هذا الجو المتعصب. وكان أن ذهب طارق إلى البروتيكان في سياحة، فاشترى لأم ميريهان من هناك هدية صليبا وأرسله إلى ميريهان. ثم داعبها فأرسل لها على الإم إس إن صورة صليب وكتب تحته قائلا: أتمنى لو يدقون جسدي في جسدك. ميريهان اشتاطت غضبا، وتحدثت إليه قائلة: صلبانا لا ترسل إلي، صور صلبان لا ترسل إلي، في بيتنا لا تدخل صلبان، لا من الباب ولا من النافذة ولا عبر الكمبيوتر. وكان هذا عجيبا، إذ لماذا تتعصب ابنة المسيحية التي تحب أمها وعائلة أمها كثيرا ضد الصلبان هكذا؟! سأل طارق نفسه في صدره، و لم يجد جوابا.

ولما لم يجد جوابا التزم بالتعليمات مضطرا. ثم قال لنفسه: لعل السبب زوجها المسلم.

حو: 10 أس

حمل سرغون بلفافاته وضماداته من المستشفى إلى حيث جده. في مكان لم يزره سرغون من قبل. لم يتألم وهم يضعونه على السرير، لم يتألم على الإطلاق، لا يعرف لماذا لا يستطيع أن يتحرك إذن. لم يكن يوما أخف مما كان يومئذ، ولا أحس يوما أنه محلق دون أن يشده جسده إلى الأرض كما أحس. كأنه نائم في الهواء. لا يشعر بالفرش من تحته، ولا بالملابس على جسده، ولا حتى بالضمادات التي رآها بعينيه. فقط رقبته بها بعض الآلام. ورأسه. حريق يشعر به هنا وهناك في جلد وجهه وفروة رأسه. تأوه بوخزة من أحدها فلم يلتفت أحد من "الممرضين" إليه. كأنه يهذي. أو كأنهم أناس آليون. أليس مفترضا أن يكون هؤلاء ممرضيه؟ رفع رأسه ميلليمترا ليتأكد فأحس في رقبته بألم قاتل. لكنهم يرتدون ملابس التمريض الحمراء، هذا رآه بعينيه.

في برج الأسد ملابس الهيئة الطبية كلها حمراء، يعتقدون أن اللون الأحمر يزيد نشاط الجسم وعملياته الحيوية. وملابس الإثارة زرقاء، لأنهم يعتقدون أن اللون الأزرق يساعد على الصلابة، الصلابة محمودة عندهم في الرجل والمرأة. رجال برج الأسد ينزعون أعضاءهم من أعضاء النساء إن زاد ماؤها. ينتظرون حتى تعود أعضاء النساء إلى حالة الطراوة، لا السيولة، ويستأنفون النطاح. هكذا يسمون النكاح. النقل والتجربة كلاهما يثبتان لأهل برج الأسد أنهم على صواب في هذا الموضوع. واحدهم يفقد صلابة عضوه إذا زاد ماء المرأة. أما حين يكون عضو المرأة في حال الوسط، فيه طراوة ولكن فيه تلك الدرجة البسيطة من الخشونة التي تحك عضو الرجل في دخوله وخروجه فإن ذلك مما يبهج الأسدي ويسعده. بعض نساء برج الأسد يطلن شعر العانة ولا سيما الجزء الأقرب إلى فتحة العضو. ثم يسرحن هذا الشعر إلى الداخل لكي يمتص البلل ويوفر تلك الخشونة المستحبة.

أفكار كثيرة تأتي على بال سرغون. لعله يهذي. معقول؟ يهذي حتى الآن؟ كم يوم مضى على الحادثة؟ لماذا يتخيل أنه كان على حافة بئر وسقط فيه؟ لم يكن بئرا، بل كان نارا، انفجارا. استرد سمعه لكنه لم يتخلص من الطنين، كأنما تغطي أذنيه محارة. الممرضون ذوو الملابس الحمراء خرجوا من الغرفة بما يشبه التصوير البطيء. كأنهم يسيرون في ريح مضادة، تطيّر شعورهم إلى الخلف، وتطيّر ملابسهم إلى الخلف، وتحجز أجسادهم عن المسير بانسيابية. هل هذا صوت ريح أم طنين المحارة؟ ولماذا يبدو جده كمن هرم ألف سنة؟ لماذا لا يتحدث إليه كما عهده؟

كر الشريط إلى الخلف وعاد كل شيء إلى طبيعته فقط حين اقترب جده منه. سأله بصوت حاسم: "لماذا فعلت هذا؟ لماذا قتلت أبو قورة وأبناءه في اجتماع المندرة؟" رجل إلى اليمين رفع بلطته. "الرقبة بالرقبة،" قال جده بصوت خشن ليس فيه من رقة القرابة التي بينهما شيء، "والدم بالدم."

حاول سرغون أن يستجمع قواه ليتحرك. لم يتحرك. "لست أنا،" صرخ. "لست أنا. إنه حـ...."

هوت البلطة قبل أن يكمل سرغون ما أراد أن يقول، مهما كان ما أراد.

ليت أكيليس لم يكن يحب سرغون بهذا القدر. أيعتقد أنه لن يبذل ثمنا كالذي بذله عرمان؟ كل فرد في برج الأسد لابد له قبل أن يرتقي أن يجتاز امتحان الفُقْنَى (فقدُ ما اقتنى). وأكيليس ليس استثناء.

حو: 11 شر

حين كانت ميريهان في محافظة مصر كانت فرصة طارق وميريهان للالتقاء بعيدا عن زوجيهما أكبر. ميريهان بعيدة عن زوجها وطارق بعيد عن زوجته. طارق وميريهان يسميان زوجيهما الأعداء. ميريهان تسمي زوجها الأعداء بلفظ الجمع. وطارق يسمي زوجته الأعداء بلفظ الجمع. طارق يأتي بالسيارة من محافظة بريطانيا إلى القاهرة في ساعة. يحتاج إلى الربع الساعة في عبارة لكي يعبر بحر البياض. العبارة اسمها البلطي. بحر البياض ليس فيه أسماك بياض ولا بلطي، أسماك البياض والبلطي تعيش في المياه العذبة. لكن فيه أسماكا أخرى. أسماك البحر أغنى بالفوسفور من أسماك الأنهار. في الربع الساعة التي يقضيها طارق في عبور البحر يأكل القريدس (الجمبري). القريدس غني بالفوسفور. تقشير القريدس وأكله يقتلان الوقت.

ولأن ميريهان الآن في أمريكا فإن طارق يعبر بسيارته البحيرة الأطلنطية. والعبارة ستأخذ ساعتين كاملتين. سيحتاج طارق إلى قتل مزيد من الوقت بتقشير وأكل المزيد من القريدس. ولأن القريدس أيضا يقوي الرجال مع النساء فقد ارتفع سعره جدا يوم الفالنتاين، القريدسة الواحدة بدولارين ونصف إذا كانت بقشرها وبثلاثة دولارات ونصف إن كانت مقشرة. طارق اشترى خمسا وثلاثين قريدسة بقشرها ودفع سبعة وثمانين دولارا ونصف. طارق كان حريصا على لقاء ميريهان يوم الفالنتاين. وكان حريصا على أن يأكل القريدس مهما كان ثمنه. كل شيء يشتريه طارق لميريهان حين يزورها بكذا، اشتراه في يوم الفالنتاين بأضعاف كذا. كما استأجر غرفة مزدوجة في فندق في العاصمة واشنطن بكذا وكذا. طارق قال في نفسه كل هذا يهون من أجل ميريهان.

حين التقيا قالت ميريهان لطارق إنه لو استطاع أن يضاجعها مضاجعة الرجال للنساء وهما واقفان، دون أن تنحني أو تنثني، بل في وضع التمام واقفة يضاجعها، فسوف تترك له كلوتها. فكرة هذا التحدي نشأت لغويا. لفظة المضاجعة مشتقة من الاضطجاع، وليس في اللغة مواقفة، أي من الوقوف. فهل يستطيع طارق أن يتحدى حكمة اللغة؟حكمة اللغة يؤيدها الشكل التشريحي لميريهان. تقول ميريهان إن مؤخرتها سمينة وفخذيها ملتصقان. وتعتقد أن هذا يجعلها قبيحة. وتقول أيضا إنه يجعل مضاجعتها من الخلف أصعب من سرقة لمبة السقف بمد ذراعك من شباك الغرفة الحديدي. ميريهان لا تتحدث عن علاقتها الزوجية بزوجها، لكنها

قالت لطارق إن زوجها لا يضاجعها من الخلف. بل من الخلف يحك عضوه فيها.

طارق أمسك بإليتيها وهي واقفة، عارية، وضغط عليهما بيديه،

رسغاه إلى أعلى وأصابعه إلى أسفل،

تعلو يداه فيعلو كتفاه معهما، تنخفض يداه فكأنه يحشر بأصابعه ملاءة الرغبة تحت سرير الشبق

ملتقى انثناءة إليتيها مع فخذيها القائمين – مصاصة عسلية في يد طارق الطفل وفمه

نعومة إليتيها وخشونة يديه – كوفية صوف على رقبتها

أصابعه عزفت على أزرار ساكسفونها الهلالي المختبئ بين فخذيها،

من أسفل بطنها إلى أسفل ظهرها،

عزفت أصابعه في غير موضع

تريد ميريهان أن تتمايل مع النغمة لكنها ملتزمة بالوقوف

تفلت منها إمالة لإليتيها إلى الخلف، لكنها تعود سريعا

ثم إمالة أخرى

وعودة سريعة

وإمالة

وعودة

ظهرها يتموج كزاحف

إن تحدي الرغبة يشعل الرغبة

طارق يباعد إليتيها عن بعضهما البعض،

الكائنات المختبئة تكشف عن نفسها

جحر علوي كتينة غضة،

جوفها يغريك إليه بدائرة داكنة تفتق جلد الثمرة،

وفتحة سفلية،

كثمرة مانجو مشقوقة بأسنان جائعة

سحبت منها قبل أن تقضم

عصيرها يسيل على جلدها

آه يا بنات فلسطين

يا متحديات الفناء بأثداء مصوبة وخدود ذات كبرياء،

شعرها المفتول حمم سوداء باردة على ثلج ملتهب

جسدها يسيح

يتميع جسدها كعجين لدن في يد خباز

وحدهما ثدياها يتصلبان

ثدياها منتفخان ككرتي نور وقعهما الله بختمه الوردي الداكن

يتحسس طارق الشمع الإلهي

فكأنما الختم الإلهي يتصدع

تمد حلمتاها لسانيهما نايا يتوق إلى فم

وزيتونا طازجا ينز بالزيت

كملبن تركي مبلل بالسكر

في فم طارق الطفل

وإذ يعزف الناي

يمد ثعبان جسده

من سلة قش بين فخذي طارق

تقول له:

قد اقتربت يابن الإنسان من المعرفة

فدعني أُصغي إلى الثعبان

أرحب به

يقول لها:

إنما نهينا عن ذاك

تسأله من نهاك؟

تقول له

فلندعه يجرب ثمرة المانجو أولا

فإن عاش عشنا

وإن هلك هلكنا

يطمح الثعبان برأسه قابلا التحدي

يخرج لسانه

يلحس ليتذوق

لكن رأسه لم يصل بعد

يضغط طارق على إليتيها أكثر

يريد أن يقرب المسافة

يباعدهما بيديه كسائر بين عيدان القمح

يريد أن يفتح الطريق

يمزح: لم أخالف الشروط إذ أفعل ذلك؟

تضحك: لا، لا أزال واقفة منتصبة

يطل الثعبان برأسه، لم يصل بعد

لكنه اقترب

اشتم الرائحة وانسعر

قفزة أخيرة ويدفن رأسه في نسيج المانجو

ميريهان لا تحب مضاجعة زوجها، لأنه لا يتحدث بالعربية. حديث رجل إلى امرأة وهو يضاجعها يجعل امرأة تحب الرجل أو لا تحبه. كثيرون من الرجال يلمسون بألسنتهم أجساد النساء، لكن قليلين منهم يلمسون بها قلوبهن.

رجع طارق إلى الخلف

آه يا بنات فلسطين

يا من خلقتن بيد الله نفسه

بأنامله صاغكن

من جرح الشوق النافذ في قلب الذكر الأول

خرجت حبة العنقود الأولى

ثم امتدت عريشا في الجنة

ولما ثقل هبط لديكم

جلدك رقيق كرقاقة العنب

ريقك حلو كحلاوة العنب

بيد الله نفسه، بأنامله، صاغكن

من جرح الشوق النافذ في قلب الذكر الأول

أنا جميلة؟

فإني أريد أن أختبئ خلف الحجب

أهلي حبسوني عن عيون العشاق

في سجن فاضح،

سلموني لأول رجل طرق بابنا

حبيبي الأول هرب مني بين قطعان النساء

اللاتي يشبهن بعضهن. ويشبهنه

نفر من غزال يرعى بين النعاج

حتى صدق الغزال أنه أقبح من نعجة

أنتِ؟

أنتِ بجعة تسقي الساهرين خمرا من فمها

حتى يسكروا

وعلى عنقها يتسلق العاشقون

إلى نوافذ الحب

في المساء

وفي القيلولة

يستظلون تحت جناحيها

كل قبلاتهم قبلة واحدة لك

كل رغباتهم لمسة واحدة منك

قال طارق لنفسه في صدره: لقد كان لها إذن حبيب قبل زوجها. ثم قال لها: هل كنت تحبين هذا الرجل كما تحبينني الآن؟ قالت له: لقد كنت صغيرة. سألها عن عمرها حينئذ. تململت. طلبت منه ألا يفسد لقاءهما. سكت. مد الذراع ليسرق اللمبة فيكون ظلام ولا ترى غيره. مده وهو يشعر بدفء إليتيها عليه. هل يمكن أن يصير الممدود مرنا ويبقى قاسيا في الوقت نفسه؟

قالت له هل رأيت الحسنة التي في ثديي الأيمن؟

تتوارى خلف حافة فساتيني

وتتكئ على حاجز ستياني

لقد قبّلتْ أصبعك وأنت تلمسني

نعم، قال لها

كفص من حجر كريم

على سطح خاتم

كعدسة شوكولاته في بسكوتة زنجبيل

حلو وحراق

كنقطة حبر أولى في رسالة أشواق

كدعسة أَنَس من حبيب عائد

كأغنية محببة من نافذة بيت على الطريق

ساعد بيده جسد الثعبان إلى أعلى

ثم في الزغب، شعر الكتكوت، الذي بين إليتيها

استذكر اللحظات الأولى لحمو الشمس

واللحظات الأولى تحت وبر فراش الشتاء

وملمس الشعر الجديد في وجهه – ذكرا بلغ

مد الثعبان جسده يمسد الزغب

ويشمشم عن فريسة في الجحر الدافئ

ثم أدخل أصبعه يبحث به

سيفترسها، إن وجدها، بلا رأفة

قسا يقسو قسوة فهو قاس

كقائم بيت تحتفظ فيه بذكرياتك وإرثك

كعصا في يدك تتسلح بها في الظلام

كمسلة

كعمود رخام

على قمته يرقد أسد

لن ينثني عن التهامها

باعد إليتيها وضغطهما بيديه في فعل واحد

ثم ضغط بجسده مرة أخرى

وهي صرخت كنائم لُدِغ

من ثعبان يعرف مدخل الكهف

فلم يبال الثعبان بصريخه

بل دخل هانئا

وصار الدخول والخروج لعبته ومرحه

وصار الصراخ لعبتهما ومرحهما

إذ ذاك فاز طارق بالرهان. وتركت له ميريهان كلوتها، فكان طارق يخبئه في جيبه ويدفن فيه رأسه كل يوم قبل أن ينام. يوما يشم الشك، ويوما يشم الرغبة. هذا مكسبه. أما ميريهان فقد نالت – إذ شاهد "الساهرون" الفيلم – أعلى درجة في مقياس الانتصاب والإغواء. باق لها تقييم واحد: كم يدفع الواحد منهم فيها لو لم يكن لديه سوى ألف جنيه؟

حو: 12 أس

ما شعر به أكيليس أهمه. ليس الحزن، فالحزن معروف في برج الأسد. والإنزيمات التي تسببه معروفة. والحبوب التي تتفاعل مع هذه الإنزيمات لكي تقلل الحزن معروفة أيضا. إنما شعور بالانتفاس. رغبة النفس في أن تفعل شيئا ما تظن أنه سيريحها. كأن ما ستفعله المدخل والمخرج، وكأنها الأصل والفرع. كأنها البرج والشخص. كأنها كل شيء ولا شيء حولها. تريد أن تشتري، وأن تناطح (تناكح) وأن تتعارك وأن تكسب وأن تخسر، أن تفعل كل شيء يفتح الطريق أمام الاحتمالات، أي شيء مجهول العواقب، ولو كان شيئا ضئيلا، المهم أن يكون مجهول العواقب، يفتح الباب على الملامة والندم وعلى الثناء والإطراء، على الخسارة والكسب، على الهزيمة والفوز.

دهب ليشتري لنفسه ملابس داخلية. الملابس الداخلية في برج الاسد

أكثر تنوعا من غيرها من السلع. لأنها داخلية، لا تظهر ولا تبين ولا تعبر عن نفسها إلا في أضيق الحدود. "ماذا يضير برج الأسد إن كانت داخلياتك مزركشة، أو مموهة، أو حتى ممزقة؟ لا يضير البرج شيئا." هكذا بالضبط وصفت القضية في كتاب الإرشادات. دخل إلى المحل، كانت بعض النساء يشترين ملابس داخلية زرقاء. اللون الأزرق جعل أكيليس ينتفس برغبة في النساء. يريد أكيليس أن يفعل شيئا مع امرأة. يعلم أن الأمر هنا صارم. وأنه لو بدأ الدائرة مع امرأة يريدها شريكها الليلة فسوف تنكسر دورة "السِلم الرغبوي" التي يصر عليها برج الأسد أيما إصرار. سِلم الحاجات الأساسية من مطعم ومسكن وملبس. هل سيرضي انتفاسه إليها بمجرد المواركة أو المرادفة أو المشافقة؟ هكذا يتجنب تعكير الصفو. لا يعلم ماذا يريد بالضبط، ولا يضمن مع حالة الانتفاس تلك أن شيئا واحدا ربما يشبعه. المصاصة التي في يد طفل مع امرأة أخرى تغويه أيضا إلى آخر حد. ينتفس عليها أيضا. يريد أن يضع هذا الشكل الأملس الطويل في فمه. نظر في ساعته، السادسة والعشرون صباحا، أربع ساعات قبل الظهيرة، في هذا التوقيت تكون المصاصات التي تعطى للأطفال منشطة. انتفس برغبة في النشاط، على الإحساس بشباب يشبه شباب سرغون الذي مات. دق هاتفه المحمول. نظر فيه فوجد حارس السر. تلفت أكيليس حوله، لا يريد أن يرد على الموبايل لكنه يخشى أن تكون هناك كاميرات مراقبة يراه حارس السر من خلالها. لم يجد كاميرات، ورغم ذلك خاف. وتصرف كأنما يرى كاميرات فإن لم يكن يرى كاميرات فلعل كاميرات تراه. هذا أضمن. رد على الهاتف. سأله حارس السر سؤالا فأجابه: "أريد أن أشتري

بعض ملابس داخلية وأريد أن أشتري مصاصة وأريد... أريد.. أريد أن أن.. أن أفعل شيئا مع امرأة تقف أمامي." أنصت أكيليس بعد أن تحدث، ثم قال متعجبا: "أكيد؟! هذا رأيك النهائي؟"

أغلق الهاتف متعجبا من حارس السر الذي يسمح حين يظن الناس أنه يمنع، ويمنع حين يظنون أنه يسمح. وضع الهاتف في جيبه ثم ذهب إلى تلك المرأة. قال لها مباشرة إنه "أكيليس". وإنه من جماعة الفك والربط. قال لها إنه يريدها أن تتصل بزوجها على الهاتف لأن لديه أمرا من حارس السر بإرساله الآن إلى دورية صيد في الماء المالح. أخرج من حقيبة معه ورقة وقلما وكتب المرسوم ثم أخرج ختما وختمه. سألها عن اسم زوجها وكتبه في سطر خال في أول المرسوم. وأخبرها أنه سيأتي الليلة إلى بيتها لإشباعها في غياب شريكها، فلا ينبغي أن تقلق من هذه الناحية ولا ينبغي لشريكها أن يقلق. بالفعل اتصلت المرأة بزوجها وأبلغته الرسالة وقالت له إن الرجل والمرسوم أمامها الآن.

اتفق أكيليس والمرأة على الموعد الذي سيذهب فيه إلى بيتها لإشباعها. لكنه عاد مرة أخرى إلى قسم الملابس الداخلية، اشترى طقمين. اشترى أيضا مصاصة من المحل المجاور ومصها كلها، اشترى ثلاثا أخريات لأنه قدر أن البالغ يحتاج إلى أربعة أضعاف الطفل على الأقل. تناول الطعام في محل مجاور اشتهى رائحته مع إنه يبيع فاكوليا بالسوائل المختلطة، أكلة لم يحبها أبدا. اشترى مدهوسة، وهي نوع من الحلوى فيها كثير من السكر والليمون. اشترى صابون أيدي جديدا، ومنشفة، ونظارات شمسية.

دخل إلى بيت الصور، الزينيما، وتفرج على فيلم. اشترى حين خرج عطرا، ومقصا، وحذاء. اشترى أفلاما على أقراص مدمجة. اشترى مذياعا. جلس في مكان ناء يستمع إلى موسيقى. أجر دراجة وجال بها وسط الخضرة. لكن لا شيء لا شيء يشفي انتفاسه. لا يزال يشعر بانتفاس ولا يدري كيف يتصرف معه. دخل إلى توكيل لبيع السيارات واشترى سيارة فارهة أعجبته. عندها فقط شعر أنه فعل شيئا ذا قيمة. تخيل أنه سيشبع المرأة في السيارة فزاد رضاه.

حو: 13 شر

كلما نمت الرغبة في قلب طارق نما معها الشك والخوف. يقول في صدره إنه الآن الحالي، وربما يصير السابق. ويقول أيضا إن ميريهان تضيع من يديه. اسم عائلتها في البلاد المجاورة لا يعرف. الاسم الأول لزوجها لا يعرف. عنوانها في أمريكا لا يعرف. أعطته فقط عنوان عملها. ماذا لو تركت عنوان عملها؟ ماذا لو اختفت وهو لا يعرف عنها شيئا؟ ربما تختفي منه كما اختفت من حبيبها الأول. أم أنه هو الذي اختفى منها؟ أسرع طارق إلى موقع الإنترنت الذي به الهواتف والعناوين. يسمونه في محافظة أمريكا "الصفحات البيضاء". بحث عن العنوان الذي في يده. فوجد أن العنوان الذي في يده عنوان بيت وليس عنوان عمل. اسم صاحب هذا البيت جورج يافي، أي أنه من عائلة زوج ميريهان، ربما يكون أخاه. لكن اسم الرجل جورج – أليس مفترضا أن يكون أخو زوجها مسلما؟ تحدث

طارق إلى نفسه قائلا: ربما سماه أبوه بهذا الاسم لأنه قال لنفسه "كنت نزيلا في أرض غريبة". فعل ذلك ليذوب في المجتمع الذي هو فيه.

وما زاد الطينة بللا أن ميريهان خنقت حبل الاتصال زمنا ليس بالقليل. في الأول عقدته وكانت ترد على طارق ردودا مبتسرة جدا، ثم أحكمت الربط فصار جثة هامدة. لا يصدر منها كلمة واحدة. لو مددت يدك ووضعتها ستجدها باردة كالثلج. يرسل لها رسائل على الهاتف النقال فلا تجيب. يتصل بها فلا ترد. يوما. يومين. أسبوعا. أسبوعين. وشهرا. كل هذا ميريهان لا تجيب. احتار طارق وركبه الهم والغم. قال لنفسه إن ميريهان اختفت لأنه سألها أسئلة عارضة عن حبيبها الأول. ماذا لو صارحها بكل تلك الأسئلة التي تدور في عقله عنها وعن عائلة زوجها؟ سوف تتركه. ستشعر أنه يحاصرها. المرأة لا تحب الرجل الذي يحاصرها. والمرأة مثل ميريهان التي على علاقة بغير زوجها تهرب من الرجل الذي يحاصرها. كاد طارق يمزق ملابسه من الحزن. ترك لحيته تطول. ماء باردا لا يضع على وجهه حتى ينتصف النهار، وزوجته تسأله: مالك يا زوجي لماذا لم تعد تتحدث معي ولا تعرفني في السرير؟ فلا يجيب. ابنه يبكي على حاله. ويسأله: مالك يا أبي لماذا لم تعد تلعب معي ولا تأخذني إلى المراجيح في الحديقة؟ فلا يجيب. يسرح طارق شعره بمشطه المعتاد فيرى الشعر يتساقط ويخرج في المشط. ينزع الشعر من المشط وينظر إليه. مثل الكرة في يده. مثل خيوط الليل السوداء. رهافتها كرهافة قلبه. وخِفَّتُها كضَعْف خيوط الأماني. كأنها... هلس عنكبوت.

حو: 14 أس

ذهب أكيليس إلى بيت المرأة التي تحدث إليها في المتجر، وأتي بها إلى السيارة. عاين عضوها فوجد الشعر الملاصق للعضو مباشرة مصففا إلى الداخل فاطمأن. ابتلع الحبة الخاصة بتقوية الانتصاب وابتلعت هي حبة تقلل ماء العضو قليلا. أشبعها. وشعر أن ذلك كان أفضل نطاح، لأن درجة الطراوة والخشونة كانت جيدة جدا، وهي قالت له إنها سعيدة بهذا النطاح وإنها ستطلب منه أن يناطحها في المستقبل حين يكون شريكها غائبا.

لكن أكيليس عاد مرة أخرى، حين غادرت عائدة إلى بيتها، إلى الانتفاس. انتفس على وازعان هذه المرة. يريد أن يذهب إلى وزاعان الليلة. حالة الانتفاس كلها بدأت تتصاعد من جديد. توقف على الطريق بسيارته واشترى سباطة موز وأكلها كلها. ثم اشترى قفص تفاح وأكل

منه عشرًا وألقى بالباقي في الطريق. ثم أكل دجاجتين مشويتين، وكتف خروف مشويا، وشرب شوربة كوارع وأكل ما بها وطلب كمالة – لكن نفسه أنفت الكمالة. ليس هذا ما يريد. توقف بسيارته مرة أخرى وتقيأ قيئا بشع الرائحة، به قطع من اللحم يبدو أنه بلعها كما هي دون مضغ. يريد الآن شيئا حادقا – ليمونا. نعم ليمون. ويريد أن يشاهد أفلام قتال. نظر إلى نفسه في مرآة السيارة. شعره هائج ولحيته طويلة. لماذا يتدخل حارس السر في كل شيء في حياتي؟ لماذا كان يراقبني وأنا أشتري الملابس الداخلية؟ سأل نفسه. هل لا يزال يراقبني حتى الآن؟ هل رآني وأنا آكل كل هذا الطعام؟ هل رآني وأنا أتقيأ؟ هل رآني وأنا أنطح المرأة؟ هل رأى فتحاتي وفتحاتها؟ هل كان يضحك علي؟ هل يصورني؟ هل سيعاقبني بعد ذلك كما عاقب اللجنة القديمة ويأخذني إلى الصحراء لتأكلني الثعابين؟ هل سيفضحني فضيحة ديوكاليون حين بانت فتحاته وصوره ابنه سخنين؟ مد يده إلى تابلوه السيارة وأخرج شريط الحبوب الإنزيمية. أخذ من كل نوع حبة. لا مجال للاستهتار، واضح أن أمرا جللا يحدث معه وهو لا يدري. هذه كل أنواع الحبوب، لكل أنواع الإنزيمات. يجب أن يتحسن الآن، سيغمض عينيه خمس دقائق وينام على المقعد الخلفي ولا يفعل شيئا. فقط خمس دقائق ينحني فيها لعاصفة رغباته وسيكون بخير.

اتصل بحفيده هيركيوليسام شون. هو الوحيد الذي يمكن أن يحجزه بقوته لو ارتكب حماقة، ولن يشعر بطمأنينة إلا معه. الطمأنينة التي كان يشعر بها في ظل شجاعة سرغون ران. سرغون ران. سرغون ران. قاد

بسيارته إلى تقاطع أوتوعتراد (أوتوستراد) وازعان–شوبان مع أوتوعتراد شوبان–بلابلا، حيث اتفق مع هيركيوليسام شون أن يلتقيا. من هناك توجها مباشرة نحو صحراء الوجه. وباتا ليلتهما في نزل على أطرافها. غدا سيجتمع الجميع للتوجه إلى القيادة المركزية للقاء أخير مع حارس السر بكل أولاد أكيليس المختارين. بعدها سيصير أكيليس وحده هو الذي يتلقى منه الأوامر وينقلها إلى البقية. غدا سيلتقي الجميع إلا سرغون ران.
إلا سرغون ران.



3

كتاب العزائم



عز: 1 أس

"افعل تماما كما أقول لك،" قال أكيليس لهركيوليسام شون، "تماما كما أقول لك، تماما كما أقول لك." ظل يكررها حتى صرخ هيركيوليسام شون.

"لست حمارا، لست حمارا، أفهم هذا. سأفعل ما تقول لي، تماما ما تقول لي."

تلفت أكيليس حوله، رمى ببصره في جوانب غرفته في مبنى القيادة- يجتمع فيها مع أولاد أولاده استعدادا للذهاب لملاقاة حارس السر. صريخ هيركيوليسام شون وضحك أرتيميس يوسا وابنه أبوللو القيس، بالإضافة إلى شعور جوزيه خوان الحيي بالاضطراب لإهانة هيركيوليسام شون بهذه الطريقة، كل هذا لم يمنع أكيليس من أن يستأنف، حتى قبل

أن ينتهي هيركيوليسام شون من صريخه، بكل هدوء أكيليس وحزمه، "افعل تماما كما أقول لك، افعل تماما... تماما... كما أقول لك." نظر إلى الضاحكَين بغضب، "هل سمعتما ما قلته، إن لم تذكراه بهذا فسوف يكون غضبي عظيما وسأغلق عليّ وعليكما بابا ولن أتناول حبة إنزيمات الغضب وستريان ما سأفعل بكما." الجدية على وجهه جعلتهما يصمتان كعصفورين كانا يتناقران ثم سقط عليهما حجر عملاق أصم. التفت إلى جوزيه خوان، "وأنت، لا تظن أن سلوكك السالك مسلك الكتب القديمة يعفيك من التحذير، أنت أكثر شخص أخشاه الآن. وأنت تعرفني جيدا. هذا حارس السر، وليس شخصا عاديا، لا رئيس مدرسة سيجازيك بابتسامة، ولا أستاذ سيعاقبك بضربة من عصا ذات ثلاث ريش."

هنا قفز هيركيوليسام شون في الهواء وهو يصفق على فخذيه فرحا. أكيليس لم يخصه هو فقط بالتوبيخ، بل حتى جوزيه خوان، جوزيه خوان نفسه، السالك مسلك الكتب القديمة في كل شيء لم يسلم من توبيخه. نظر إليه أكيليس نظرة يأس ثم عاد إلى جوزيه خوان مرة أخرى، "ذكِّرْه دائما بأن يفعل تماما ما أقول له... هل تسمعني؟ ما أقول أنا له. لا تدَّع أنك أفهم مني ولا أنك تعرف مسالك الكتب القديمة أكثر مني! ذكره فقطَ بأن يفعل فورا ما أقول له."

قبل أن يفتح باب الغرفة وقف. نظر نظرة سريعة نحو كاميرا المراقبة ثم إليهم، "كما أقول أنا.. هل تسمعونني، كما أقول أنا! حارس السر ليس كأي شخص آخر، هو الأذكى، والأعلم، والأكثر فراسة. مهما قابلتم

من أناس أعجبوكم وبهروكم فإن حارس السر مختلف. وسترون الآن، فقط ثقوا بي، افعلوا كما أقول أنا." هذه المرة كان القلق مرسوما على وجهه، كألوان رسمت بيد مرتعشة وفرشة رفيعة. القلق النادر الرؤية على وجه أكيليس جعل الباقين يجمون. علموا أن لا مجال ولو لرعشة اعتراض واحدة، لقد اختارت الارتعاشات أن تعيش مكبلة في وجه أكيليس ولا تعيش حرة طليقة في أجساد سواه.

تقدمهم أكيليس واللوح في يده، خلفه بالترتيب جوزيه خوان، آرتيميس يوسا، وابنه أبوللو القيس، ثم في الأخير، طبعا، هيركيوليسام شون. حملهم السير المعدني المتحرك. السير انتهى بهم إلى الجراچ. الجراچ؟! ماهذا الاختيار الغريب؟ لقد توقع أكيليس استقبالا فخما يظهر فيه حارس السر أبهته وامتناعه. تلفت أكيليس حوله. الثريات الكريستالية المعلقة في السقف. يتذكرها منذ شرفه حارس السر برفقة السيارة. نظر أكيليس في الاتجاه الذي مشى فيه سابقا برفقة حارس السر نحو بوابة غرفة التحكم المركزي. ينتظر أن ينفتح الباب فيدخلوا أو يخرج إليهم سيد الغرفة. هل يخرج إليهم حارس السر في الجراچ؟ ولماذا لم يأخذهم السير مباشرة كما أخذه من قبل إلى غرفة التحكم المركزي؟ أي مفاجأة يحضرها حارس المفاجآت هذا؟ التساؤلات انجلت. أضاءها نهر من النور غمره قادما من الخلف، ثم تجاوزه وعلا على سطح بوابة غرفة التحكم المركزي التي كان ينظر إليها، كفيضان يتسلق حاجزا. التفت أكيليس إلى الخلف، نحو مصدر الضوء، وترك أفكاره في مكانها.

بهر الضوء عينيه وتجمع أقاربه حوله كفراخ تتجمع حول أمها. أخذ أكيليس نفسا عميقا. تحول الضوء الذي جمده قبل لحظات إلى نور يتخلله، كل ثنية فيه صارت حاضرة أمام عينيه. هل هي كذلك أمام الآخرين؟ هل يستطيع حارس السر الآن أن يرى داخل أكيليس كما يرى المصور الطبي بالآشعة السَنية (السينية) شقا ضئيلا في عظام مريض؟ وهل يستطيع أكيليس أن يرى داخل أكيليس؟ نظر أكيليس إلى أسفل يواري عينيه من الضوء. أخفض رأسه أكثر ونظر إلى جسده. دقق النظر. إلى عمق يتجاوز السطح. ليس أكيليس الذي يعرفه من نفسه. هذه الدماء التي تجري في عروقه ليست دماءه. هذه العظام ليست عظامه. هذا القلب القلق ليس قلبه. من هذا الذي وجده أكيليس في خضم فيضان النور هذا؟ من هذا؟

وهذا حشد لم ير أكيليس مثله. موكب قادم من ممر طويل على الجهة المقابلة لبوابة غرفة التحكم المركزي لا يرى أكيليس نهايته. لم يحدث من قبل أبدا أن جاء حارس السر محاطا بكل هؤلاء. بل أين هو أساسا؟ لا يرى أكيليس إلا كتلة كبيرة تتحرك نحوهم، لا يسمع إلا أصوات أقدامهم، لا يحس إلا بأيدي أحفاده تتلمس الأمان بملامسة جسده. هيركيوليسام شون يبدو أكثرهم اضطرابا. كيف وهو أشجعهم؟

حين كان أكيليس طفلا في المدرسة، يلقنونه غزوات بساريا أخطبوط وبطولاته، تخيل نفسه مكانه. كان في مراهقته راغبا في اقتفاء أثر تلك البطولات حرفا بحرف وحجرا بحجر وضربة سيف بضربة سيف ورمية سهم برمية سهم. لم يتحول إلى إنسان تهكمي لا تثير فيه الأحلام إلا رغبة عارمة في الضحك إلا حين صار كهلا.

وصلت الكتيبة إلى حيث هم، اتجه بعضهم يمينا واتجه بعضهم يسارا حتى أحاطوا بأكيليس وأولاده من كل اتجاه إلا اتجاها واحدا ظهرت منه سيارة حارس السر الكريستالية. فردت نفسها على هيئة كرسي عرش ضخم هذه المرة. شد أكيليس على أيدي أحفاده مرة أخرى مطمئنا. تحدث حارس السر مباشرة، لا تحية ولا مقدمات، كأنما يكمل خطبة بدأها بالفعل سابقا:

"هذه لحظة مهمة في تاريخ البرج، لحظة تدشين نظام برجي جديد.

بند رقم واحد: تحل جماعة الفك والربط

بند رقم اثنين: تماشيا مع التحديات التي تواجه برجنا، تنشأ لجنة جديدة تسمى لجنة "صيانة المستقبل"

بند رقم ثلاثة: يرأس تلك اللجنة رجل البرج المخلص أكيليس الذي سيسمى من اليوم إلياس – فينقطع من الماضي وأخطائه ويبدأ عهدا جديدا.

بند رقم أربعة: يعمل تحت قيادة إلياس أربعة من أولاد إلياس هم جوزيه خوان، أرتيميس يوسا، أبوللو القيس، وهيركيوليسام شون.

بند رقم خمسة: ينوب أكيليس في رئاسة لجنة صيانة المستقبل هيرديليس بن خادمنا المخلص عرمان.........

("هيرديليس بن عرمان،" همس أكيليس لنفسه. ولا يعرف كيف سمعه حارس السر فصمت كسرا من لحظة دون أن ينظر

إليه، ثم عاد وأكمل).

........بند رقم ستة: كل قرار يخرج من هيرديليس لا يكون ساريا إلا بموافقة إلياس.

بند رقم سبعة: لا ينشر هذا البيان للعامة......

(لا يزال أكيليس/إلياس هادئا، توقعه للأسوأ جعله صافي الذهن، موجها ذهنه نحو كيفية تنفيذ ما نوى عليه بالفعل في ظل الظرف المتغير هذا. تجول فقط بعينيه يبحث عن هرديليس ابن عرمان. و لم يكن الموضوع صعبا. فهو على طرف الكتيبة، بلباس يختلف عن لباس الجند والحرس، على بعد خطوات إلى اليسار من حارس السر. فيه من أبيه عرمان ملامح واضحة، الجبهة العريضة والحاجبان الملتصقان. هذا الابن الذي تركه في الصحراء إذن.)

"...... ينشر البيان التالي للعامة،" واصل حارس السر:

"نظرا للتحديات التي يواجهها البرج، قرر حارس السر حل جماعة الفك والربط وتشكيل لجنة "صيانة المستقبل" برئاسة رجل من أخلص رجال البرج هو إلياس الوازعاني، نائب الرئيس هو هيرديليس بن عرمان، الأعضاء هم:

- ج. خ.
- أ. ي.

- أ. ق.
- هـ. ش."

تقدم إلياس من حارس السر. وقف على بعد خطوات وأحنى رأسه، وهو يمسك باللوح بكلتا يديه. أشار إليه حارس السر بأصبعه الخنصر أن يقترب، ثم تناول من حارس إلى جواره ميدالية وفرد بيديه شريطها دائرة في الهواء. تقدم إلياس محنيا رأسه كأنما يصوبه نحو الدائرة المفتوحة لخيط الميدالية. يصوبه نحو الدائرة المفتوحة لخيط الميدالية. يصوبه نحو الدائرة المفتوحة لخيط الميدالية. قال بصوت يسمع هيرديليس، دون أن يغير الوضع الذي اتخذه لنفسه في الخطوات الأخيرة، "كنت أتمنى يا سيدي أن تعفو عن خادم البرج عرمان كرامة لابنه الشاب اليافع هذا." انتهى أكيليس من جملته وقد دخلت رأسه بالفعل وسط الحلقة. لم يعط المجال لأخذ أو لرد، في ثانية نطح حارس السر في قلب وجهه فانفجر الدم من منخاره، وضربه باللوح في فم المعدة فأعياه، ترك اللوح يسقط على الأرض. في حركة واحدة ركل الحارس الذي على يسار حارس السر بين رجليه ولف جسمه، لف ذراعه حول رقبة الرجل الهرم فأحكم الخناق عليه، ثم رفس الحارس مرة أخرى فطرحه أرضا. صرخ إلياس، "سأعد حتى اثنين، إن لم تلقوا أسلحتكم فسوف أكسر عنق هذا الخَرِف. واحد، اثنــ".

"ألقوها فورا،" أمر الصوت المحشرج لحارس السر. "ألقوها فورا. هذا أمر."

ألقت الكتيبة أسلحتها.

"الآن أتحدث إليكم،" قال إلياس، "أنا إلياس وريث بساريا أخطبوط المفدى، بما تحدث إلي أتحدث. هذا الرجل ليس حارس السر الحقيقي، هذا شخص مزيف." التفت نحو هيركيوليسام شون، غير عابئ بأنات حارس السر التي يحسها ذبذبات في خصره ولا يكاد يسمعها بأذنيه، وقال بحزم "اجمعوا الأسلحة يا أولاد إلياس، اجمعوا الأسلحة ولننقذ البرج ولننقذ عمكم عرمان الذي يريد هذا المزيف أن يحرقه في الصحراء."

وجم أولاد إلياس لا يفهمون ماذا يحدث. ولا يفهمون كيف صار عرمان – عمُّ أعدى أعدائهم أوفيد – عما لهم أيضا. ماذا يحدث في البرج! لم يكن هيرديليس ابن عرمان أقل حيرة؛ حارس السر أخبره أن أباه في الصحراء لكنها لن تحرقه لأن كل شيء مجهز كأنه في بيته، جهاز تبريد حين ترتفع الحرارة، وحماية تحفظه سالما من أي شر من شرور الصحراء وحيواناتها. كيف له في ثانية أن يدرك من المحق ومن المضل! جزء أصيل منه يدرك أن تشريد شخص في الصحراء شيء بشع، وأن حارس السر يهوى فعله، وجزء أصيل آخر منه يدرك أن أولاد "أكيليس" المسمى الآن إلياس لا يطيقونه ولا يطيقون أباه ولا يطيقون أوفيد ابن عمه.

"افعل تماما كما أقول لك،" صرخ إلياس في هيركيوليسام شون. "افعل تماما كما أقول لك". تردد هذا لحظة. لكن أرتيميس يوسا تدخل سريعا، "افعل كما يقول لك، إني أذكرك، أسرع."

بدأ هيركيوليسام وأقاربه يجمعون الأسلحة. "اتركوا فقط سلاح ابن عمكم،" قال إلياس وهو يشد على رقبة حارس السر، "اتركوا سلاح هيرديليس فهو معنا، وسنخلص أباه معا".

خارت قوى حارس السر بين يدي إلياس، كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة، يقول بصوت كالهذيان، "أهكذا يفعل بي الحبيب بن الحبيب! أهكذا يفعل بي الحبيب ابن الحبيب!" وهنت يد إلياس للحظة فصرخ حارس السر: "أنا حارس السر أنا حارس السر! لو كان هذا ـ أوع أوع ـــ" لم يكمل حارس السر ما بدأ لأن إلياس عصر عنقه مرة أخرى. تململ الحراس. من لا يزال سلاحه أمامه التقط سلاحه. وهيركيوليسام شون التقط من الأسلحة التي جمعها رشاشا آليا وصوبه نحوهم.

دعنا نسمع ما يقول،" تدخل هيرديليس متحفزا. "دعنا نسمع ما يقول، إنه في يدك، ماذا تخشى؟"

أرخى إلياس يده قليلا، وقد أحس أن الحسابات الآن يجب أن تكون دقيقة، التوتر جعل الهواء من حوله صلبا كلوح من مثلج هواء.

"لو كان هذا إلياس الحقيقي،" قال حارس السر وهو يسعل، "لعرف أن أحدا لا يسير في موكبي بسلاح إلا الحرس، ولا حتى هيرديليس."

"هذا الرجل ليس إلياس الحقيقي،" صرخ رجل من الحراس. وعلى الفور قتله هيركيولسام شون. التقط بعض الحراس أسلحتهم ووضعوها في وضع استعداد بأصوات كتزلج المطاط على الزجاج. لكن إلياس تدخل بسرعة، "لماذا قتلته؟ لماذا قتلته؟ هؤلاء إخوتنا، سيعرفون الحقيقة وسيكونون معنا. لا تفعل إلا ما أقوله لك. افعل تماما ما أقوله لك. فقط ما أقوله لك." نظر إلياس نحو الجنود الذين التقطوا أسلحتهم، "لو كان هذا حارس السر لما تجرأتُ وأمسكته هكذا، هل تسمعونني؟ حارس

السر لا يقهره أحد. ليس هذا حارس السر." رأى إلياس في وجوههم قبولا مواربا، أعطاهم ثانية لاستيعاب ما يقول ثم استأنف، "حارس السر يعرف كل جزء يتحكم في هذه المنطقة، سأعطيه فرصة أمامكم، ثمة حفرة تحت كل واحد منا، فليفتح الحفرة التي تحت هيرديليس فيوقعه فيها ثم يخرجه منها."

"أوافق على التحدي،" قال حارس السر بكل ما تبقى له من قوة، بل وأعاد الجملة ثلاث مرات، "فقط امنحني فرصة لأخرج جهاز التحكم البعيد."

أسقط في يد إلياس، شعر بالقلق، تساءل هل حسبها حسابا صحيحا. لكنه لم يملك خيارا سوى القبول، بعد أن هتف الجنود جميعهم، بل وهيرديليس نفسه، بالموافقة. أرخى يده قليلا وهو مستغرق في التفكير، أحس بيد حارس السر وهي تصل إلى داخل ملابسه المميزة، عديدة الطبقات، ثعبانا لن يخرج إلا بسم. استعد للحظة حاسمة سيقتله فيها لو حاول العبث وليكن ما يكون. قال له همسا، "سأقتلك في ثانية لو حاولت العبث معي". حتى الآن لم يحاول، خرجت يده وفيها جهاز التحكم البعيد الكريستالي.

"انظروا،" قال حارس السر بوهن لكن بثقة ودعوة للانتباه أقلقت إلياس. سيقتله، قرر إلياس، بمجرد أن يُنزل هيرديليس إلى الحفرة وليكن ما يكون. سيتخلص منهما في آن واحد. سيأمر أولاده بأن يطلقوا النار فورا. ستكون مجزرة. أو. أو، هل يأخذ جهاز التحكم البعيد ويبقى الوضع

قليلا؟ لا يعرف حتى كيف يستخدمه. يحتاج إلى هذا الهرم الخرف.

"سأريكم أنني أعرف مكان كل حجر هنا،" واصل حارس السر، "وأن تلك بصمات أصابعي، هاهو سيسقط أمامكم!" ركز الجميع أبصارهم على هرديليس. ضغط حارس السر. بقي هرديليس مكانه لم يسقط في أي حفرة. لحظة وجوم شلت الجميع حتى انطلق صوت هيركيوليسام شون صارخا، "ابن عمي! جوزيه خوان سقط في الحفرة! ابن عمي سقط في الحفرة!"

"لقد أسقطته عمدا ولن يخرجه غيري،" قال حارس السر بلهجة المنتصر. وفورا صرخ إلياس، "بل أسقطته جهلا لأنك لا تعرف الموضع!" ثم ضغط على رقبته وفتلها بيده كمن يقتل عصفورا. طقطقت رقبة الرجل الهرم وسقط أرضا، وفورا صرخ إلياس في الجميع، "لقد فقدت حفيدي! لقد فقدت حفيدي! يا هيركيوليسام شون، أطلق النار فورا على من لا يضع سلاحه على الأرض." قال إلياس هذا ثم حمى جسده بجسد حارس السر. " يا أولاد إلياس، احموا أنفسكم بأجساد الآخرين وأطلقوا النار على الخارجين،" أمر إلياس بلهجة لا لبس فيها. وعلى الفور وضع الجنود أسلحتهم. أمرهم إلياس أن يأتوا جميعا إلى اليمين.

"حفيدي!" صرخ إلياس بلوعة، "كم حفيد سأفقد كي أفهمكم أيها الأميون الجهلة! كم حفيد سيقتله استعصاؤكم على الفهم!"

حاول أن يلمس جهاز التحكم بأصابع حارس السر لكنه لم يعمل. توقف. خشي أن يلفت هذا نظر الجنود. لعلهم يرونه دليلا على أن حارس

السر هو فعلا حارس السر، وأنه بموته لم تعد الأجهزة تعمل. هذا وقت أرتيميس يوسا. ناداه جده وذكره بالنصيحة الأولى، أن يستمع تماما إليه وأن يفعل كما يقول. همس له في أذنه بتفاصيل ما يريد أن يفعل. تردد أرتيميس يوسا وهمس في أذن جده. لكن جده ذكره بصوت مرتفع ووجه غضوب بأنهم يريدون سلاما. وهذا هو طريق السلام. هذا هو الطريق الوحيد للسلام. ما سوى ذلك نزاع يبقى إلى الأبد، وسفينة ستغرق حتما.

نادى أرتيميس يوسا على هيركيوليسام شون وعلى ابنه أبوللو القيس. أمر هيركيوليسام شون بأن يبقى واقفا عند مسرح العمليات، بالضبط في الموضع الذي هُزِم فيه حارس السر، وطلب من أبوللو القيس أن يأتي معه.

عز: 2 شر

وأرسلت ميريهان، في اليوم الأول من السنة التاسعة من عقدها الثالث، إلى طارق صورة. وكانت في الصورة تقف أمام باب بيتها، الذي يحمل رقم 22، ولونه بني، وله مقبض نحاسي، معدنا ولونا نحاسي. يظهر خلف ميريهان في مدخل الشقة جزء من المشاية الخضراء، وجزء من الشفنيرة، وعلى الشفنيرة بعض تذكارات أتت بها من محافظة الأردن. دققت في الصورة، أرادت أن تضمن أن لا شيء ملفتا فيها.

ودقق طارق أيضا في الصورة. كانت تقف على درجة السلم الثانية من أعلى. خلفها في الصورة باب بيتها مفتوحا. ورقمه متوار خلف رأسها. أتعمدت ميريهان أن تخفي الرقم؟ لماذا؟ إن أرقام البيوت متشابهة في كل حي. نظر طارق إلى صورتها من يمين ويسار وأعلى وأسفل. يظن أنه سيرى الرقم لو غير الزاوية، غيب الفضول عقله. أمام الباب مسّاحةُ أرجلٍ بنيةٌ

خشنة. يظهر فيها حرف دبليو. وبقية الكلمة لا بد أنها ويلكوم. خلف الباب المفتوح مشاية زرقاء – أو خضراء، لا يكاد يتبين لونها – في ممر ضيق. عند نهايتها شفنيرة ذات واجهة زجاجية، الحائط الذي خلف الشفنيرة لا يتضح في الصورة لونه. لونه مطموس لأن هذا الجزء من الصورة مظلم. طارق ركز يريد أن يرى لون الحائط. لكنه لم يستطع. استطاع فقط في وسط ظلام الحائط أن يرى شيئا معلقا. دقق طارق ليعرف ما هو. ثم قال طارق لنفسه: معقول؟! أخذ الصورة إلى برنامج الفوتوشوب.

أضاء طارق الصورة بالفوتوشوب وتأكد أن المعلق على الحائط لوحة للعذراء، من ذلك النوع الذي ترتدي فيه غطاء رأس فضيا لامعا، بينما وجهها من خشب مذهب. وبدأ الشك. لكنه احتفظ به لنفسه و لم يقل لميريهان كلمة واحدة. بكلمة واحدة لميريهان لم يتفوه طارق.

عز: 3 أس

إلياس وأبوللو القيس حملا حارس السر وسارا به بعيدا عن ساحة الجراج، سارا في الممر الذي لا يرون آخره، نفس الممر الذي جاء منه موكب حارس السر. أرتيميس يوسا يحمي ظهريهما، وجهه نحو الجند وظهره إلى جده وابنه وحارس السر – كجثة هامدة. أبوللو القيس يخرج من جيبه أثناء سيره معدات طبية ويجهزها في حقيبة رخوة يمسكها بيده. حين صار الثلاثة على مسافة بعيدة، بحيث لا يظهر الأشخاص الذين في مسرح العمليات إلا كأشخاص في طول أصبع اليد، نزل أرتيميس يوسا على ركبته، وضع نظره في منظار البندقية وشغل الضوء اللامرئي فيها. أخبر جده بأنه سينفذ الآن وهذا أومأ بالموافقة. أخذ أرتيميس يوسا نفسا عميقا وكتمه ثم أطلق الطلقة. "هيرديليس شيء من الماضي الآن،" قال لجده، "ما تبقى سيكون في يد هيركيوليسام شون."

من حين إلى آخر ينظر أرتيميس يوسا في منظار البندقية. يبدو أن هيركيوليسام لا يزال قادرا على مغالبة كتيبة الجنود كلها وحده. يحتمي بجسد أحدهم ويطلق الرصاص على الباقين. ويطيح بالقريبين بضربة قدم أو نطحة رأس. يا لقوة هذا الشخص! أما أبوللو فقد فشلت جهوده في إنعاش حارس السر، وأعلن أنه لا أمل.

"نستطيع أن نستغني عنه!" قال إلياس.

"كيف؟" رد أرتيميس يوسا وابنه أبوللو القيس في نفس واحد، "كيف وهو المتحكم في كل شيء، القادر على كل شيء هنا، بدونه لن ينفتح باب ولن يعمل جهاز، سينهار البرج ومن عليه؟ كيف؟"

"في ذهني صورة،" يقول إلياس وهو سارح بعينيه كأنه يشاهد الصورة، "في ذهني صورة لا أدري أين رأيتها. ربما في مكان متوار من غرفة التحكم، ربما في شاشة مراقبة، لا أدري، لكنها تأتي إلى ذهني. صورة رجل يستمد قوته من رجل آخر عن طريق أصبعه. الآن فقط فهمتها. لم تكن تعني لي شيئا. الآن فقط صارت تعني لي أشياء."

"ماذا تقصد؟" مرة أخرى سأل الاثنان في نفس واحد.

"سأزرع أصبعه مكان أصبعي."

نظر أرتيميس يوسا إلى ابنه نظرة استفهام.

"تستطيع أن تفعل ذلك، أليس كذلك؟" سأل الجد حفيده بنبرة تحقق من دعاوى سابقة.

" لم أفعلها سابقا،" أجاب أبوللو القيس، "وليس معي مخدر."

"لا تكترث بشأن المخدر،" قال إلياس بحدة.

في تلك الأثناء نظر أرتيميس يوسا في المنظار. "عليكما أن تعجلا،" قال بإلحاح، "عليكما أن تعجلا، يبدو أنهم يتكاثرون على هيركيوليسام شون."

"هذا سبابة يميني،" قال إلياس، ثم أمسك الأصبع المماثل لدى حارس السر، "وهذا سبابة يمينه. ابدأ."

سأل أرتيميس يوسا إن كان عليه أن يتحرك نحو هيركيوليسام شون ليعينه. لكن إلياس أمره بأن يبقى مكانه وأن يكتفي برمي الجنود من هناك. وهذا ما فعل. يحتاجون إلى مساعدته هنا. أوتار قوسه التي يحتفظ بها في حقيبته دائما استخدمت لربط يدي ورجلي إلياس لكي لا يتحرك كثيرا في عملية دقيقة كتلك. أوتار عوده، استخدمت كتورنيكي (رباط لحجب الدم) حتى لا ينزف دما. نايه وضع بين أسنان إلياس حتى لا يعض لسانه من الألم.

جنود فروا من هيركيوليسام شون ويتنادون بملاحقة الثلاثة الذين قتلوا حارس السر. أرتيميس أخبر جده وابنه بما يحدث. إلياس أمره بأن يطلق النار بغزارة دون تصويب لكي يردهم، حتى تتم العملية الجراحية على الأقل. ثم صرخ في أبوللو القيس، "هيا. انته من هذا. إن كان أصبع يستغرق كل هذا الوقت فهل تحتاج دهرا لكي تنقل قلبا أو كبدا." وأبوللو

القيس لم يعلق. علم أن هذه فرصة لجده لكي يخرج صرخات ألم دون أن يعترف أنه يتألم. طمأنه بأن العملية على وشك الانتهاء، لكنه سيحتاج إلى وقت لكي تلتئم الشرايين والأنسجة والجلد، وأن أصبعه سيكون طوال هذه المدة مثبتا في اتجاه واحد لا يسمح له ولو بحركة ضئيلة.

"أسقط الثريات الكريستالية عليهم،" أمر إلياس حفيده أرتيميس، كأنما يتبرم من تعليمات أبوللو القيس وتوجيهاته ويريد أن يغير الموضوع. "صوب على عُلَّيقاتها حتى تسقط."

"لكن هيركيوليسام شون بينهم، لا أضمن ألا تسقط عليه،" أجابه أرتيميس.

"افعل تماما كما أقول لك،" صرخ فيه إلياس دون أن يحول بصره عن "أصبعه" الجديد، الذي يحيكه أبوللو في موضع الإصبع القديم.

عز: 4 شر

وفي ليلة خرج طارق مع أصحابه وشربوا خمرا. شرب طارق خمرا حتى لم يعد يرى الاشياء القريبة منه. يرى الأشياء كأنها في صندوق من الزجاج مليء بالماء. كأنها شمع يسيح. وفي هذه الحالة أرسل رسالة نقال إلى ميريهان يسبها فيها بأقذر السباب. لم يعرف بذلك إلا في الصباح حين نظر في هاتفه النقال. و لم ترد ميريهان. لكن طارق جزع جزعا شديدا. وأرسل إلى ميريهان يعتذر حتى كاد قلبه ينفطر. توسل إليها أن ترد عليه. قال لها إنه لا يستطيع التوقف عن البكاء ليل نهار. وإنه يخشى أن يفعل شيئا مجنونا. ثم أرسل لها يقسم إنه سيسبح إلى أمريكا في الصباح إذا لم ترد عليه، وإنه سيبحث عن بيت جورج يافي الذي معه عنوانه وسيجلس أمام البيت حتى تظهر.

حنقا موجعا أحست ميريهان في حلقها. تكلمت مع نفسها قائلة: كنت محقة حين لم أخبره بكل شيء. لقد احتجبَتْ ميريهان في هدوء حتى لا تزعجه، والآن هذا جزاؤها. لم تخبر طارق أن زوجها وجد كومة رسائله مخبأة في جزء يخصها من خزانة الملابس. الآن فقط أرسلت له رسالة نقال وأخبرته. وطارق أحس أنه أصغر من نملة، وأن وجهه من الخجل متورم فوق رقبته. وجهه رغيف ساخن منتفخ فوق أصبع أحمق يفقأ الرغيف، فيلسعه الرغيف. توسل إليها مرة أخرى أن تتحدث إليه على الإم إس إن وإلا سيقتل نفسه. أقسم إنه لن يجتمع له ليل وصباح، ولا شهيق وزفير، ولا روح وجسد معا، طالما هي ترفض معيته. وأخيرا وافقت ميريهان على أن تتحدث إليه تلك الليلة. تلك الليلة في الحادية عشرة مساء بتوقيت القاهرة العظمى العالمي تتحدث إليه. وعليهما، كمقيمين خارجها، مراعاة فروق التوقيت.

وفي الوقت المحدد جلس طارق. على كرسي مكتب من الجلد الأسود. من يجلس عليه يغرق فيه لأنه طري جدا. له مسند ظهر عال، يُثَبَّت لمن شاء، ويتأرجح إلى الخلف والأمام لمن شاء. وطارق كان متوترا، فظل يتأرجح إلى الخلف والأمام منتظرا أن تخرج ميريهان على شاشة الكمبيوتر. ظل هكذا منتظرا وقتا طويلا، حتى كاد الصبح عنده يبزغ. فغفا. ثم جاءه صوت منبه – يسمونه في لغة الكمبيوتر "بَز" – فانتبه فجأة، وإذا ميريهان تتصل به. ضغط على زر تشغيل الكاميرا. فظهرت ميريهان. انحنى طارق سريعا على شاشة الكمبيوتر يقبلها.

في تلك اللحظة كانت زوجته خارجة من الحمام. دخلته وهو غاف فلم يشعر بها. بين النوم واليقظة رأته منحنيا يقبل شاشة الكمبيوتر. انزعجت زوجته جدا. باليد اليمنى كانت تفرك عينيها من العماص بينما باليد الأخرى كانت تهرش إلى اليسار من عانتها. ونظرت مرة ثانية. تحدثت إلى نفسها في صدرها قائلة: هل يتفرج على صور عارية؟ ثم عادت إلى نفسها وقالت في صدرها: لا أظلمه، ربما يقبل صورة عزيز عليه، لأقترب وأرى. على أطراف أصابعها مشت. وهو لم يلتفت ولا لفتة صغيرة. لفتة صغيرة لم يلتفت طارق إذ كان يضع سماعات الكمبيوتر على أذنيه. باب حجرة الدرس التي يجلس فيها مقابل تماما لباب الحمام، لذلك مشت زوجته في خط مستقيم. ثم انزوت خلف الحائط المجاور لباب الغرفة، ومدت رقبتها كبجعة ونظرت. طارق مشدود تماما إلى شاشة الكمبيوتر. رأت زوجته على تلك الشاشة صورة امرأة تتحرك وتتحدث. لم تسمع ماذا تقول المرأة الغريبة لأن السماعات كانت في أذني طارق. سمعت ماذا يقول زوجها.

قال طارق للمرأة وهو يشهق ببكاء مخنوق: لقد كتبت فيك شعرا. هل أقرأه عليك؟ ثم أخرج ورقة من جيبه وشرع يقرأ:

أحلم بك شمسا خمرية

تدعوني للدفء

لاستراحة في قلب بركانها الأحمر

وفلاحة في قريتنا

تجلس أمام فرنها

تمد محساسا (قضيبا) أسود طويلا

من فتحة الكوة

وتقلب الخبز على قرص حام

وابن عمها يتفرج على المشهد

فيتذكر أنه ذكر

وفتاة متكبرة

من هؤلاء اللاتي لم يرضين بمثلي أبدا

سكرت معي بالصدفة

وقبلتها بالصدفة

وفي البيت اكتشفت بالصدفة

أنها تحب الرجال كثيرا

وتنكر ذاتها في السرير كثيرا

يحكي العشاق عن سيقان تشبه الرخام والمرمر

انا لا اعرف المرمر

ولا ازهقنى مرأى الرخام ولا لمسه

في هذه اللحظة تسللت زوجته إلى أسفل. نزلت على الدرج، بينما صوت طارق وهو يقول الشعر لا يزال في أذنها

أنت عندي كأنت

كأنت

لا عين رأت

ولا يد لمست

ولا خطرت على قلب بشر سواي

حين عادت إلى باب الغرفة كان طارق لا يزال منهمكا يقرأ شعره، تسللت نحوه على أطراف قدميها بمنتهى الحرص، حتى أكثر حرصا مما كانت من قبل:

لم أفعل معك شيئا خارقا للعادة

لأن أشياءك البسيطة خارقة للعادة

محض التصاقنا معجزة كلقاء بين ساكن للأرض وساكنة السماء

على الجهة الأخرى من البحيرة الأطلنطية لا تزال ميريهان تستمع إلى

الشعر. وجه ميريهان وهي تستمع خجول مضطرب. لم تكن خجلى لأنها تُمدح، بل لأن الشعر لم يكن جيدا وهي لا تستطيع أن تتحكم في تعبيرات وجهها. يبدو طارق أمامها على الشاشة منصرفا تماما إلى شعره. عيناه دامعتان. لا يرفعهما من الورقة التي في يده. وفجأة، رأت خلفه جسما يقترب. كتلة لا تعرف ما هي، إذ لا تزال بعيدة عن الكاميرا. إلى أن اقتربت جدا وأصبحت فوق رأس طارق تماما. مرخية ظلها عليه. تحدثت ميريهان إلى نفسها قائلة: يا للمصيبة هذا بطن امرأة. نبهت طارق بسرعة إلى أن زوجته خلفه. لكن الوقت كان متأخرا. التفت رأس طارق إلى أعلى والرعب على وجهه، في نفس اللحظة التي سمعت ميريهان زوجته تصرخ: "ملمس الرخام يا روح أمك! ملمس الرخام!" فهوت على رأسه بمزهرية شجت جبهته وهي تقول: "جرب ملمس الفخار يمكن يعجبك." وعلى الفور ضغطت ميريهان المذعورة على زر قطع الاتصال. ثم أغلقت الكمبيوتر كله. وجرت من الغرفة إلى الحمام وكأنها هي نفسها ملاحقة من زوجة طارق. عند باب الحمام تذكرت أنها لم تطفئ نور الغرفة فعادت سريعا وأطفأت النور. وشعرت أنها تستطيع الآن فقط أن تنهار كما تشاء. فجلست على الأرض تبكي وترتجف. تحاول أن تتحكم في صوتها لئلا يستيقظ زوجها.

وأما طارق فقد وقع الطلاق بينه وبين زوجته. وحدثت مشاكل عويصة جدا. وأراد طارق أن يريح دماغه فانتقل إلى أمريكا ليعمل هناك. في قلبه يقول: ربما يكون هذا أفضل. تنفصل ميريهان عن زوجها الذي تسميه الأعداء كما انفصل هو عن زوجته التي سماها الأعداء ويتزوجان.

عز: 5 أس

عدد الجثث كان مهولا في الموقع الذي هدت فيه الثريات، قدره أرتيميس يوسا بألفين. لم ينج أحد من الموت، حتى ابن العائلة الشجاع. قص إلياس شعر هيركيوليسام واحتفظ به اعترافا بما قدم. سينسجه في باروكة، قال لأولاده، ويحتفظ بها في خزانة فخر العائلة التي صارت من اليوم هي العائلة، بالألف واللام. ألف ولام أطول من أعمدة النور التي تحرس بيت عائلة إلياس في وازعان. لم يعرف الثلاثة ماذا يفعلون بكل هذه الجثث. فالأصبع الجديد وحده لم ينجح في تشغيل جهاز التحكم البعيد.

وعدهم أبوللو القيس أن يجد حلا. ولا بد أن يجد حلا وإلا انهارت الأحلام كلها، وصارت التضحيات مجرد خسائر، وأكثر من خسائر. طلب إلياس من أبوللو أن يجرب توليفة من تلك الحروف: ح ب م س ح و ق وتلك الأرقام 1 9 7 2 6 2 7. لربما يصل إلى الكلمة السرية التي

تفتح مغاليق الأمور. انزوى أبوللو القيس غير بعيد، بالقرب من مسار السير المتحرك الذي حملهم إلى هنا، بينما جلس إلياس وحفيده أرتيميس على الأرض يتحدثان. أرتيميس يوسا ينظر إلى الباروكة التي ينسجها بأمر من جده، يأمل أن يساعده ذلك في قتل الوقت، وإلياس ينظر إلى أصبعه المثبت، طوال الوقت. وينظر الاثنان إلى أبوللو القيس، من وقت إلى وقت، في انتظار كلمة منه.

حل بهما الإنهاك والتعب فناما، مطمئنين أن الابن النجيب أبوللو القيس هناك، عينا ساهرة.

لكن الوسائل العلمية الإحصائية التي اتبعها أبوللو القيس في التوصل إلى كلمة السر، أخفقت جميعا. كل تباديل الحروف والأرقام التي توصل إليها، مرة بمنطق موسيقي إيقاعي، ومرة بمنطق التتالي الحسابي، ومرة بمنطق التتالي الهندسي، ومرات بمنطق الاحتمالات العشوائية، كلها كلها فشلت. محاولاته لشرح نظرية الاحتمالات لجده لم تفلح في تهدئته، فإلياس شعر بالإرهاق لأنه لعب بأصبعه كثيرا على جهاز التحكم البعيد وهو يجرب تلك الاقتراحات. بينما أصبعه لا يزال منهكا، قائما في مكانه بجهد مصطنع. خيبة الأمل بانت على وجه أبيه أيضا. وحده أبوللو القيس ظل متفائلا. أمامه طريق وحيدة، كما قال لهما، لم يحب أن يلجأ إليها من البداية. تستلزم هذه الطريقة، ببساطة، الاتصال بحارس السر.

"لكنها تنطوي على مخاطر،" قال أبوللو، يريد أن يكون في صوته من الجدية بقدر ما يستطيع لكي يبرئ نفسه من أي احتمال ولو ضئيل لخطر.

"المخاطر الحقيقية هو أن لا نشغل هذا الجهاز بأسرع ما يمكن،" رد إلياس. مبتسما بخليط من سخرية وهدوء. أبوللو نظر إلى الابتسامة وابتسم. هذه ابتسامة تلخص لماذا إلياس إلياس.

"ساعدوني إذن،" قال أبوللو القيس باسما أيضا، "سنجري عملية جراحية بسيطة لهذا الزبون."

أجلسوا جثة حارس السر وأسندوا ظهرها على الحائط. أخرج أبوللو القيس المشرط الطبي ودهنه بشحم حيواني المنشأ كان معه في الحقيبة، ثم وضعه مقلوبا – ممسكه الأثلم ناحية الجلد، ونصله الحاد إلى الخارج – على ترقوة حارس السر، وثبته بشريط لاصق. ثبت الرأس في موضعها بدعامة ممتدة من الظهر إلى أعلى، ثم ألبس الرقبة دعامة طبية كتلك التي تستخدم في حالات آلام الرقبة أو انزلاق الفقرات. أوقف الجثة، سحبها إلى قلب ساحة الجراچ، في نفس الموضع الذي كان "كرسي عرشه" فيه، في نفس الموضع الذي قتل فيه، وسقط على الأرض فيه. ثبت الجثة على عصا، فبدا كأنما الرجل الهرم واقفا متكئا على عصاه. رسم دائرة بالطبشور حول الجثة الواقفة، تعمد أن تكون حدودها أقرب إلى الجثة من موضع ارتكاز العصا على الأرض. أتى بخيط وربط في أحد طرفيه خنفساء بينما ربط الطرف الآخر في قدم حارس السر. بدأت الخنفساء تدور حول حارس السر في حدود دائرة الطبشور، ثم في دوائر تضيق وتضيق كلما لف الخيط مرة حول قدميه حتى التصقت في قدميه تماما. نثر بعض السكر على مسافة من طرف العصا لكي يجذب النمل بعيدا عنها. نظر إلى أبيه وجده وقال،

"الآن نستطيع أن نبدأ." أمسك بباروكة هيركيوليسام شون التي لا تزال في يد أبيه ووضعها على رأس الجد، "ستحتاج إلى كل شعرة قوة ممكنة يا جدي فالبس هذه."

توافد النمل على السكر الذي نثره أبوللو القيس. لم تقترب نملة واحدة من قدميه. تحرسهما الخنفساء. طائر الحياة لم يفارق حارس السر كثيرا، حبسته الخنفسا ضمن حدود الدائرة الضيقة التي رسمتها بالخيط. والخنفساء تعمل بأمر أبوللو القيس. تسمح وتمنع بأمر أبوللو القيس. الجزء الضئيل من قوة طائر الحياة الذي سمح له أبوللو القيس بتجاوز الدائرة كان كافيا لكي يرتعد إلياس القوي ويهتز كأنه يكهرب. "لولا شعر هيركيوليسام شون لفقدناه،" قال أبوللو القيس لأبيه. وأبوه أومأ برأسه مؤمنا.

صرخة عظيمة من إلياس قطعت عليه كلامه. مد إلياس يده ونزع الدعامة والضمادة عن أصبعه، ثم مدها والتقط جهاز التحكم البعيد. كان يتصرف بآلية. دق بأصبعه على الجهاز فأضاء بنور أخضر، دق بأصبعه فانفتحت البوابة الكبيرة. دخل الثلاثة منها. أرتيميس يوسا وابنه أبوللو القيس يتلفتان في الغرفة مبهورين، بينما جدهما يتنفس بارتياح، أنفاسا عميقة يشهق بها ويزفر كمن يحاول بلا جدوى التخلص من ذبحة صدرية.

"هل أنت بخير الآن يا جدي؟" عبر أرتيميس يوسا عن قلقه.

" لم أكن يوما أقوى مما أنا الآن، لا تنزعج،" قال إلياس بحسم.

"هذه الصرخة لم تكن أكثر من صرخة دبيب حياة جديدة فيه، هو فعلا أقوى كثيرا الآن،" غمز أبوللو القيس بعينه اليسرى." تستطيع أن تنطح سبع نساء في ليلة واحدة لو أردت. "

"أول ما يجب أن نفعله هو التخلص من تلك الجثث،" قرر إلياس وأبلغهما القرار، محولا دفة الحديث عن هزل أبوللو.

"نعم،" رد أبوللو القيس سريعا مستجيبا لجدية جده وجد أبيه، "ولكن علينا أن نحذر. يجب ألا يصيب جثة حارس السر أذى في الوقت الحالي، يجب أن تقف هكذا كأجساد الأحياء حتى تدين لنا السيطرة على كل شيء. لا تزال هناك حاجة له. كلمة السر ليست نهاية المطاف."

ابتسم إلياس تلك الابتسامة. وضع يده على كتف أبوللو. ضغط على كتفه براحته، بمزيج من حنية وقسوة. وفهم أبوللو الرسالة: "يا جدي، نحن عائلة واحدة، وأنا لا أضع علمي قبل علمك. فقط أقول ما أفكر فيه حتى لا أندم لأنني لم أقله."

شرح له إلياس كيف أن كل حجر هنا له رقم، كأنهم في قلب آلة كبيرة بتروس دقيقة. ضغطة الأصبع تحرك الترس المعني فقط، لا تحرك غيره إلا إذا أراد المتحكم ذلك. وبالفعل، أراه تطبيقا عمليا. انقلبت الأحجار بالتتابع فابتعلت الجثث وطمرتها تحتها. وما تبقى عاد فضاء متناهيا، حارس السر متكئا على عصاه في الصدارة منه، عند التقاء ساحة الجراج مع الممر الطويل الذي جاء منه موكبه المهيب قبل ساعات قليلة. عيونه تنظر نحو الثلاثة الذين أخذوا مكانه بنظرة جامدة، لا عين تطرف، ولا شفة تنبس،

ولا شهيق يعلو ولا زفير يهبط، مستويا تماما، بكل ثقل الاستواء، متوازنا تماما، بكل دقة التوازن وتوتره واستحقاقه للانتباه، من عجزه تُولَدُ رهبتُه. ومن صمته تولد الأسئلة.

عز: 6 شر

وحين التقى طارق بميريهان أول مرة بعد أن انتقل للإقامة الدائمة في أمريكا فاتحها في موضوع الزواج. لكنها رفضت رفضا قاطعا. قالت له إنها لا تريد أن تترك ابنها وهو صغير. ولا تريد لابنها أن يعيش بعيدا عن البيت الذي فيه أبوه وأمه. وقالت أيضا إنها مستعدة أن تتحمل أي شيء من أجل ابنها. غضب طارق وقال: "لكنني أكتب فيك شعرا، وزوجك لا يكتب شعرا". وقالت له ميريهان إنها تحبه، لكنها لا تحب شعره. ميريهان لا يهمها وحدة المتر، لكن تهمها الموسيقى وتهمها أصالة الصورة وقدرتها على الامتداد.

وفي المرة التالية التي كان مفترضا أن تلتقي فيها ميريهان بطارق في بيته أخلفت موعدها و لم تأت. ومرة أخرى يغتم طارق وهو في غربته، حتى يكاد يمزق ملابسه من الغم، وينتف لحيته وشعره. لكن هذا الحزن كما هي

عادة طارق تحول إلى غضب. وظل يرسل رسالة تلو رسالة. وردت عليه ميريهان بأن لديها حالة وفاة. أخو زوجها توفي. ونبتت في رأس طارق فكرة. بحث في الواشنطن بوست في صفحة الوفيات عن اسم يافي. ووجد بالفعل أن مرقص يافي توفي. ومرقص أخو كل من جورج وبطرس وكيرلس وكارين، وابن كل من إسحق يافي وهدى بشارة. قال طارق لنفسه، لا يعقل أن الرجل أبا زوجها سمى كل الأبناء أسماء مسيحية. هذه عائلة مسيحية بلا شك. ثم قال لنفسه: كيف تتزوج مسلمة من مسيحي؟ هل عقدت زواجا مدنيا؟ لو كانت ميريهان مسلمة لن تتزوج أبدا بمسيحي. وسأل نفسه في صدره عدة أسئلة: هل يمكن أن تكون ميريهان مسيحية؟ لكن لماذا تخفي عني ذلك؟ ولماذا تخترع لي كل هذه الحكايات؟ تذكر طارق كيف كانت تسخر بشدة من ذبح الخراف في العيد. هذه المرة صمم طارق على أن يواجهها.

عز: 7 أس

طلب إلياس من حفيده وابن حفيده أن يتركاه في الغرفة وحده. نظر الأب إلى ابنه والابن إلى أبيه متعجبين. لم يمهلهما جدهما. أراهما بعضا من قوته. ضغطة من أصبعه حركت الأيادي الزنبركية إلى حيث يقفان وسحبت كلا منهما إلى الخارج على حدة. ثم أغلقت البوابة خلفهما. وتُركا في ساحة الجراچ، في معية حارس السر. ينظران إلى أحدهما الآخر وإليه. ولا يتحدثان.

أما إلياس فبأصبع حارس السر يشغل ما يطرأ على عقله. وما يطرأ على عقله زحام من الفضول. ماذا كنت تفعل بكل هذه الأزرار؟ ماذا ترى من هنا أيها التافه؟ فليجرب! هذه أزرار مراقبة الأخطار. المجسات! قديمة. رآها إلياس من قبل. يريد شيئا جديدا. همممممم. يطوف أصبعه عشوائيا، يفكر في نفسه، في إلياس. يقع أصبعه وهو مغمض العينين على

زر/تجويف. تظهر على الشاشة كلمة "أكيليس"، اسمه القديم. فلير ما لدى حارس السر عنه. لقاء الغرفة بينه وبين أولاده – قديمة. يرجع إلى الخلف. لقاؤه بهركيوليسام شون حين جاء بناء على طلبه قبل يومين – حتى هذا مسجل؟! يرجع إلى الخلف. لقاؤه بالمرأة التي نطحها. أوه، تلك المرأة. كان يراقبه أيضا وهو ينطح؟! هل هذه أخطار أيها التافه؟! لقد أصاب إلياس إذن حين تخلص منه.

أغمض إلياس عينيه مرة أخرى: الماحول. الماحول. هل في الماحول شيء غير المجسات؟ تسع شاشات أضاءت حين لمس الأصبعُ التجويفَ الذي هُدي إليه. ما هذا؟ من هؤلاء الذين يرتدون ملابس تشبه ملابس أهل برج الأسد؟ ثمة شيءٌ مختلفٌ في الملابس، لكن وجه الشبه كبير، كأن هذه طراز أقدم أو طراز أحدث، ليس إلا. والسيارات، تبدو أحدث هي الأخرى، والشوارع – آه فرق كبير في الشوارع، الشوارع هناك منظمة بشكل أفضل كثيرا. اللغة خليط من لغته ولغات بلابلا. نقل إلياس نظره إلى الشاشة الثانية. أناس تسير في دائرة حول بناء عظيم. الشاشة الثالثة: عسكر يطلقون النار، وجموع تهرب. الشاشة الرابعة: نساء ورجال وأطفال يسبحون ويلهون على الشاطئ. الشاشة الخامسة: أناس يغنون أمام شكل خشبي على شكل +. الشاشة السادسة: أطفال يُغَطَّسون في ما يبدو أنه نهر داكن اللون ثم يخرجون مرة أخرى، آلاف منهم، وآلاف على الضفة ينتظرون، وآلاف من الكبار يصبون من الماء على أنفسهم وهم واقفون في قلبه، ماذا يفعل هؤلاء؟ الشاشة السابعة: أجسام معدنية عملاقة تطير في الهواء وترمي كرات تنفجر. الشاشة الثامنة: نساء ورجال

يتناطحون على شاشات كبيرة. آه هذه الزينيما، بيت الصور، لكن النساء والرجال لا يتناطحون عليها في برج الأسد. لماذا يتناطح الرجال والنساء ويظهرون فتحاتهم أمام الناس هكذا؟ أين هذا؟ هل استخدم حارس السر صور مناطحته للمرأة في السيارة بنفس الطريقة؟ ما هذا؟ إلياس لا يفهم. الشاشة التاسعة: كتب لا تشبه الكتب القديمة، كتب بصور ملونة وأغلفة لامعة، كتب هي أيضا بلغات بلابلا، وبعض قليل جدا بلغته. "اركضوا إلى أحضان الله،" عنوان كتاب قرأه. من هو الله هذا الذي سيركض الناس إلى أحضانه؟ " فتح المتاريس للنفيس والرخيص،" عنوان كتاب آخر يشبه كتب برج الأسد. " المقويات في النطاح." لماذا يكتب هؤلاء الناس الطاء كافًا؟ لم تكن الكتب وحدها موجودة في هذا المكان الكبير، لكن البقية يشبه ما لدى برج الأسد. أكوام من معلبات تتكرر على الرفوف كلها لها نفس الشكل والمنظر، وهي، كما غيرها، تبدو أحدث في ذلك المكان الذي لا يعرفه إلياس.

هؤلاء إذن الذين سيرسلون الجرثومة. هؤلاء إذن. يظهرون فتحاتهم أمام الآخرين. هؤلاء إذن. لم يدر إلياس ماذا يفعل. لم يكن حارس السر يكذب. الجرثومة ستأتي فعلا. لكن أين هؤلاء؟ أين هؤلاء. أغمض عينيه مرة أخرى وهو يفكر في هذا السؤال وترك أصبعه يطوف بحرية. فتح عينيه على صفير متكرر، "تحدث الآن، بصمة اللسان مطلوبة لتحقيق هذا الأمر،" قالت رسالة مسجلة، "تحدث الآن، بصمة اللسان مطلوبة لتحقيق هذا الأمر،" تكررت الرسالة. لم يدر إلياس ماذا يفعل. ظل يلمس مفتاح التحكم بأصبعه، يضرب عليه بقبضته وهو ينظر إلى الشاشة

المتوارية التي يظهر عليها ضوء أحمر ويختفي، وتظهر عليها نفس الرسالة المنطوقة لكنها مكتوبة، وتختفي. آخخخخخخ. عض إلياس على أسنانه. آخخخخخخخخخخ.

أعطت الرسالة لإلياس فرصة واحدة أخرى للمحاولة وإلا سيمحو البرنامج نفسه ذاتيا. وأسقط في يد إلياس. لم يعد أمامه إلا حلا واحدا.

رفض أبوللو القيس في البداية إجراء العملية، لكن إصرار إلياس لم يترك أمامه مجالا. " هذا درس لن تتعلمه في المدارس،" قال إلياس، "حين تضع أصبعك في جحر لا تبخل عليه بما تبقى."

" أنت محق يا جدي،" أخرج أبوللو المشرط من حقيبته، "كل شيء، أو لا شيء على الإطلاق."

"أعد مشرطك،" قال إلياس ضاحكا، "هذه المرة نحن نملك أحدث الأجهزة. أسعد حظا بكثير من المرة الماضية."

الشيء الوحيد الذي أصر أبوللو القيس على فعله يدويا - تحت تكييف بارد للغاية حتى لا تسقط قطرة عرق واحدة في دائرة الخنفساء - هو قطع لسان حارس السر، ووضعه في الثلج مباشرة. يريد أن يضمن الحفاظ على استواء حارس السر وتوازنه. شعرة تختل، يختل الاستواء، يسقط على الأرض، وينتهي كل شيء. عليه، في نفس الوقت، أن يضمن دفئا مناسبا للخنفساء وإلا ماتت وخرج طائر الحياة خارج حدود الدائرة. غطاها بقطعة من الصوف كانت في حقيبته الرخوة.

بعد أن أجرى العملية لإلياس أخذ لسان جده ولصقه في فم حارس السر. عاد سريعا ليطمئن أن إلياس أفاق بسلام. وأن لسانه الجديد صاح ويلعب. ومرة أخرى انفرد إلياس بنفسه في غرفة التحكم المركزي، بينما خرج حفيده وابن حفيده إلى ساحة الجراچ. حان الآن وقت التعرف على المكان البعيد، هكذا قال إلياس لنفسه.

عز: 8 شر

لقاء طارق وميريهان هذا كان أحلى من طعم الشهد وأطيب من رائحة الحبق. واستراح قلب طارق ونسي ما أراد أن يتحدث فيه. هكذا طارق، يتذكر وينسى كفارغ رصاصة طارت وحطت. الآن يمزحان وهما يمارسان الحب. ويلقيان النكات. ويضحكان بصوت عال حتى خافا أن ينبها الجيران. قال طارق لميريهان إنه وهو رضيع كان إذا زارتهم امرأة حلوة الثدي يبكي ويترك ثدي أمه ويذهب إلى المرأة الأخرى. وقال لها إنه منذ كان صغيرا يحب الحنان. لكن ميريهان قالت له إنه لا يحب الحنان، ولكن يحب الجمال. قالت إن من يطلب الحنان لا يرض بأمه بديلا. حزن قلب طارق. لم يرد من الموضوع أكثر من مزحة بسيطة. يعلم أن ميريهان تبني كثيرا على الإشارات والدلالات. فهي طبيبة تتخصص الآن في الأمراض النفسية. هو أيضا منذ عرفها يقرأ كتبا لفرويد وغيره من

النفسيين، ويتحدث إلى أصحابه عن تلك الكتب، ويعيد عليهم مقاطع منها. لكنه رغم ذلك لا يبني على الإشارات كما تفعل ميريهان. صعد الحزن على الدرج مهرولا في قلب طارق، فهو فاشل في الشعر وهو ليس رومانسيا بما فيه الكفاية. ماذا يفعل؟ لكن ميريهان حين شعرت بفأر الحزن يلعب في نملية قلبه قالت له إن هذا يعجبها. فهي تحب الرجل الذي يطارد الجمال أكثر كثيرا من الرجل الذي يستحلب الحنان. وأرادت أن تسري عنه أكثر، ففتحت ضلفتي نملية قلبها وقالت له إن حبيبها السابق التقى بها منذ أيام. قالت له أيضا إنها حزنت بعد هذا اللقاء لأن هذا الحبيب السابق تعامل معها وكأنه متاحة له. سألها طارق لماذا تركت هذا الحبيب و لم تتزوجه؟ وصمتت ميريهان. ثم قالت له إن عائلته لم توافق على الزواج. سألها طارق هل كان هذا لأن أمها مسيحية. وهي قالت نعم. هذا هو السبب. سألها طارق هل هذا ما جعلها تترك بلادها وتأتي إلى أميركا وتتزوج من رجل مسيحي. فانزعجت ميريهان بشدة وقالت إن زوجها ليس مسيحيا. لكن طارق قال وهو يتعمد الهدوء وإظهار الحنان، حتى أنه كان يضمها إلى جسده وهي عارية ويبقي يده على ظهرها دون أن يلمس المناطق الجنسية الفاضحة، قال إنه رأى النعي الخاص بأخي زوجها في الواشنطن بوست وإن أسماء العائلة كلها مسيحية. لكن ميريهان قالت إن هذه مجرد أسماء وإن الناس في بلادها تسمي أسماء كتلك لكي يعيش الأولاد. ظل طارق يمسح على شعرها وهو يضمها إليه. كان مرتاحا لأنه لا ينظر في عينيها. قال لها إنه أيضا رأى في الصورة التي أرسلتها إليه قبل فترة صورة للعذراء معلقة على حائط بيتها. لكنها نفت ذلك تماما. قالت

له إن مثل تلك الصور لا تدخل بيتها. قال لها طارق إنه يظن أنها مسيحية وأنها لسبب ما تخفي عنه ذلك. لكنه لا يملك إلا أن يصدقها. لن يطلب منها أن تقرأ الفاتحة مثلا. لكنه قال أيضا إن أشد ما يؤلمه لو كانت لا تقول الحقيقة هو علمه بأنها لا تثق فيه، بل ولا تعرفه جيدا. طارق لا يفرق بين مسلم ومسيحي ويهودي وبوذي وهندوسي. ولو كانت مسيحية فإن هذا لا يعني له شيئا على الإطلاق. تحدثا في الموضوع طويلا – الليل كله. وقبل صياح الديك كانت ميريهان قد أنكرته ثلاث مرات. ورغم ذلك ظل الفأر يلعب في نملية قلب طارق.

✂ ✂ ✂ ✂ ✂

وكان عضو "الساهرون" المسؤول عن تسجيل شرائط ميريهان وطارق يقول لنفسه وهو يتابعهما على الدائرة التليفزيونية المغلقة: لماذا لا تكفان عن هذا؟ إن هذا ممل، لف ودوران لف ودوران! فلننظر يا ست ميريهان ماذا ستفعلين المرة القادمة؟

عز: 9 أس

استجابت الشاشة المتوارية خلف الشاشات الست. لم تظهر الشاشة صورا هذه المرة، بل كلاما دقيقا. يكره إلياس الكلام الدقيق. لو كان حفيده حمون ابن ران المناوي هنا لساعده. هذا الممل المتردد يعشق الكلام كثيرا. أغمض عينيه وطاف بأصبعه يريد أن يكبر حجم الخط. مرارة اللسان داخل فمه تزعجه. الفكرة نفسها تزعجه – أن لسان شخص آخر داخل فمه. حركته تزعجه. نظر إلى الشاشة بالخط الكبير. إلياس لم يحب التفاصيل أبدا. أغمض إلياس عينه وطاف بأصبعه وهو يفكر في "الناس الذين يشبهوننا ولا يشبهوننا".

الشرنقة (برج السرطان): صنو برج الأسد وتوأمه. كانا في الأزمان الغابرة برجا واحدا لكنهما انفصلا في انفجار كوني كبير لم يترك شيئا على حاله. سبب الانفجار مجهول. سكان برج الأسد تناقلوا الحكاية جيلا بعد

جيل وانتظروا ظهور رجل ينتهي على يده هذا الانقسام. بساريا أخطبوط المفدى حظر ذكر الموضوع واعتبره خيانة عظمى ترمي إلى إعادة الجرثومة إلى برج الأسد والقضاء عليه. كاميرات المراقبة المسلطة على برج السرطان (الشرنقة) لا يعلم بها سوى أنت يا حارس السر وأسلافك من الحراس. لا يسمح بإفشاء السر حتى ولو إلى جماعة الفك والربط. نذكرك بأن هذه هي فرصتك الأخيرة للاطلاع عليه، بعد أن اطلعت عليه مرة يوم أن توليت هذا المنصب. سيكون من حق خليفتك في المنصب واسمه الكودي إلياس كما أخبرتنا أن يطلع عليه مرتين أيضا. مرة حين توليه المنصب ومرة للتذكرة. هل تريد الاستمرار؟

صدم إلياس حين قرأ المقطع السابق. صدم للسر. وصدم حين علم أن وصية حارس السر - حتى هذه اللحظة - كانت نقل المنصب إليه. هل يريد الاستمرار في القراءة؟ وهل يملك خيارا إلا الاستمرار؟ يريد شيئا واحدا فقط، معلومة واحدة أخرى: هل هذه الجرثومة فعلا توشك أن تغزو برج الأسد. أغمض عينيه وطاف بأصبعه وهو يفكر في الجرثومة.

الجرثومة: لم يكف سكان الشرنقة (برج السرطان) عن محاولة الاتصال ببرج الأسد. القائمون على البرج راجعوا تعاليم بساريا أخطبوط وتوصلوا إلى أن الغرض الوحيد لبرج السرطان في محاولاته تلك هو توصيل الجرثومة التي تحدث عنها قائدنا المفدى إلى برج الأسد من أجل القضاء عليه. من أجل ذلك، امتنعت القيادة تماما عن نقل الاختراعات التي تسمح للأفراد بالخروج إلى حدود الماحول، سواء الطائرات أو الصواريخ

أو المركبات الفضائية. في البداية امتنعت القيادة أيضا عن نقل الاختراعات التي تستكشف الماحول، لكن القيادة رأت لاحقا أن من مصلحة البرج السماح باختراعات استكشاف الماحول لأغراض دفاعية، على أن يقتصر الاطلاع على المعلومات الواردة على جماعة الفك والربط. مؤخرا، اقتربت مجسات عملاقة من الماحول الخاص ببرج الأسد ورابضت هناك. كما التقطت كاميرات التسمع الخاصة بنا معلومات من هذه الأطباق عن خطط لإعادة ما يسمى "اللُحمة الجينية" بين البرجين، للتغلب على نضوب موارد الشرنقة. لا يسمح بإفشاء سر اللحمة الجينية حتى ولو إلى جماعة الفك والربط. نذكرك بأن هذه هي فرصتك الأخيرة للاطلاع عليه، بعد أن اطلعت عليه مرة يوم أن توليت هذا المنصب. سيكون من حق خليفتك في المنصب واسمه الكودي إلياس كما أخبرتنا أن يطلع عليه مرتين أيضا. مرة حين توليه المنصب ومرة للتذكرة. هل تريد الاستمرار في القراءة؟

لقد صدق حارس السر إذن، قال إلياس لنفسه. وأسند رأسه على لوحة التحكم التي أمامه. أراد في تلك اللحظة أن ينام. يغمض عينيه وينام. الموضوع جد وليس هزلا. ضحك في سره. الكون؟ ما هذه الكلمة؟ آلإنسان محدود إلى هذه الدرجة؟ يعيش ولا يعرف أن حوله آخرين، ولا سيما أن هؤلاء الآخرين يكادون يقتحمون حياته. كان يظن أن حدوده بلاد إست وشوبان وقوزي، ولو تناهى علم الواحد فيهم تعرف على بلاد بلابلا. "يا أبوللو القيس!" صرخ إلياس. "أنت يا زفت!" ثم تذكر أنه لا يحتاج لهذا، ضغط بيده على جهاز التحكم البعيد الكريستالي

فانفتح الباب. ثم صرخ مرة أخرى بنفس القوة، كممثل يعيد مشهد مدحه المخرج، لكنه يريد أن يغير زاوية الكاميرا.

دخل أبوللو القيس إلى غرفة التحكم هلعا. وعلى الفور سأله إلياس إن كان يعرف ما هو الكون. وقف أبوللو واجما. لا يريد أن يجيب. صرخ فيه مرة أخرى إن كان يعرف أم لا يعرف. قال أبوللو القيس إنه يعرف. قالها كمن يقر بذنب عظيم. وهي ذنب عظيم. يعرف لأنه سمع الكلمة من أناس يعرفهم في بلاد بلابلا على فيك بوس وطويأر، برر أبوللو القيس. لكنه أكد سريعا إنه لا يعرف التفاصيل. فحتى أصدقاؤه هناك لا يخوضون في الموضوع خشية أن يتعرضوا لأكثر مما هم فيه من نفي وإقصاء. ضحك إلياس باستهزاء متسائلا من المنفي المُقصَى. من المنفي المقصَى؟ قالها وهو يلتفت عن أبوللو القيس ونحو لوحة التحكم مرة أخرى. "اغرب عن وجهي، اغرب عن وجهي أيها التافه،" صرخ إلياس. ثم نظر إلى الناحية الأخرى وفتح فمه وأخرج لسانه وأدخله كأنما يوشك أن يتقيأ. فعلها مرتين ثم أغلق لسانه وقال: "سبي."

توقف أبوللو القيس عند بوابة غرفة التحكم المركزي ونظر إلى الخلف، نحو جده إلياس، مرة أخرى، "هل تتحدث إلي يا جدي؟"

" لا أيها الأحمق."

" لقد قلتـــ"

" لم أقل شيئا أيها الأحمق، غر من وجهي، لم أقل شيئا. "

السبي. السبي؟! ماذا تعني هذه الكلمة. ولماذا تجري على لسانه دون أن يريد؟ بل دون أن يعرف ماذا تعني؟ ماذا دهاه، يسأل إلياس نفسه. السبي. السبي. أغمض عينيه وطاف بأصبعه وهو يفكر في الكلمة. على شاشة المعلومات ظهر معناها: "كلمة قديمة لم تستخدم رسميا منذ أيام بساريا أخطبوط المفدى إذ أبطل العمل بها. وكانت تعني حيازة نساء القبيلة المهزومة بعد الحرب". لكن لماذا؟ سأل إلياس نفسه. لماذا يأخذون النساء؟ إن ذلك سيخل بالتوازن لديهم. بعد ما عرف اليوم لم يعد يتعجب من شيء، لو اندهش لكل ما عرف لأحس نفسه طفلا يتعلم الحياة ويتعثر ويسقط، وهو لا يريد هذا. لا يريد هذا.

كان هذا أكثر مما يتحمل إلياس... "السبي".... لكن الوقت لم يكن مناسبا للتفكير ... "السبي"... إلا في شيء واحد ... "السبي"... هل يمكن الآن أن يتحالف ... "السبي"... أبناء هيرديليس... "السبي"... "السبي".... وأبناء سخنين... "السبي"... "السبي".. ضده؟

عض على لسانه حتى آلمه. عض عليه أكثر وأكثر. عض على طرفه وعلى جانبيه. لكنه لم يتوقف عن النطق بنفس الكلمة. "السبي."

سيذهب سريعا سريعا إلى وازعان.

... السبي. السبي. السبي. ظل يردد وهو خارج من الغرفة إلى الجراج، وهو ينتظر السيارة الكريستالية الوحيدة الباقية، بينما يتدلى سقفها من ركن في السقف ليلتحم بجسمها الذي استقر على الأرض.

عز: 10 شر

جاءت ميريهان إلى بيت طارق لأول مرة منذ شهر. وجهها مشدود من ارتباكها. لا ترد على الكلام مباشرة. بل تفكر في شيء آخر يقف قبله في الصف. سألها طارق "مالك؟" فقالت إنها تريد أن تخبره شيئا ولكن تخشى أن يغضب. قال لها: بل أخبريني. قالت له إنها حامل. سألها إن كانت جادة. فأقسمت له أنها كذلك. وقالت له إنها لن تستطيع أن تأتي لبعض الوقت لأنها تحتاج عادة إلى الراحة في بداية الحمل بالذات. ثم أخذت حقيبة يدها ونهضت وخرجت من الباب. طارق لم يعرف كيف يجب أن يكون رد فعله. لقد عرف أمس فقط أن زوجته هو أيضا كانت حاملا حين انفصلا. لو لام ميريهان لأنها لا تزال تنام مع الأعداء، فهو أيضا ملوم. لكنه بطلاقه فقد كل شيء. وهي لم تفقد شيئا. لديها زوجها وبيتها وعشيق في وقت الراحة. على ورقة كانت أمامه على المنضدة كتب شيئا.

✂ ✂ ✂ ✂ ✂

لبيب، عضو "الساهرون" المكلف بمتابعة ميريهان، استخدم الزوم

إن لكي يقترب من تلك الورقة البيضاء. صارت الورقة ملء الشاشة. مكتوب عليها "لقد ضحيت من أجلك بكل شيء، وخسرت من أجلك كل شيء".

أوقف لبيب التسجيل. لا يريد أكثر من ذلك. جمع الشرائط معا. أضاف رقما مسلسلا على الشريط الأخير. على التقويم الموجود في الكمبيوتر حدد موعدا بعد ثمانية أشهر وعنونه بهذا العنوان: عودة إلى متابعة الحالة – موعد الولادة.

بينما يغادر مكتبه قفزت إلى ذهنه مرة أخرى العبارة الكليشيه التي كتبها طارق في الورقة البيضاء: "لقد ضحيت من أجلك بكل شيء، وخسرت من أجلك كل شيء." يا له من كليشيه.

عز: 11 أس

وقف إلياس على سيرِ السيارة المعدني واستدعى حفيده وابن حفيده لكي يفعلا كما يفعل. لكن السير المعدني لم يتحرك. ضغط إلياس على جهاز التحكم البعيد الكريستالي لكن شيئا لم يتغير. ضغط بعصبية، أكثر من مرة، لكن شيئا لم يتغير. أغمض عينيه وابتلع هواء شهيق عميق وفكر في السيارة الكريستالية، في السير المتحرك الذي يحمل حارس السر ويضعه في مكانه. ثم ضغط على جهاز التحكم الكريستالي مرة أخرى. كانت أول إشارة مشجعة أن السيارة أضاءت عدة أنوار. يريد السيارة ليمنع السبي، قال لحفيديه. لم يسأله أحد أي سبي. فهما أنه يقول ذلك لكي يلح على إصلاح السيارة. أبوللو القيس انحنى قليلا لكي يدقق في السير المعدني. أرتيميس يوسا لم يعرف ماذا يفعل. حاص. تلفت حوله ثم قرر أن يدقق هو الآخر في السيارة وحولها مقلدا ما يفعله أبوللو القيس

عند السير المعدني. لم تزل الموسيقى تعمل وأنوار السيارة تضيء وتطفيء.

ذهب أرتيميس يوسا لينظر عند موضع مفتاح تشغيل السيارة، جريا على ما يعرفه من السيارات العادية، لكنه لم يكد يقترب من الموضع المعتاد للباب الجانبي حتى أطلق جزءا ضئيلا جدا، لكنه حاد جدا، من صرخة لم يسعفه الوقت لإكمالها. الجزء من جسمه الذي اقترب من السيارة، بالتحديد وجهه ورقبته وأعلى قفصه الصدري، صار كعلبة سمن معدنية مغلقة فرغت من الهواء، انبعج وتشوه قبل أن تتفتت عظامه ويصير جلدا على فراغ وتسقط سوائله عموديا كأنما تسيل على لوح زجاج لا مرئي. الصرخة العظيمة خرجت من أبوللو القيس، أعقبها نداء "أبي" وركض عفوي لـ "إنقاذه"، لولا أن إلياس تماسك والتفت سريعا وأمسك به. كل ذلك في جزء من ثانية. كانت قبضة إلياس قوية فلم يستطع أبوللو الغاضب أن يفلت منها. ولحسن الحظ أنه لم يكن قويا كالجيل السابق من عائلته. أراد أن يشيح بيده عن قبضة جده فلم يستطع.

"هذا حفيدك،" صرخ أبوللو. "هذا حفيدك الذي تحول إلى مسخ!"

أراد إلياس أن يواسيه، فتح فمه فلم تخرج منه إلا كلمة "سبي." حتى الكلمات القليلة الأخرى التي كان قبل دقائق يستطيع أن ينطق بها لم يعد قادرا على استدعائها.

"هل ذهب عقلك؟" صرخ أبوللو القيس. "ألم تعد تعرف سوى تلك الكلمة؟"

"سبي،" قال إلياس. بتعبيرات وجه لا تشبه الكلمة، سواء كانت تحذيرا أو تعجبا أو تهديدا، بل بتعبيرات وجه حزين منكسر يراه أبوللو من جده لأول مرة في حياته.

"قل لي ما تريد فعلا أن تقوله يا جدي،" قال أبوللو وهو يتعمد إرخاء عضلاته تحت قبضة إلياس علٍّ هذا أيضا يرخي قبضته التي حبست الدم في ذراع حفيده.

"سبي،" قال إلياس وهو يشير إلى الموضع الذي تهشم فيه حفيده، ويشير بيده أن لا وينزل عن السير المتحرك، ويبعد أبوللو بيده بعيدا عن السيارة.

"تريدني أن أبتعد عن السيارة؟"

"سبي،" أومأ إلياس بالموافقة. "سبي،" أشار أن لا بأس بالاقتراب من ناحية السير المعدني.

"سبي،" قال أبوللو القيس متهكما ومكلوما في آن وهو يشير إلى إلياس بأنه فهم ما يقصد. ولكي يتأكد أعاد عليه: "تريدني أن أبتعد عن السيارة ولكن لا بأس من السير المعدني فقط، أليس كذلك؟"

"سبي،" قال إلياس بإيماءة تأكيد. أمسكه إلياس من يده وتنفسا معا بعمق، بإيقاع "شهيق زفرتان شهيقان زفرة ثم شهيق زفرة"، وهو الإيقاع الذي يستخدمونه لصرف الصدمات. ثم تناول كل منهما حبة إنزيم ضبط الحزن. عندها صرف أبوللو تفكيره عن كل هذا وعاد يعاين السير المتحرك.

التفت بعد دقائق نحو إلياس وقال، "الخبر الجيد هو أنني عرفت المشكلة، الخبر السيء هو أنني عرفت حلها."

"سبي؟" قال إلياس متحمسا، ثم زفر زفرة ضيق.

"لا عليك يا جد، أنا أفهمك،" رد أبوللو القيس مطمئنا. "المشكلة أن السير المعدني يحوي مجسات ببصمة قدمي حارس السر. وأنت تعرف الحل."

"سبي،" قال حارس السر بحماس. "سبي."

"يا جد،" زفر أبوللو زفرة سريعة، "الموضوع صعب لأن ليس عندي من يساعدني لأنهما قدمان،" نظر إلى جده ولما أحس أنه لا يفهمه شرح له، "لن أستطيع أن أبتر قدميه. كيف سأحفظ توازنه حتى أنتهي من إجراء العملية لك؟!"

صمت إلياس قليلا ثم أشار إلى أعلى ساقيه بإشارة القطع.

هل يريد إلياس أن يقطع أبوللو القيس رجليه من أعلى لكي يستطيع حفظ توازنهما؟ شرح إلياس فكرته بالإشارة وبالصوت الوحيد الذي لم يعد فمه يصدر غيره، متنغما بين الحث وبين الإقناع وبين الإلحاح والزجر. والخلاصة أنهما يستطيعان بسهولة أن يأتيا بطاولة بطول رجلي حارس السر يثبت عليها ما تبقى من جسمه لحين إجراء العملية لإلياس والعودة برجليه لكي يحلا محل رجلي حارس السر.

وافق أبوللو أخيرا، وما كان له إلا أن يوافق. تذكر مقولة جده:

"إذا وضعت أصبعك في جحر، فلا تبخل عليه بما تبقى." أتى بمعداته، وهي، بشكل أساسي، منشار ليزر سريع، بالإضافة إلى بَعض الضمادات والأربطة والملاقط الطبية ومشابك إغلاق الشرايين. أوقف إلياس يد أبوللو القيس قبل أن يبدأ، ثم أشار له إلى عضو حارس السر وأشار بأصبعه أن لا. سأله أبوللو عن السبب، وأضاف ضاحكا "إن نسلك سيكون مميزا لو أخذت عضوه." لكن إلياس أصر على الرفض. أشار إلى عضو حارس السر ثم ضرب أبوللو على مؤخرته. أشار إلى نفسه بأنه لا يريد هذا. رسم صورة امرأة في الهواء وأشار بأنه يحب النساء. سأله أبوللو إن كان يعني أن حارس السر يحب الرجال، لكنه أشار بكتفيه بأنه لا يعرف، ثم أشار إلى عضوه ووضع أصبعيه السبابتين إلى جوار بعضهما، بما يعني أنه عشرة عمر وأنه يعرفه وراض به كما هو. سأله إن كان حاول أن يفعل شيئا معه أو مع أي من معارفه، فنفى إلياس بشدة. كل الإشارات مصحوبة بالصوت الوحيد الذي صار إلياس لا ينطق سواه، ويمقته كما يمقت المرء دملا على رأس منخاره. يحاول أن يعصره بالعض عليه بأسنانه فلا يزيده ذلك إلا تضخما. أخيرا، فكر إلياس، سيحمل حارس السر الساق التي عطبها مرسالُه، وسيُحمَل إلياس على ساقين سليمتين لا عرج فيهما.

عز: 12 شر

وثيقة 1: من يوميات لبيب

هذه الجملة الكليشيه صدمتني - "لقد ضحيت من أجلك بكل شيء... وخسرت من أجلك كل شيء".

كأن هذا بالضبط ما سنقوله يوما لـ "العهد الجديد".

وثيقة 2: من يوميات لبيب

تحدثت اليوم إلى رئيس "الساهرون"،

سألته: لماذا لا نترك الشرنقة تذهب إلى مصيرها بإيقاعها؟ لماذا نريد أن نتدخل؟

قال: أقبل منك هذا لو كنا نغير سيرها عن مساره، لكننا فقط نستحثه ولا نرسمه.

قلت: لو فعل من قبلنا هذا لما كنا نحن هنا؟

قال: لكنهم لم يفعلوا.

قلت: لماذا لا نقتدي بهم؟

قال: لأننا نعرف أكثر منهم.

قلت: لماذا لا نترك الأمر لمن يأتي خلفنا ليقرروا؟

قال: لأن ما نعرفه يكفي لكي نتخذ القرار الأفضل.

قلت: أليس ثمة مجال للخطأ؟

قال: مجرد الخطأ البشري العادي. ودراما الحياة تبنيها الأخطاء كما تبنيها الأفعال الحميدة. أنا بصراحة لم أعد أستطيع الانتظار لرؤية العالم البكر. تخيل! كل شيء فيه بكر.

عز: 13 أس

أبوللو أمر إلياس، نعم أمره، بوقت للنقاهة: "هذه المرة لم يكن أصبعا أو لسانا، بل نصفك السفلي كله"، وإلياس استجاب. تواضع إلياس أمام معرفة أبوللو القيس. وفي ساعات النقاهة، تواضع أمام معرفة حارس السر. بل وأهم من ذلك كله تواضع أمام تلك الكلمة الرهيبة: الكون. إن لم تكن تعلم شيئا عن الكون فأنت لا تعلم شيئا. وإن لم تكن تساءلت يوما عن الكون فأنت في حاجة إلى قوة ملاحظة وإلى فضول. لن يكون بعد الآن تهكميا على ذوي القضايا الكبرى، بل مترفعا عن المشغولين بالدنايا. لن يجهل على أحد، لأنه صار يعلم ما لا يعلمه أحد. لن يتصرف كقوي، بل كصاحب نفوذ. لن يتباهى بمكره، بل بقدرته على دحر مكر الآخرين، كتلميذ شقي أتته الفرصة لكي يقضي على حيل الأشقياء إذ صار معلما لهم. لقد عرف بعد جهل، وخبر بعد تجربة، وأوتي بعد سعي. ماذا

ينقصه؟ ماذا ينقصه؟ لا شيء. لا شيء على الإطلاق. لقد... لقد كمل.

لقد صار نموذجا لما يجب أن يكونه المحب لبرج الأسد، الذائد عنه. وسيعمل على تكرار هذا النموذج. يستطيع أن يقهر الجميع لو أراد، لكنه لن يفعل ذلك، لن يفعل ذلك، بل سيحيي فيهم الوازع. وإحياء الوازع يبدأ من وضع كل شيء في محله، ثم محاسبة من يخرج على النموذج، أو من تسول له نفسه أن يكسر الإطار.

استحضر مشاهد ما رأى في كاميرات مراقبة الشرنقة، وأوَّلَه، واستخلص رحيقه، واستحضر جوهره، ثم رسم لوحة برج الأسد الجديدة، بدرجة الألوان المناسبة، بالمقياس الدقيق، من المنظور الكاشف. ثم شرع يكتب معالم الطريق. المعلم الأول، تصحيح الخطأ، رد الجميل، إحياء عظمة حارس السر في نفوس الناس:

1 - يحظر النطق باسم حارس السر، ويحظر توجيه الخطاب لاسمه مباشرة، أو معاملته بصورة تشابه في جزء أو كل الطريقة التي نتعامل بها مع من سواه من سكان البرج. حارس السر لا يقهره أحد ولا يهزمه أحد، ومن يدعي غير ذلك يجرم في حقه. يحظر نشر صورة له، أو الحديث عن صفاته الشكلية بما يؤدي إلى رسم صورة له، فإن ذلك يعين من يريد به شرا. تزال صوره القديمة إن وُجدت، وتسلم للسلطات إن مُلِكت.

2 - هيكل الكائن البرج هو المكان الوحيد الذي يمكن عنده النطق باسم حارس السر باسمه. وتوجيه الرسائل إليه. تُنزع مسؤولية

تلقي الشكاوى من المجالس البلدية البرجية وتركز في هيئة واحدة يسهل محاسبتها أمام السلطات على توصيل كل رسالة والرد على كل طلب. تسمى الهيئة: هيئة هيكل الكائن البرج.

3 – يتولى حمون ران المناوي ونسله رئاسة الهيئة المشار إليها سابقا، والاضطلاع بمسؤولياتها

المعلم الثاني، فكر إلياس، هو الاضطلاع بالمهمة التي بدأها حارس السر بإعلان "لجنة صيانة المستقبل". أولى خطوات التغيير هي الالتزام بالشفافية من جانب اللجنة وإشراك الناس في المعرفة بأمر الخطر الذي نواجهه. لا بد من التخلص من أسلوب "التسبيب" القديم:

4 – نعلمكم أن برجنا معرض للغزو من قبل غرباء يعيشون في الماحول ويسعون إلى نقل الجرثومة التي حذرنا منها القائد الشبل المفدى بساريا أخطبوط. الخطر الآن جدي أكثر من أي وقت مضى.

بعد شفافية المعرفة، المعلم الثالث لا بد أن يكون وضوح الوسيلة، وضوح الإجراءات والخطوات. وهذه حزمة من الإجراءات التقويمية:

5 – يعاد أهل بلابلا إلى بلادهم الأصلية. وتعطى لكل منهم قطعة أرض يعيش عليها، على ألا يختلط بسكان البلد الأصليين ولا يتزاوج معهم، كما لا يسمح لهم بتبوء مواقع قيادية، ولا حمل السلاح ولا التدرب عليه. يستثني من ذلك أبناء جنين بن سخنين

بن ديوكاليون، وأبناء أوفيد، فإن هؤلاء صدر ضدهم حكم من حارس الحرس بالنفي إلى أجل.

6 – يجرى كشف طبي على كل سكان البرج، لعزل أولئك الذين يظهرون استعدادا للإصابة بالجرثومة أكثر من غيرهم وهم:

- أصحاب الفتحات الواسعة في أجسادهم، وتعرف الفتحة الواسعة بأنها الفتحة التي تزيد سعتها بنسبة 40 % عن السعة الشائعة لنظيراتها من الفتحات.

- الأشخاص الذين توجد أعضاؤهم الداخلية عكس مواضعها، كأن يوجد القلب ناحية اليمين أو الكبد ناحية اليسار مثلا. هؤلاء تراقب تصرفاتهم، ويسمح لهم بممارسة حياتهم اليومية العادية مع الالتزام بنفس المحاذير التي ستفرض على أهل بلابلا العائدين إلى بلادهم. يحظر على هؤلاء الإعلان عن هوياتهم المرضية. كما يحظر عليهم حظرا تاما الإعلان عن هوياتهم المرضية أمام آخرين لهم نفس الهوية المرضية. في هذه الحالة الأخيرة تقضي سلطة البرج على الجسدين قضاء تاما بحرق الجسدين في وسط المدينة التي ينتمي إليها أكبرهما سنا. حتى يتم التأكد من إفناء الجرثومة المحتملة والقضاء عليها قضاء مبرما.

- الأشخاص الذين يعرف عنهم الغضب السريع بمعدل يزيد بست درجات عن المعدل الإنزيمي العادي.

- الأشخاص الذين تنمو عضلات أيديهم أربع درجات فوق المقياس العادي. لأنهم يستهلكون طاقة مقاومتهم في تنمية عضلاتهم.
- الأشخاص الذين تصغر عضلات أيديهم أربع درجات تحت المقياس العادي. لأن طاقة مقاومتهم ضعيفة للغاية.
- الأشخاص الذين يزيد ذكاؤهم أربع درجات فوق المقياس العادي. لأن هؤلاء يضيعون أوقاتهم في التفكير لا العمل.
- الأشخاص الذين يقل ذكاؤهم أربع درجات تحت المقياس العادي. لأن هؤلاء يضيعون العمل بعدم قدرتهم على التفكير.
- الأشخاص الذين يزيد سمك جلودهم أربع درجات عن المقياس العادي. لأن هؤلاء ترتفع حرارة أجسامهم الداخلية ويفقدون سوائلهم في العرق مما يجعل أجسادهم جوا ملائما لنمو الجرثومة.
- الأشخاص الذين يقل سمك جلودهم درجتين عن المقياس العادي. لأن هؤلاء يسهل اختراق الجرثومة لدفاعاتهم الخارجية والوصول إلى أجهزتهم الداخلية.

خط إلياس مسودة "المعالم"، ترك مساحة لمزيد من التفكير في الأشخاص المحتمل أن يكونوا فريسة سهلة للجرثومة، ثم استدعى أبوللو القيس مناديا، "سبي، سبي!" بنفس الكلمة ولكن بإيقاع مختلف طلب منه

أن يصوغ هذه المعالم بطريقة سهلة وواضحة، يفهمها كل فرد في برج الأسد.

نظر أبوللو القيس إلى ما كتب إلياس ولم يعرف كيف يعلق. تساءل في نفسه إن كانت جذوره التي يحبها قادرة على طرح ثمر مختلف. إن كانت الأحبار والأقلام والعقول القديمة قادرة على كتابة عهد جديد. أبوللو مشكوك في ولائه منذ شب. يعترفون له بالموهبة لكنهم لا يثقون في رجاحة عقله ولا في ذمته. حتى في أبسط الأمور، كحب النساء، دائما متهم في خياراته، متهم بأنه يجري وراء نساء العائلات المعادية، ويحضر موائد هؤلاء الأعداء ويطعم الكائن البرج معهم، ويشعل البخور في مجالسهم.

نظر أبوللو إلى جده، "لقد أفدتك في ما أعلمه، أما في الكتابة فإن ابن عمي حمون ران المناوي أفضل مني."

لكنه عزم على أكثر من ذلك.

قبل أن يغادر إلياس وحفيده صنع هذا الأخير معجونا سكريا ودهن به الطرف السفلي للعصا التي يتكئ عليها حارس السر، جمع كل السكر المنثور بالقرب منها ولصقه بالمعجون السكري. قال لجده إنه يريد أن تلتصق العصا بالأرض فلا تنزلق. طلب من جده خفض درجة حرارة التكييف إلى أقل من أربع درجات حتى تبقى الجثة وقتا أطول دون تحلل. ركبا السيارة وانطلقا إلى وازعان.

كيف لم يلفت نظر جده، ابن رعاة الأغنام، أن الخنفساء ستموت في درجة حرارة كتلك؟!

عز: 14 شر

وثيقة 3: من يوميات لبيب

القاعدة الذهبية الثالثة لدينا في "الساهرون" هي: "كل فرد في اللجنة كيان مستقل يكتسب أهميته من استقلاله. تساؤلات العضو مرحب بها لدى الرئيس، لكن يحظر على العضو حظرا تاما مناقشة الأمور التي يجري التصويت عليها مع عضو آخر".

لذلك حين فاتحت صديقا وزميلا في اللجنة بتساؤلاتي التي تحدثت فيها مع الرئيس كنت أعلم أنني أنتحر. لكنني وجدت لذة في إعارة الزناد إلى أصبع "صديق". وأن أعيش ما تبقى لي مدانا بالثقة، لا الخيانة.

وثيقة 4: من يوميات لبيب – خاطرة

كلنا تراب مذرو في الريح. لا الذرة المختنقة في واحد من كثبان

الصحراء بقادرة على أن تكون ذرة في رمل الشاطئ، ولا القطرة البصقة بقادرة على إقناع الباصق بأن يفعل ذلك في عرض النهر. إنما من فمه إلى تحت قدمه، كما الإنسان من فم إلى أسفل قدم. أنا لبيب بن بنيامين. كنت عضوا في لجنة "الساهرون". بإشارة من يدي لاستطعت تغيير شكل الدقائق القادمة من عمرك، ولربما الأيام، ولربما السنين. في البداية نظرت في جهل السائرين في هذا العالم دون لحظة من تفكير، وقلت لنفسي هذه الجهالة والحمق فاجتنبهما. كنت أضحك من حماس الذين غرتهم الطرق المرسومة أمامهم بالطبشور، فشمروا وملأوا خزانات الوقود في سياراتهم واستعدوا للسفر. في منتصف الطريق لكم مسحنا الخطوط القديمة ورسمنا لهم طريقا جديدا، بعضهم لم يدر حتى أن طريقه تغيرت. ثم نظرت في الجانب الآخر من الصورة. وحين اعتقدت أنني أدركت ما أريد، وأن السلطة في يدي والحكمة في قلبي، ناجيت نفسي قائلا: لقد أدركت كل شيء. فردت علي نفسي قائلة إنني لا شيء. كانت نفسي محقة: أنا لا شيء، لم أكن شيئا أبدا. مَن تذوق السلطة أدرك أن حلاوتها في إطلاقها وأن نقصانها مر كطعم العلقم، فقضمة منه تفسد الرغيف، وملعقة تعكر الوعاء. إن كان لفرد واحد في العالم عليك سلطان فأنت لا شيء. تأتي فكرة إلى عقله وتغرب، كما تأتي الشمس وتغرب، أو كما يرعد الرعد ويصمت، فإذا حياتك ظلام. وأشد خطرا من رؤسائك أقرانك. فالرئيس لا يلتفت إليك طوال الوقت، أما الند فعينه مستعارة إلى ظلك، وأذنه لصيقة بهواء فمك، ينصت إلى أمواج أفكارك بأذنين فارغتين كمحارتين. يستعير كلامك الذي قلته في أمان الصحبة، ويضيف من عنده ربا، لكي يقول

عند رؤسائه ما جبنت عنه نفسه. فيدينك ويبرأ. لسانه يصفك بالشجاعة وقلبه بالحمق. يصمت وسط مادحيك "تواضعا عنك". ويصمت وسط ذاميك "ترفعا بك".

عز: 15 أس

لم يكن من مجيء إلياس إلى وازعان بد. يريد من حفيده حمون ران أن يصوغ كلمات الموثق الجديد، ويختصرها، وينقشها على اللوح الرخامي الأبيض، ويريد منه أن يكون متيقظا أثناء غيابه لأية إشارة مقلقة. أخبار الوفيات بين أبناء إلياس الشجعان ستنتشر سريعا، وقد يستخدمها الأعداء فرصة لمهاجمة ديار إلياس في وازعان، ناهيك عن أبناء هيرديليس بن عرمان، وأبناء جنين بن سخنين بن ديوكاليون. لا بد أنهما يضعان يدا في يد الآن. قبل أن يغادر، أكد عليه مرة أخرى أن ينقش عنوان اللوح بشكل واضح وضوح الشمس: "الموثق الجديد". وأبوللو القيس، الذي سيرافق إلياس في رحلته التاريخية إلى بلابلا، الذي سيجلس إلى جواره في السيارة الكريستالية، قال في سره: بل الموثق القديم هو - مجرد تغيير في الخط.

دخول السيارة إلى بلابلا لم يكن مفاجأة لأهل بلابلا وحدهم، بل

لإلياس أيضا. ألوان الملابس هنا تكسر "قانون اللونين"، القانون السنوي الذي يحدد لوني الملابس المسموح ارتداؤهما خلال العام، وهما عادة لون غامق للشتاء ولون فاتح للصيف، ويمكن للمواطن البرجي لبس اللونين مجتمعين في أي وقت من السنة، لكن لا يسمح له بلبس أحدهما منفردا في غير موسمه. بعض الناس أمامه يرتدون اللون الرمادي، أحد لوني العام. لكن هناك أيضا ملابس صفراء وخضراء وحمراء وبرتقالية. كما أن النساء والرجال يربطون شعورهم بربطات شعر ضخمة الحجم بالنسبة لربطة شعر، وفيها ألوان مغزولة في بعضها. في الصينية الخضراء بوسط الميدان صوت موسيقى أعلى من المسموح به في البرج. إلياس أحس من الصخب ومن ألوان الملابس أنه في كابوس. ليس تعدد الألوان فقط هو الذي أزعجه، إنما اختلاطها في مكان واحد، كأطفال عائلة يتسلقون على ظهر خالهم الانعزالي.

السيارة الكريستالية لا تنتمي بالطبع إلى العالم الذي يعرفه أهل بلابلا. توقعوا شرا حين رأوها. أسكت أحدهم الجهاز الذي تصدر عنه الموسيقى. فكوا ربطات شعورهم وقلبوا شعورهم إلى الأمام حتى غطت وجوههم. "يعتقدون أن الشعر الذي يغطي الوجه يحفظ المرء من المرئيات واللا مرئيات الشريرة،" قال أبوللو لجده شارحا. لكن شعورهم لم تقهم الشرور كما اعتقدوا. على الأقل لم تقهم بعضها. أول الشر أن ثلاثة من الأطفال الذين ركضوا نحو السيارة حين توقفت استحالوا في ثانية إلى حطام. وتلك لم تكن أبدا البداية التي حلم بها إلياس. تراجع أقرانهم الذين كانوا خلفهم بخطوات، تراجعوا بالغريزة. عادوا إلى صفوف الكبار الصارخين

فيهم بالعودة والذين رسموا على مبعدة من السيارة خطا عسكريا انتظموا بحدوده بالتزام لا يعرفه أهل بلابلا المتمردون الرافضون بطبعهم للسلطة. لكنهم شدوا شعورهم إلى الأمام أكثر، أخفضوا وجووههم إلى أسفل لكي يضمنوا أنها مغطاة تماما بشعر رؤوسهم. فتحت السيارة سقفها كغطاء صندوق كريستالي ووقف إلياس مطلا من السقف المكشوف، ومحاطا بطبقة رقيقة من الزجاج الواقي لا ترى. ابتسم نحو الجموع التي لا تنظر إليه رافعا يده وقال بصوت عال مبتهج، "السبي!" علت همهمة السامعين، المكلومين أساسا في الأطفال الثلاثة، شدوا شعورهم إلى الأمام أكثر وانحنوا إلى أسفل أكثر مغطين ما قد يبين من وجوههم براحاتهم. كلمة سبي لا تزال مستخدمة في بلاد بلابلا، وهي بالنسبة لهم أسوأ من الوعد بالهلاك. على الفور قام أبوللو وخاطبهم بصوت عال، "إن جدي يقصد أن لا سبي بعد الآن لأننا نريد أن نعيش في سلام." ربت إلياس على كتف حفيده. شاكرا ومؤمنا على كلامه. ثم أشار له بأن يستمر في الكلام. تفاديا للكلمة التي لم يعد ينطق غيرها. رفع الحضور رؤوسهم قليلا وإن كانت شعورهم لا تزال منسدلة على وجوههم. ابتلع أبوللو ريقه ثم شرع في مخاطبتهم:

"يا اهل بلابلا. لقد انتهت أيام عزلتكم وغربتكم. لقد قرر حارس السر أن يوفد إليكم ابن وازعان الوفي إلياس برسالة تمهد لعودتكم إلى ديار أهلكم، والعفو عن من عوقبوا أو نفوا،" كلام أبوللو صاحبته ابتسامات رضا من إلياس توزع بالتساوي على الحضور الذين لا يرونها، لم تتغير تعبيرات وجه إلياس إلا حين قال حفيده، "لكنه يشترط عليكم أن

لا تختلطوا بأهل الديار الجديدة ولا تزاوجوهم ـــــ"

لكزه إلياس ليصمت فصمت. ثم نظر أبوللو إلى جده باستفهام تصبغه البراءة. أشار جده بيده لماذا، وفهم إلياس أنه يسأله لماذا قال لهم ما قال. "أليست هذه هي الحقيقة؟" أجاب استفهام جده باستفهام. "أليس هذا ما كان موجودا في "الموثق الجديد" الذي تركته لحمون لكي يصيغه؟"

أشار إلياس بأصبعه السبابة إلى أسفل، "سبي،" ثم هز نفس الأصبع يمينا ويسارا، "سبي."

"أنا لا أفهمك يا جدي،" قال أبوللو بنفاد صبر، "حقيقة لا أفهمك. ماذا تريد أن تقول لهم بالضبط؟ هذا خطاب سياسي مهم، كلمة سبي التي لا تقول غيرها لن تنجح في إفهامي ما تريد أن تقول مهما استخدمت من إشارات. أنا فعلا لا أفهم ماذا تريد أن تقول."

أشار له جده بأنه يريد ورقة وقلما. أخرج له إلياس ورقة وقلما. كتب له جده جملة واحدة عليه أن يبلغها: "استعدوا، رتبوا أموركم، قريبا ستعودون إلى دياركم". أشار بيده إلى الورقة ثم أفقيا بمعنى هذا وحسب.

بينما كان إلياس يكتب جملته رأى أبوللو القيس هدهدا يحوم حول المكان. وإذ ألقاها على الناس رأى بعضهم يلتفت في اتجاه الطائر الغريب الذي لا يأتي إلى تلك البلاد ولو زائرا. ثم على الفور يزيحون شعورهم عن وجوههم ويتصايحون في الآخرين بأن يفعلوا الشيء نفسه. وإلياس. إلياس لمح الهدهد. والهدهد طار فصار يحوم فوق رأس إلياس. لو رسمت

خطا من رأس إلياس إلى مركز الدائرة التي يحوم حولها الهدهد لكان خطا مستقيما قائما، في طول نخلة بلح سامقة. إلياس أحس نفسه شابا ابن عشرين. متوقد الذهن، حي العزيمة، طليق اللسان. نظر إلى الجموع وصاح، "أمامنا تسعة، يقول حارس السر، ليولد البرج الجديد. أبشروا يا أهل بلابلا، يقول حارس السر، بنجار يبذر الحب ويرعى الماشية ويشيد البيوت."

اقترب أهل بلابلا. كان أبوللو القيس ينظر إلى جده ويبتسم برضى. دققوا في وجه إلياس، ثم رفعوا رؤوسهم ونظروا إلى الهدهد. بعضهم أخرج من جيبه نظارته لينظر مليا، أولا إلى الهدهد ثم إلى وجه إلياس. يبحثون عن شيء في ملامحه، عن علامة فيه يعرفونها. احتفظوا طوال الوقت بمسافة بينهم وبين السيارة القاتلة. لكنهم ابتسموا. نظروا إلى بعضهم البعض وابتسموا. ربطوا شعورهم إلى الخلف مرة أخرى بربطات الشعر الزاهية الألوان وابتسموا. عادوا إلى الدائرة الخضراء في وسط الميدان وشغلوا الموسيقى وتراقصوا وابتهجوا أكثر من ذي قبل وابتسموا. وإلياس على الحد بين مشاعر الحيرة والحبور يبتسم. وأبوللو القيس ينظر إليه وإليهم ويبتسم. كل، في حدود علمه، يظن أنه انتصر – ويبتسم.

عز: 16 شر

وثيقة 5: رسالة مطبوعة إلى لبيب.

لقد كان بيننا وبينك عقد، حروفه مكتوبة بلغة مفهومة، مقروءة لطفل في السادسة من عمره. والعقد يلزمك بإعادة ما لديك من بضائع حال فسخه.

وثيقة 6: صورة رسالة من لبيب ردا على الرسالة أعلاه.

نعم لقد وقعت العقد. لكن هذه البضائع التي نتاجر بها يجب أن تستمر حتى تنتهي صلاحيتها وحدها. لا ينبغي أن نعدمها فنخسر رأس المال. إنتاج غيرها سيحتاج وقتا، البدء من الصفر مهمة شاقة. أعلم أنك

غير راض عن مستوى المنتج، لكنه كان دائما بهذا المستوى، بالعكس تطور في بعض النواحي - ونعم تراجع في بعضها. لكنه هو هو كما عرفناه. فلنعطه فرصته. ثم نحن اثنا عشر رجلا يملك أسهما في الشركة، ألا تخشى أن نتشاحن داخليا حين تشح المنتجات الجديدة. ونحن مهمتنا الحفاظ عليها وتطويرها، ربما لم نقم بدورنا الاستثماري على أفضل وجه. فكر في الموضوع.

وثيقة 7: رسالة أخرى إلى لبيب.

أنت محق. فلنأخذ من كل خط إنتاج عينة نضمن بها ألا تضيع منا الخلطة الأساسية. لنأخذ علبتين أو ثلاثا من خط الإنتاج في كل محافظة. هل هذا حل جيد بالنسبة لك؟ هذه البضاعة مولودة للفناء، للاستهلاك، لم نقل أبدا إنها بضاعة معمرة.

وثيقة 8: من يوميات لبيب

لا يعتقدن أحد أنني من ذلك النوع من الناس الذي يحسم أمره ثم يمضي فيه. لا لست مقداما. بالعكس، أنا متردد وخائف. ترددي وخوفي ربما يكونان السبب الذي جعلني أفعل ما فعلته. أنا أعتقد أن هذا المشروع لن ينجح. وإن نجونا من هذا التفجير الكوني لن ننجو من أنفسنا إذ نكون كصخور قديمة صماء. سيتكالب بعضنا على بعض. سيقتل بعضنا بعضا.

أمام كل منا فرصة لأن يكون سيد الكون، في هذا الظرف النفسي، من سيرفض الفرصة! ومن قتل ملايين، هل سيتورع عن قتل واحد بعد واحد؟ وهل يأمن أحدٌ أصدقاءَ على أيديهم دماء البشر؟ من يهب الموت لا يهب حياة!!

عز: 17 أس

حين عاد إلياس إلى وازعان وجد حمون ران وقد أنجز ما طلب منه. نظر إلياس إلى البيان المنقوش، كما أمر، على قطعة من الرخام الأبيض، فأعجبته دقة صياغته. أعجبه الجمع بين الترغيب والترهيب وبين اللين والحسم. الجملة الافتتاحية تأسر السمع والانتباه فورا: "هكذا قال حارس السر، لا مأوى بيننا للإنسان الذي لا يسمع كلام هذا الميثاق الذي أمرت به.... ". تهللت أسارير وجه إلياس، لكن وجه حمون ران كان بادي القلق. سأله إلياس. أجابه بأن القوم يقولون إن إلياس يتعدى سلطاته، وإنه يدعي ويكذب على حارس السر، وإنه جاء بسيارة يشبه وصفها سيارة حارس السر، فمن أين له بها. وماذا فعل حمون ران ليقومهم؟ لا شيء. لقد جمعوا أنفسهم ونظموا قوات تمرد وطالبوا بأن يروا حارس السر بنفسه وإلا لن يسلموا وسيعلنون العصيان. كل هذا حدث في نهار

واحد؟ لا. بذوره غرست منذ قتل أبو قورة، وسرت إشاعات استئثار آل أكيليس - عفوا إلياس - بالسلطة. لكنها الآن أعلنت نفسها وشقت النبتةُ التربة.

ضرب إلياس لوح الرخام على الأرض غضبا فحطمه، ثم أخذ حمون ران من لحيته وشعره بيديه وطرحه إلى الأرض. انزعج أبوللو القيس وعلى الفور حاول تهدئة جده مذكرا إياه بأن حمون ران لم يكن ليقدر بمفرده على أن يقومهم، ولو فعل لربما غضب إلياس منه. أخذ قنينة ماء من على الطاولة وقدمها لجده وأعطاه حبة إنزيم الغضب. تناولها إلياس من يده وابتلعها. أخذ إلياس نفسا عميقا وأخرجه. "انقش لي اللوح من جديدٍ إذن،" أمر إلياسُ حمون ران. وقام حمون ران منفذا على الفور.

خرج إلياس بالسيارة إلى حيث تجمع المناوئون. نظموا بالفعل أنفسهم كما قال حمون ران، و لم يكن عددهم قليلا. نصبوا مقر قيادة على هيئة حيوان ضخم يشبه صورة العوام عن الكائن البرج. يجلس فيها قائدهم. ترجل القائد من مقر قيادته وخطا إلى الأمام خطوات. في عينيه نظرة تحد وحقد. ساء إلياسَ أن القائد واحد من نسله، لا من أبناء أوفيد ولا من نسل عرمان ولا من أعداء أسرته من أهل وازعان الأصليين، واحد من نسله هو، أحد القلائل من أبناء أبو قورة الذين لم يكونوا في اجتماع المندرة و لم يفنوا. على تمثال الحيوان الضخم مكتوب: "أشياع الكائن البرج وأهل نصرته". وفوقه صورة حارس السر.

وقف إلياس. أطل من خلف الحاجز الزجاجي اللامرئي في السيارة.

فوق رأسه يحوم الهدهد، على نفس المسافة، كأنه يدور حول نخلة تنبت من رأس إلياس. رفع رأسه إلى أعلى ورآه. أخذ نفسا عميقا وأغمض عينيه. فتحهما. نظر إلى أسفل، تناول إبريقا من الفخار يحتفظ به للمشروبات الساخنة، ألقاه على الأرض أمام أعين المتمردين فتحطم وتناثر. "مثل هذا سأفعل بكم،" صرخ إلياس. ضرب بطرف أصبعه على زر على لوحة التحكم الكريستالية. انطلقت من مقدمة السيارة الكريستالية قذيفة سقطت على تمثال الحيوان وصهرته. أخذ المتمردون تماما. ارتبكت صفوفهم. سكن إلياس، كملاكم واثق ينتظر قيام منافسه. انتظر حتى نظموا أنفسهم مرة أخرى. رفع رأسه إلى أعلى نحو الهدهد. أخذ نفسا عميقا وأغمض عينيه. فتحهما. ثم نظر إلى المتمردين وقال لهم بهدوء لم يتوقعوه، "أنا أعلم أنكم فعلتم ذلك حبا في حارس السر، ولعدم وضوح الصورة بالنسبة لكم، ولذلك لن أفنيكم، مع أني قادر على ذلك. سأكتفي الآن، لأسباب تتعلق بمصلحة البرج كله، بأن أبعدكم عن أرض وازعان لمدة أربعين أسبوعا، في صحراء العصعوص التي بيننا وبين بلاد إست." ثم صرخ مرة أخرى، "هيا اغربوا عن وجهي." ضغط على زر آخر في لوحة التحكم الكريستالية. أحس المتمردون بهزة رهيبة تحت أقدامهم وتشققت الأرض في ثوان كأنها لم تمطر طوال الموسم، بعدها مباشرة خرج تيار ماء قوي من مقدمة السيارة شق الأرض في خط مستقيم وهرج الناس متدافعين نحو الشمال واليمين بعيدا عن الشق. حين أدرك إلياس أن الرعب وقع في قلوبهم بالفعل أوقف تيار الماء، "حين تعودون بعد الأسابيع الأربعين تكونون قد فكرتم واهتديتم وعدتم إلى رشدكم،"

نظر نحو الهدهد، "وستجدون عالما جديدا في انتظاركم،" قال بصوت هادئ وواثق وتصالحي ومنذر في آن. ثم جلس.

عز: 18 شر

وثيقة 9: من يوميات لبيب

كنت أعلم من البداية عقاب العضو الآبق. لكنني لم أكن تذوقته. والمعرفة لا تكتمل إلا بالتذوق. قلت في نفسي في البداية: فلأعالج عزلتهم بالصمت والتفكر. لكن الصمت والتفكر لا يورثان إلا تعاسة. فقلت لأعالجها بإصلاح ذات البين مع الأحباء والأصدقاء. لكن هؤلاء نفروا مني. خصومي كانوا أسبق مني إليهم. لا أدري كيف انتشرت الكلمة كغاز شفاف. إن حلقت ذقني وارتديت ثيابا حسنة ومشيت في الطريق يتساءل الناس "على من سيحتال صاحبنا؟" وإذا رسمت الجدية قالوا "إلى متى يدوم مفعول الدواء؟" فإن طالت لحيتي وبدا وجهي حزينا قالوا "لقد انتكس". أدركت أن نيل رضا الناس في السابق لم يكن لبشاشة

في وجهي ولا حلاوة في كلامي ولا حسن في أخلاقي، إذ أنا كأنا. بل في عين نفسي أنا الآن أحسن كثيرا. فآثرت الصمت والرضا بما فرض علي. قلت لنفسي هو ثمن لما كسبت في السابق. قلت لنفسي لو لم أفعل هذا لما كنت سعيدا.

وثيقة 10: إيميل من صديق إلى لبيب.

أتدرك هشاشة وضعنا في هذا الكون؟ الألف نية سيئة التي تستطيع أن تدمرنا. الألف نية حسنة المخلوطة بغباء. الألف صدفة التي يمكن أن تقضي علينا. أتدري ماذا يحدث لو استطاع بنغالي الوصول إلى شفرة كمبيوترنا المركزي؟ أو منغولي إلى سر قنبلتنا الهيدروجينية؟ أتستطيع حساب احتمال أن يرتطم نيزك بالشرنقة؟ أو أن تنشطر خلطة مركبات عشوائية في قلبها فتنسفها دون أن تترك لنا خيارا؟ ما من لحظة في الكون إلا واعتقد الإنسان أنه يعلم. حين كان يرعى مع البهيموس اعتقد أنه يفهم أسراره، لكنه لم يكن حتى يعلم كيف ينفث البهيموس من منخاره. وحين ركب البحر اعتقد أنه بحار، لكنه كان مشروع غريق.

وثيقة 11: إيميل من لبيب ردا على تلك الرسالة

صدقت يا صديقي. لكنني أرى القصة بعيني الأخرى. حين كان الإنسان يرعى مع البهيموس فكر كيف ينفث الهواء بمنخاره فلم يعلم.

حزن. وخاف. لكنه عاش مع جهله حتى غلم. وحين ابتلع البحر رفاق البحار ارتعب، لكنه تعلم السباحة، وابتكر سترة النجاة، ولا يزال يغرق، لكنه لا يزال يبحر. قبل أن يطير بالطائرة طار بجسده وسقط ومات. وقبل أن يخترع دواء حقن نفسه ومرض ومات. هكذا الإنسان دائما، لذلك بقي واختفت كائنات أعتى منه وأشرس وأقوى.

وثيقة 12: من يوميات لبيب

لا أدري كيف استطاعوا أن يخترقوا كل أجهزة الإنذار الموجودة في المنزل وأن يقلبوه رأسا على عقب بهذا الشكل.

مطمئن على الرغم من ذلك. لن يؤذوني طالما لديهم أمل في الرجوع.

وثيقة 13: من يوميات لبيب

حدث ما كنت أنتظره منذ غادرت "الساهرون"، اتصل بي الرئيس وقال إنني مطالب بإرجاع العهدة التي لدي من صور وشرائط فيديو، لأنها ضمن ميزانية المشروع.

قلت له ولكن لديكم بدائل احتياطية، ألم تقل ذلك من قبل؟

قال نعم، ولكن هذه عهدة وحسابات ونحن نريدها.

تأكدت أنهم لا يملكون بدائل، وأنهم في حيرة من أمرهم. فتشوا

البيت وشيئا ضئيلا جدا لم يجدوا. كل شجاعتي حزمتها في صرة وربطتها بكلمة: لا. لا إلا عن طريق المحكمة لكي أحمي نفسي. أنا لا أضمنكم. الآن تأكدت أن ليس لديكم بدائل.

قال لي: سوف نرى.

كنت متأكدا أنهم لن يخاطروا بإفشال المشروع كله. ولن يتخلصوا مني أبدا طالما نجحت في إخفاء الشرائط. لن يؤذوني طالما لا يعلمون إن كان السر مع أحد غيري أم لا، فقتلي عندئذ قد يزهق المشروع.

عز: 19 أس

التقط إلياس سماعة التليفون وأجاب. ذكرته بنفسها. أخبرها بأنه يتذكرها جيدا - المرأة التي تصفف شعر عضوها إلى الداخل. قالت له إنها حبلى، وسألته، على عادة أهل البرج حين تحبل امرأة من رجل غير شريكها، إن كان يريد أن ينسب الولد لنفسه أم لها. قال لها إنه سيفكر في الأمر ويعود إليها.

قضى إلياس الأشهر الثلاثة الماضية في وزاعان، لكي يراه الناس ويكفوا عن الخوض في حديث "إلياس الذي يتصرف وكأنه حارس السر". انشغل خلال هذه الفترة بروتين لا يتغير - متابعة الإنشاءات التي تعد لاستقبال المنفيين العائدين، مراقبة بلاد بلابلا من خلال لوحة التحكم المصغرة في سيارته الكريستالية، ومن خلالها أيضا متابعة أي تقارير جديدة عن الماحول. ثم جاء هذا الاتصال لكي يجبره على كسر الروتين والتفكير في

شيء آخر. وحين يريد إلياس أن يفكر فهل ثمة مكان أفضل من المندرة؟

أحكم إلياس إغلاق بوابات المندرة إحكاما جيدا. مطمئن إلى وجود السيارة أمام الباب الرئيسي وأن أحدا لن يجرؤ على الاقتراب منها. أسند رأسه على الوسادة الاسطوانية التي تملأ تجويف الرقبة مع مؤخرة الرأس. الهدهد يغير زاوية تحليقه لكي يبقى على نفس البعد من رأس إلياس. لكي يفعل هذا في المندرة المغلقة طار على ارتفاع 30 درجة تقريبا. كان أمام عيني إلياس طوال الوقت. عرفه الملون وريشه الرقيق ودقة ملامحه أبهجت إلياس إذ نظر إليه. المندرة أيضا جميلة – لا ألوان فيها سوى الأبيض والرمادي، إلا بعض الدوائر الليلكية في المفارش، طرزت مثل تلك التي احترقت تماما. تبدو الأشياء وقد استقرت في يد إلياس. لكن ذلك لم يخف عليه وهو الحصيف الثمن الباهظ الذي دفع. لقد فقد خيرة شباب العائلة وشجعانها الذين يحسب الناس لهم حسابا. و لم يترك إلا حمون ران وهذا لا يسد ثغرة ولا يرد عدوانا، وأبوللو القيس – أفضل قليلا لكنه ابن أمه. لا يرمي كأبيه ولا يقود كعمه سرغون. نعم يتحدث لغات ويفهم في الفيك بوس والطويأر، ألف سلام وتحية، لكن هذا لا يمنع خراعته، لأنه يحيط نفسه بالأحداث الذين نشأوا معه. إن كان هذا حال نسله في الأجيال التي أدركها فكيف سيكون حالهم في الأجيال التالية؟ سيشاركون في حفلات بخور أبناء أوفيد ويتطيبون بعطر أبناء جنين بن سخنين بن ديوكاليون.

لكم يؤلم إلياسَ أنه حين ينظر إلى كل من حوله لا يجد لنفسه وريثا يملأ الفراغ، يكون من صلبه مباشرة، لم يضعفْ عزيمةً باختلاط دمه بدم

الزوجات جيلا بعد جيل. ما أحوج البرج إلى ولد كهذا. يكون، أيضا، رجل زمانه الوحيد. يحتاج لهذا الولد لكي يستكمل مسيرة البرج. في ما تبقى من عمره سيعلمه كيف يرمي كآرتيميس يوسا، وكيف يقود كسرغون ران، وكيف يكتب كحمون ران، وكيف يبطش كهيركيوليسام شون، وكيف يحوز العلم، كهذا المدعي أبوللو القيس، دون أن يحيط نفسه بالأحداث الذين نشأوا معه. ابتسم للهدهد، ولولا أنه يعلم أن هذا لا يحدث لقال إن الهدهد ابتسم له. هذا الهدهد العجيب. من أين جاء؟

إلياس تمنى لو أن حارس السر كان أكثر شفافية معه، لربما فهم أفعاله وتعاونا معا. هذه الريبة التي نبتت وترعرعت في قلب إلياس لم تأت من فراغ. أرخى الهدهد رأسه، لم يعد يبتسم، وطار بطريقة غريبة، كأنه لا يريد أن يحرك جناحيه. يهبط عموديا بسرعة، ثم يعود إلى أعلى ببطء. يغطي بجناحيه وجهه، يهبط إلى أسفل بسرعة، يضرب بهما سريعا كالموشك على الغرق، فيعود إلى أعلى ببطء.

ألوان المندرة المحدودة جعلته أصفى ذهنا، وألوان الهدهد المتعددة جعلته أوسع أفقا وأكثر قدرة على الإحاطة بالتفاصيل. كان يحتاج إلى هذا الوقت مع نفسه لكي يفكر في الموضوع بروية.

أولا: حارس السر بدأ بالفعل إجراءات نقل مهمة حراسة السر إلى إلياس ونسله.

ثانيا: لو قال إلياس هذا للناس لن يصدقوه.

ثالثا: لن يستطيع إلياس أن يطلع الناس على وصية حارس السر لأنه استنفد - بلسان حارس السر وأصبعه - المرة الثانية التي يمكن له الاطلاع عليها.

على إلياس إذن أن يقنع بأنه لن يكون يوما حارس السر - لا مجال لهذا. ثمة فرصة رغم ذلك لابن من لحمه ودمه أن يكون، بشرط أن ينسب إلى حارس السر. أن ينسب إلى حارس السر! ألن يكون ذلك الحل المثالي الذي ينفذ وصية حارس السر ويرد جميله في نفس الوقت؟

عاد الهدهد إلى الطيران حائما. رآه إلياس يصفق بجناحيه وسمعه يضحك.

عز: 20 شر

وثيقة 14: من يوميات لبيب

قالت لي زوجتي إنها تريد الطلاق.

سألتها: لماذا؟

قالت: لأنك تخونني.

قلت: لم أخنك.

قالت: بل خنتني.

قلت: مع من؟

قالت: لا أستطيع أن أصرح. لقد استأمنتني.

قلت: فكيف تتأكدين من صدقها وكذبي؟

قالت: هل تنكر؟

قلت: لقد أنكرت لتوي.

قالت: لكنني لا أصدقك.

قلت: فماذا أستطيع أن أفعل؟

قالت: تطلقني.

قلت: سأطلقك.

قلت أجرب الحمق ربما كان إلى الحكمة أقرب مما نظن.

وثيقة 15: من يوميات لبيب

قلت لنفسي نفسي. سأعظم عملي وأنكب عليه. ذهبت اليوم إلى مكتب معمار واشتريت بيتا كبيرا، محاطا بأشجار وكروم وحدائق، وفيه بركة سباحة، وملعب تنس. قلت أدعو فتيات وفتيانا أبرأ طوية لكي يلعبوا ويمرحوا. بهم آنس وأستعيد إحساسي بغد.

عز: 21 أس

الأم البرجية – هكذا صار إلياس يناديها – اصطحبها إلياس بنفسه، في سيارته، السيارة الكريستالية التي "منحها" له حارس السر. أخذها إلى مقر القيادة وأنزلها غرفته القديمة. بينما تكفل حمون ران بزوج المرأة. كلفه، كمسؤول أعلى عن هيكل الكائن البرج، بالذهاب إلى صحراء الوجه، حيث الهيكل، ومعاينته وموافاته بتقرير عن احتياجاته. وفرح الزوج جدا بهذا الشرف.

أما أبوللو القيس فقد جاء بمصورين ورسامين إلى غرفة الأم البرجية مباشرة. صوروها عارية بأوامر من أبوللو القيس تصويرا دقيقا، لم يغفل علامة في عضوها التناسلي وما حوله، ولا علامة في جسدها، صوروها كلها إلا وجهها كان مغطى. إلياس خشي من تصوير فتحاتها لكن أبوللو القيس أكد له أن هذا ضرورة حال شكك أحد في الصور. أبوللو القيس

بنفسه هو الذي صور حارس السر، كان المطلوب تصوير عضو حارس السر فقط لا أكثر، والباقي معروف والصور متوفرة. أما إلياس فقد ظل في غرفة الناب العلوي، الغرفة المعدة خصيصا لمراقبة الماحول مراقبة دقيقة. كان يريد أن يبتعد عن غرفة التحكم المركزي. من ناحية خشي أن يكون انشغاله بمراقبة الأوضاع الداخلية صرفه عن الجرثومة، التي كانت مكافحتها ولا تزال هي الهدف الحقيقي لكل ما يفعل، ومن ناحية أخرى يريد أن يبتعد عن ظل حارس السر وذكراه. سيذهب إليه حين ينجز مهمة إحياء سلالته، مهمة رد الجميل، التي سيبدأها عمليا اليوم. سيذهب إليه ويعتذر منه وربما يستطيع وقتها أن يدفنه. كما أن غرفة الناب العلوي في عزلتها تبعده تماما عما يحدث ولا تظهره في الصورة – يريد أن يتفرغ للمهمة الأهم – استقرار البرج بالمولود الذي سيجمع البرج حوله وخلفه. أخرج الأوراق البيضاء وشرع في رسم صور كروكية للرسامين.

الصورة الأولى:

حارس السر يدخل إلى مخدع الأم، وهي جالسة ترنو إليه. (ملحوظة للرسامين: تبدو على الوجه تعبيرات بهجة وتطلع وخشوع).

الصورة الثانية:

حارس السر يجلس على لوح خشبي كلوح السرير، طوله متر ونصف وعرضه عشرة سنتيمترات، رِجلٌ تتدلى من كل ناحية، وأمامه تجلس الأم، كطفلين يتأرجحان على أرجوحة الميزان. عضو حارس السر طويل

ومنتصب، وعضو المرأة شعره الخارجي مصفف إلى الداخل. (ملحوظة للرسامين: لون العضو لا بد أن يختلف تماما عن لون الخشب حتى لا يتداخلا، ترسم الصورة من زاوية لا يبين معها العضو صغير الحجم بالمقارنة بعرق الخشب الذي يجلسان عليه).

الصورة الثالثة:

المرأة ملتصقة بحارس السر وتجلس على حجره وتسند رأسها على كتفه، وتحت اللوح الخشبي الذي يجلسان عليه بخور.

الصورة الرابعة:

المرأة حبلى وتنام على ظهرها. (ملحوظة للرسامين: لا يكن حجم الحمل كبيرا كحمل غيرها من النساء، بل مجرد استدارة تشي ولا تنبئ).

الصورة الخامسة:

القابلة تمسك في يدها ولدا، وحارس السر يباركه. (ملحوظة للرسامين: ترسم في الخلفية صورة مموهة لهيكل الكائن البرج ولكن دون ملامح).

الصورة السادسة:

سيدة طويلة الشعر بملابس صفراء وطاقية صفراء. شعرها الأجعد الأبيض يظهر من تحت الطاقية. تمسك في يدها عصا تتكئ عليها وتنظر في اتجاه مائل إلى الماحول. خلفها صفان من الفتيات اللاتي يرتدين نفس الملابس ينظرن إليها في ترقب. (ملحوظة للرسامين: أريد أن تكون نظرة

المرأة المائلة لا تعتمد على ميل رأسها فقط، بل أريدها أن تفتل جسدها بدءا من خصرها وتنظر إلى الماحول).

مشهد كبير في الواجهة لا يخضع للعدد:

حارس السر واقف. أمامه، صفا واحدا، مجموعة من الرجال لا تظهر ملامحهم. إلى جوارهم لوح رخامي مكتوب عليه: أعضاء هيئة صيانة المستقبل برئاسة إلياس يستمعون إلى حارس السر وهو يبلغهم برغبته في مولود يستخلفه على الاتجاهات الأربعة. (هذه الجملة تبقى كما هي ويمنع إجراء أي تعديل فيها). على جانب المشهد صورة لهيكل الكائن البرج، رأسه نحو الصورة التالية وينظر إلى "الأم".

وضع إلياس القلم الذي أنجز به هذه الرسمات الكروكية فوق الأوراق البيضاء. رتب الصور ووضعها داخل مظروف لكي يرسلها إلى حمون ران الذي سيكتب النصوص المرفقة. وأراح ظهره إلى الخلف باسترخاء ورضى. أغمض عينيه ثم فتحهما والتفت لينظر إلى الهدهد ويتبادلا نظرات الرضى المعتادة. كان مبتسما، لقد صار هذا الهدهد جزءا لا ينفصل من عالمه ولا عنه. لكنه لم يجده. تلفت و لم يجده. قام عن كرسيه ودار حول نفسه و لم يجده. انزعج إلياس بشدة. بسرعة بحث في شاشات الدائرة التليفزيونية المغلقة التي تراقب الممر. لم يكن هناك. أطفأ شاشات مراقبة الماحول من زر التحكم الإلكتروني ثم جرى مسرعا إلى الخارج. وقف أمام الباب حتى ينغلق. سمع حفيف أجنحة. التفت فإذا الهدهد قادما نحوه وفاردا جناحيه كأنما يريد أن يحتضنه. منقاره جرح طرف رقبته

وهو يعانقها بجناحيه. لحظة ثم عاد وبَعُد. مسح إلياس بطرف أصبعه على رقبته. قطرة دم ضئيلة: نقرة شوق؟ سأل إلياس نفسه. تلك أول مرة يقترب فيها الهدهد من إلياس إلى هذا الحد. ورغم النقرة والمفاجأة فإن ذلك شيء أسعده. أسعده أيضا أن الهدهد حين ابتعد لم يبتعد بنفس المسافة التي كان عليها من قبل. وهذه النظرة في عينيه - ءاستعطاف أم وهن؟ يبدو أنه تعب. كيف لم يره في كاميرات المراقبة؟! لا يمكن لتلك الكاميرات أن تغفل أي شيء. لا يمكن! لا يمكن!

عز: 22 شر

وثيقة 16: من يوميات لبيب

قالت لي طليقتي إنها تشعر بالعار من أفعالي. كيف أكون رجلا فاق الستين وآتي ببنات وشباب في عمر أحفادي وأستغلهم بأموالي. قلت لها إنهم جميعا شباب وشابات راشدون في الجامعة. قالت لي نعم، ولكنك الآن متهم رسميا بالاغتصاب، ألا تقرأ جرائد؟

قلت: لا. ثم سألتها من هي تلك العاهرة التي قدمت البلاغ؟

قالت: ليس هي بل هو.

وثيقة 17: من يوميات لبيب

اتصلت اليوم برئيس تحرير الخدمة العالمية في سي سي تي، لكنه إذ

عرف من يهاتفه أغلق الخط فورا.

وثيقة 18: من يوميات لبيب

اليوم ذهبت إلى المحكمة. المدعي سحب دعواه. قال إنني لم أغتصبه، لكنني تحرشت به. القاضي برأني لعدم توافر أدلة على التحرش. قضاء نزيه؟ نعم قضاء نزيه. ولكن عقول الناس ليست نزيهة. أنا في نظر الناس رجل شاذ يتحرش بالفتيان لكنه واع وحريص ولا يترك دليل إدانة.

الوثيقة 19: من يوميات لبيب

الفتية والفتيات الذين كانوا يزورونني توقفوا عن ذلك منذ بدأت القضية ولم يعودوا بعد براءتي.

وثيقة 20: من يوميات لبيب

ليتني كنت جاهلا غافيا يسير في الشوارع، يفرح إن وجد سنتا على الأرض، يأمل بفأل طيب. ليتني نسيت في بطن أمي، فلا كسبت ولا خسرت. ليتني لم أتسم باسمي فما كان صاحب اسمي شقيا مهموما. ليتني لم أكن أكثر من سماعة تليفون تنقل الأوامر دون أن تفهم ما فيها. ما هو الإنسان؟ لو شغلت آلة أكثر من طاقتها توقفت، اعترضت، احتجت، أضربت. وليس كذلك الإنسان. يأسه قليل ورجاؤه كبير. باليأس تحتقر الدنيا، وبالرجاء تحتقرك الدنيا.

آه. اليوم يفترض أن تلد تلك المرأة، ميريهان. يفترض أن تلد اليوم. أنا أتذكر التاريخ جيدا. أهذا سنتي الذي يجب أن أفرح به؟ هل من مجال لفأل طيب؟

4

كتاب الخواتيم



خو: 1 أس

خلال الأشهر التي سبقت الولادة اقترب الهدهد أكثر فأكثر. والآن صار يقف على كتف إلياس، منكسا رأسه طوال الوقت. يبدو منهكا تعبا. يحمله إلياس بين يديه وينظر إليه حين يريد أن... أن... أن يتحاور معه. ريشه الجميل يتساقط أيضا. ليس بكثافة كما أوراق شجرة في فصل السقوط، بل كوردة تذبل من الخارج إلى الداخل. تذبل حقيقة لا مجازا. يرى إلياس طرف الريشة ينثني كنهايات شعر متقصف، ثم يفقد لونه، ثم ييبس، وحين يصل التيبس إلى الجذور يسقط تماما. كم مرة يرافق الإنسان هدهدا ويقترب منه ويلاحظه إلى هذه الدرجة!

اليوم أتم الرسامون والنحاتون نقش الرسوم والكتابة على جدران "ردهة الولادة"، المكان الذي يسجل الوقائع السرية لحمل وولادة المولود الموعود. يتبقى فقط ملامح وجه الوليد. ستضع الأم وسوف يصوره إلياس

بنفسه، إذ لا أحد يطلع عليه غيره. وسيأخذ الصورة بنفسه، وسيقف بنفسه حتى يتم الرسامون رسم الملامح، ويتم النحاتون نقشها، ثم يعود الرسامون لتلوينها.

سينظر إلياس أولا إلى الصورة التي لا تخضع للأعداد، ويتأكد من أن أحدا لم يغير صياغة الجملة المكتوبة على اللوح المرسوم فيها. سيتأكد أن الجملة تبدأ بأعضاء لجنة صيانة المستقبل برئاسة إلياس وفي الأخير ستذكر حارس السر. سيتأكد أن رأس الكائن البرج تنظر نحو الأم. وإذ يطمئن سيتابع ويقرأ ما صاغه حمون ران المناوي إلى جانب الصور.

الصورة الأولى: كان ظلام، وكان برد. الظلام أظلم مما نعرف. والبرد أبرد مما نعرف. وكان هو سراجا دافئا. وكنت فراشة. وكان وردا عبقا. وكنت قطرة ندى. وكان نسمة. وكنت امرأة غافية مغمضة العينين ركبتاها منثنيتان ورداؤها كوة فراغ عند منتصف ساقيها، وفي منبت الحياة منها موسم زرع.

الصورة الثانية: ما حولي يدعوني إليه، وما تحتي يدعوني إليه. ما فيه يدعوني إليه. وما فيَّ يدعوني إليه. المصمت والمجوف يدعوني إليه. الفخذان المنفرجان والمقعد الذي يمر بينهما تدعوني إليه. الصوت الذي في أذني، المرأى الذي في عيني، الفكرة التي برأسي، الدَقَةُ التي في صدري، الرجفة التي في عضلة فخذي - كلها تدعوني إليه. رأيته زوجي، وعلمت أنه ليس. تعرفت عليه وأنا التي لم أعرفه. لم يكن مناصٌ، و لم تكن قيودٌ. لا كان إجبارٌ ولا كان خيارٌ.

الصورة الثالثة: يفعل حارس السر ولا يفعل. الفعل واللا فعل طائر يفرد جناحيه ويردهما، فم يفتح ويرتد لكلمة واحدة أو طعم واحد، صدر يعلو ويرتد. لا الفعل منهك ولا اللافعل مضجر. كل ما يصدر عن حارس السر جميل.

الصورة الرابعة: خفيفة كنت في حملي كمصباح عيد ميلاد، كحلم قيلولة سعيد تحت ظل الكروم.

الصورة الخامسة: وقال له إذ باركه أنت الذي أعنيه. حامل الأمانة أنت، وحامل السراج أنت. أنت الحصن المنيع، من احتمى بك سلم، ومن لجأ إليك أمن. من خالفك انكشف أمام الصديق، ومن تدثر بك ظهر على العدو. أنت المناعة لمن هاجمته الدقائق، وأنت الدواء لمن أمرضته العظائم.

الصورة السادسة: كل هؤلاء يا بني في انتظارك، يقول حارس السر، كل هؤلاء يا بني في انتظارك. ستؤوب الخراف الضالة وستلمع النجوم المنطفئة وستسكن النار الموقدة بحكمتك يا بني.

السيدتان اللتان أتى بهما لمساعدتها على الولادة سيتركان الأم البرجية مع وليدها ويأتيان معه إلى ردهة الولادة. سينظر إليهما الرسامون ويرسمون كلا منهما وهي تحمل المولود، صورة للوليد تتلقى الخير وصورة تُصرف إليها النوايا السيئة. من أوحى لإلياس بهذا؟ هذا شيء لم يعمل به في البرج من قبل! سينقر الهدهد على كتف إلياس كأنما يلتقط حبا. لن يجرحه هذه المرة. فقط سينقر على ترقوته كأنه يوقظه من النوم. في الحقيقة النقرة

ستدغدغ إلياس إلى الدرجة بين القشعريرة والضحك. سيقاوم إلياس الضحك القسري الذي تسببه الدغدغة إذ هو مع الرسامين والنحاتين والمرأتين المولدتين. لكن كتم الضحك سيثقل عليه ويصيبه بالضجر مما يفعل الهدهد. سيمسك إلياس الهدهد بين يديه وينظر إليه بتهديد. سيستكين الهدهد حتى ينتهي الجميع من أعمالهم. ثم سيعود ينقر إلياس في يديه، سيلقيه إلياس في الهواء، سيعود وينقره في ترقوته. سيلف من حوله ينقره في كل مكان يصل إليه. سينظر الحضور في شده. سيتركه إلياس ويجري هاربا، سيطارده الهدهد وينقره. سيضربه إلياس بيديه في الهواء بكل ما أوتي من قوة، بعشوائية، لكنه لن يستطيع أن يصيبه. سيشعر إلياس بوهن رهيب. سيفكر في حل واحد فقط. يجري مسرعا إلى غرفة التحكم المركزي والهدهد يطارده. سيدخل إلياس إلى الغرفة. سيدخل الهدهد خلفه. سيركض إلياس إلى كرسيه ويجلس إلى طاولة التحكم المركزي. سيغمض عينيه ويضرب بيده اليسرى في الهواء هنا وهناك بينما يلمس بسبابته اليمنى التجويف وهو يفكر في ابتلاع كل من في غرفة الولادة. سيريد أن يفعل ذلك الآن، الآن، الآن – يخشى أن يلهيه الهدهد. سيفعل ذلك والهدهد لا يتركه، سيراهم يسقطون في القعر ويسمع صراخهم على كاميرا المراقبة، لكن الهدهد لن يتركه، سيخرج من الباب والهدهد لصق الكتف، سيغلق الباب والهدهد لصق الكتف. سيرنو إلى حارس السر في صدر الجراج مثبِّتا نظرَه عليه ومائلا. سيميل حارس السر أكثر. سيلمح إلياس النمل وقد أكل طرف العصا المستند على الأرض، سيرى العصا وهي تتزحزح عن مكانها. سيجري إليها ليثبتها وهو يصرخ باسم أبوللو

القيس مناديا طالبا للعون. في تلك اللحظة سيرى أبوللو القيس واقفا بعيدا لا يتحرك. لن يدرك إلياس العصا إذ تنزلق، ولا الجثة إذ تهوي. سيختفي الهدهد بالتدريج، كأنما يذوب. سيهوي حارس السر وسيهوي إلياس. سيهوي إلياس وحارس السر في لحظة واحدة كأنهما دميتان في يد لاعب دمى تخلى عنهما ورمى الخيوط ورحل عن المسرح. في حركة أخيرة، بينما ستعلو يد حارس السر وتهبط بفعل ارتدادها من الاصطدام بالأرض، سيضع إلياس أصبعه على جهاز التحكم البعيد ويضغط على الزر، في ذهنه فكرة واحدة، وغريزة واحدة، ورغبة واحدة، ليحمي شخصا واحدا. سيصير المسرح للحظة بلا حركة. جثتان على الأرض وصورة ساكنة من بعيد. ستتحرك الصورة وتسير بتؤدة، بلا أدنى عجلة من أمرها. سيخرج من حقيبته باروكة الشعر السوداء التي غزلها أبوه من شعر هيركيوليسام شون ويضعها على رأسه. لقد حان موعدها.

خو: 2 شر

الوثيقة 21: من يوميات لبيب

باطل الأباطيل، قال لبيب، الكل باطل. ما الفائدة؟ ما الفائدة؟ في الصباح السعيد تريد أن يمتد النهار بلا حدود، لكن الظلام يجيء، دون إذن يجيء. والعيون تخبو. وفي الصباح التعيس يمتد النهار كضيف ثقيل لا بديل لديه عنك، ثم يزول، ولكن تبقى التعاسة، لا تغطيها الأجفان المغلقة، ولا تختفي في السواد الحالك، كنجوم ترسم على صفحة السماء شكلا مخيفا. وأنا وأنت ونحن تائهون في صحراء الحياة وغابتها، في مياهها الممتدة بلا أفق، وجبالها التي تحجب الأفق، وسمائها التي تتظاهر بالانحناء مودة في الأفق. لماذا أنا هنا؟ وما الغرض من كل هذا؟ هل ستكون تلك "الحياة الجديدة" أفضل؟ أبدا. لا شيء جديدا خارج أحلامنا

وأوهامنا. لا شيء جديدا. العالم "الجديد" هذا، ألن نحكمه نحن أيضا؟ أم سنتنحى جانبا ونراقبه من بعيد؟ ألن نشعر برغبة في أن نقول للمواليد الجديدة: "اجلسوا هكذا، تناولوا طعامكم بهذه الطريقة، ضعوا أيديكم على أفواهكم حين تتثاءبون، أصغ لأبيك وأمك حين يتكلمان، تحكم في غضبك، خبئ عورتك، هذا يصح، هذا لا يصح"؟ ألن نشعر برغبة في أن نفعل شيئا، والأشياء التي سنفعلها ألن تكون موروثة من العهد "البائد"؟ ألسنا نحن الذين سنختار "أُم" العالم الجديد؟

كل ما يفعله الإنسان عبث، الكل عبث، الكل عبث. لا جديد في قادم الأيام طالما تتسلل الشمس من نفس النافذة وتهرب من النافذة المقابلة.

الوثيقة 22: من يوميات لبيب

لا أعرف ماذا أكتب اليوم. لكنني أعرف أن ما أكتبه لن يكون له جدوى، قريبا لن يكون لأي شيء جدوى. لقد أحكموا الحصار عليّ دون أن يضعوا على كتفي أصبعا. ولم يتبق سوى أن يجدوني ميتا بين الأحراج وأن يصدر تقرير مهني من طبيب شرعي محايد، لا دخل له في الموضوع برمته، بأنني انتحرت.

لكنني لن أموت بلا ثمن. أنا أملك المعرفة وهم يملكون القوة.

خو: 3 أس

ذهب أبوللو القيس إلى ردهة الولادة (حيث نقشت الصور). طمس وجه حارس السر ووجه إلياس وطمس وجه المولود. رجع إلى غرفة الأم. لم يجدها ولا وجد المولود. ملاءة السرير، غطاء الأم، كانت معلقة على طرف الحائط الملاصق للباب. الملاءة علقت! في أي شيء علقت؟ رفع طرف الملاءة ليرى. وجدها مشبوكة بين الحائط وبين "رسغ" يد زنبركية، وجودها منع اليد من الارتداد تماما إلى مكانها داخل الحائط. لقد حملت اليد الزنبركية المرأة والوليد من على السرير إلى هنا. فكر أبوللو القيس. ولا بد أن يدا أخرى أو سيرا متحركا آخر نقلهما إلى مكان آخر. ومن يعرف ماذا حدث بعدها.

أسئلة وتخمينات كثيرة - أو قل لا نهائية - دارت في مخ أبوللو القيس. وحين تكون الأسئلة لا نهائية لا ينبغي للمرء أن يطاردها،

بل عليه أن يبتكر عالما موازيا يستغني فيه عن إجاباتها. لعلها تفنى. أو لعل العا لم الجديد يتضخم بحيث يبلع رؤوسها إن فكرت أن تطل يوما. شد أبوللو القيس الرحال وخطا الخطوة الأولى نحو أصدقائه في بلابلا. متسلحا بباروكة هيركيوليسام شون هذه المرة. إرث عائلته. ما اختاره من إرث عائلته. وبمعرفته. وطبعا، بالدم الذي يجري في عروقه - هذا حتمي. بهذه الخلطة، فكر أبوللو القيس، سيكون الشخص المناسب تماما لقيادة البرج الجديد. سيكون الشخصية الجامعة التي يرى فيها كلٌّ بعضًا من نفسه، ويرى فيها بعضٌ كلاً من نفسه. هؤلاء الأخيرون، المتشبعون بالقناعة كليفة حمّام، سيكونون في الطليعة. يأتي بعدهم الآملون في الغد، ثم الناقمون على القديم، ثم التابعون، ولا بأس من بعض الانتهازيين.

لم تكن معرفة أبوللو القيس بالاتجاهات وبالجغرافيا وبالاحتياجات الحيوية للجسم - ولا حتى الجي بي إس المتقدم الذي معه - لتفيده لولا القوة التي منحتها له باروكة هيركيوليسام شون. صار مقر التحكم المركزي بناء بلا فائدة، ليس فيه آلة ذو نفع يمكنه أن يستفيد منها.

مشى أبوللو القيس شهرين على قدميه إلى أقرب حاضرة. فقد عشرة كيلوجرامات من وزنه النحيل أصلا. مرة أخرى ذكر نفسه وقد حل به التعب، لولا باروكة هيركيوليسام شون لكان نسيا منسيا. سيستطيع الآن أن ينام في الموتيل ذي الأضواء البيضاء التي تضيء وتنطفئ. موتيل "الأخوَّة" كما تقول اليافطة. والكلمة ذكرته بحمون ران. اتصل به وأخبره بموت إلياس. لا وقت للتفاصيل، سيخبره حين يعود. المهم أن يعلم أن العائلة لم يعد فيها كبار غيرهما، وعليهما أن يثقا في بعضهما إلى آخر حد.

خو: 4 شر

قبل موعد ولادة ميريهان، كان لبيب مشغولا بالتوتر بينه وبين "الساهرون". هذا مرهق لكنه تعود عليه. أما بعد أن وضعت ميريهان مولودها فلم يستطع لبيب أن يقاوم إغراء الأسئلة التي كانت قصته لتجيب عليها: هل عادت ميريهان إلى طارق؟ أم انشغلت بمولودها عنه؟ هل كانت حكاية المولود رغبة منها في إصلاح ما انكسر مع زوجها؟ كل واحد من تلك الاحتمالات له مبرراته مما يعرفه، وله مبرر من حدسه الروائي. يريد أن يعرف لكي تكتمل القصة. لبيب منذ الصغر يعشق القصص. أجداده روائيون مشهود لهم. أمه وأبوه لم يتركاه ليلة دون قصة قبل النوم. لم يتوقفا إلا وعمره أربعة عشر عاما، حين أصدر هو نفسه أول كتاب قصصي له. لم يكن ينام مع زوجته إلا لو حكت له قصة. ثم صارت تشترط عليه أن ينام معها أولا ثم تحكي له قصة. وبسبب هذا الخلاف بدأت المشاكل،

وصار يخونها. يخونها بأن يستمع إلى قصص أخريات لا يشترطن عليه أن ينام معهن. لبيب نحيف ونحيل، وليس جذابا على الإطلاق. لكنه نجم القصص في برج الشرنقة بلا منافس. قصصه تجمع بين خفة الدم، وبعض الجنون، وكثير من الحكمة. موهبته تلك هي التي أغرت لجنة "الساهرون" به، وأغرته بهم. لا تغويه النساء ولا يبالي بالمال. كان حلمه أن يرى بعينيه التفاصيل الكاملة لقصة لم يكن شاهدٌ عليها ولن يكون شاهدٌ إلا روائيا واحدا – لبيب.

هل آن الأوان لأن يؤلف القصة، حتى لو ترك النهاية مفتوحة؟

جلس لبيب على مكتبه. بكل الشوق لميريهان وطارق، لزوان وسنغ. قرر أن يداوي الإحباط القاتل بأن يسخر منه، بأن يكشفه، ويشارك الناس صورته العارية وفتحاته المضحكة. وضع في قصته بعضا مما علمه، وكثيرا من خياله الذي لا يغير من جوهر ما علمه. غيّر الأسماء وموّه الشخصيات حتى لا تُعرف، جعل لكل مكان نكهته المميزة، لا بوصف ما فيه، وإنما ما يدور فيه، ولكل جزء في القصة أسلوبه في السرد. كلها إشارات تصل إلى الناس الذين يحبون القصص.

مولود ميريهان (الاسم الذي اختاره لها) عمره الآن ستة أشهر تقريبا. يكاد ينطق بكلماته الأولى دون أن يفهم لها معنى – ما، با. مقاطع بسيطة، كان المفترض أن تتلوها مقاطع بسيطة، حتى تصل إلى كل هذا الثراء، حتى تصير قادرة على الإضحاك، وقادرة على إدماء القلب، قادرة على الإقناع، وقادرة على الحب، قادرة على الغناء، وقادرة على الرثاء وقادرة على

الكذب، وقادرة على التضليل، وقادرة على تسجيل التاريخ، وقادرة على القص.. قادرة على القص. لكن في البدء كانت الكلمة مقطعا صغيرا. لا بد له أن يسرع قبل أن يقطعوا مسيرة المقطع. كتب وكتب وكتب. وأنجز الجزء السابق من حكايات الشرنقة منذ ظهور ميريهان، أنجزه في أسبوع واحد. في أسبوع واحد. وأضاف إليه يومياته. تعمد أن يترك القصة بلا نهاية. ثم بحركة انتحارية وضعها في كل مكان على الفيس بوك وعلى تويتر وعلى المدونات. دعاية شعبية تكسر احتكار السي سي تي والخدمات العالمية والواحة والإنجليزية وجيرمانيكا 24 وكل هذه المؤسسات التي استغلها "الساهرون" للتحكم في عقول الناس، وتوجيههم، وسياقتهم كقطيع من الأغنام.

وكنبتة مروية بإكسير سحري، انتشرت القصة على الإنترنت. والناس الذين لم يصدقوه من قبل واعتبروه يهذي، صدقوا القصة، لأنهم عايشوها بتفاصيلها، أحبوا أبطالها وخافوا عليهم واهتموا - كما لبيب تماما - بمصائرهم. حاول "الساهرون" بكل طريقة وأد الموضوع في بدايته. قطعوا الاتصالات عن لبيب وحددوا إقامته تماما. لا يهم. لا تزال القصة موجودة. قطعوا الإنترنت وتحججوا بإصابة الألياف الضوئية في الشرنقة بالعطب، فما زاد الناسَ إلا تصديقا لقصة لبيب. انتقلت من كمبيوتر إلى كمبيوتر عبر حاملات الذاكرة الصغيرة. سكنت على الأوراق البيضاء وسافرت في الحقائب وقُرئت في الحقول وعلى شواطئ البحار. صارت مادة سمر، وموضوع نميمة، وطريقة وصال إذ يلتقط العاشقون أنفاسهم

في ثنايا اللقاءات الحميمة. شيء وحيد أوجع من قرأ القصة – أنها بلا نهاية.

خرج الناس إلى الشوارع، ملأوا بسياراتهم الطرق السريعة والجانبية، سبحوا عبر البحيرة الأطلنطية، وتسلقوا الجبال. من كان لديه طائرة شراعية أو مروحية طار بها وحام حول الأماكن التي وصفها لبيب في قصته، بعض الرحلات التجارية حولت وجهتها إلى هناك اتقاء لتمرد المسافرين على متنها. صارت الكتلة المأهولة من الشرنقة تشبه إذا نظرت إليها من برج الأسد خلية نمل. لكن أحدا لم يكن ينظر من برج الأسد، لأن أبراج المراقبة تعطلت بعد موت حارس السر، وقادة برج الأسد انشغلوا بزعامة البرج، وتُرِك المواطن البرجي لنفسه. أما الشرنقة فصارت فريقين: من يملكون القوة في جانب، ومن يملك القصة والوثيقة التي تثبت صدقه، وخلفه الجماهير، في الجانب الآخر. وليس للجماهير سوى مطلب واحد: نريد نهايةً لقصة لبيب، نريد نهايةً لقصة لبيب، نريد نهايةً لقصة لبيب.

الناس لا يحبون النهايات المفتوحة على التأويل لأن التأويل يرهقهم. يريدون جملة أخيرة تجمعهم على شيء أخير. يدرك "الساهرون" هذه الحقيقة. ويدركون أيضا أن أحدا في هذه اللحظة لا يستطيع تقديم إجابة، لأن أحدا لا يستطيع أن يعرف النهاية، لأن أحدا لا يستطيع أن يجزم بالتأويل. التأويل مجهول حتى لدى "الساهرون". وحبل ميريهان قلب لهم الموازين.

لكن لا بد من التحرك وإلا خسروا كل شيء. لا يستطيعون إعدام

الكاتب ولا إعدام القصة. لو مات أيهما الآن لتحول أحدهما إلى شهيد أو لصارت الأخرى كتابا مقدسا. لكنهم يستطيعون أن يحرقوه ويحرقوها. يستطيعون أن يذيقوه من نفس السم الذي أذاقهم منه - الجماهير.

خو: 5 أس

ركض حمون ران بسرعة من موضعه الذي أعد فيه الراية البيضاء الضخمة تحت الشجرة العتيقة المجاورة لسور وازعان العظيم، ركض إلى البيت، إلى غرفته، أتى بالحجر الرخامي الأبيض الذي نقش عليه لجده بنود الموثق الجديد، أخفاه تحت ملابسه ووضع على بذلته الرمادية عباءة ونزل إلى القبو. يعرف مخبأ سريا هناك، لا يعلم به غيره. وضعه وعاد سريعا إلى موضعه. أخذ الراية البيضاء الضخمة. تسلق الشجرة العتيقة، نظر من فوق السور العظيم فلمح في الأفق ما يشبه الجبال من الغبار. فعلم أن الوقت جاء. استند فوق فرع الشجرة وانتظر اللحظة التي سيعلن فيها الاستسلام ويطلب الأمان لمن بقي داخل سور وازعان من أبناء إلياس وبناته. واللحظة غير بعيدة على الإطلاق، فقد علم بمسير الجيوش من بلابلا قاصدة وازعان، وأن فيهم أبوللو القيس ابن عمه. أغمض عينيه وأرهف أذنيه لهذا الإيقاع

البطيء المضجر. إيقاع الانتظار. عمق أنفاسه، واحدا بعد الآخر. وحين أحس بحريق في أنفه وعطس علم أنهم اقتربوا جدا وأن غبارهم تسلل إليه. تطلع إلى الجرود ورأى لمعان خوذات فرق مشاتهم. لا أسلحة بارود في برج الأسد إلا ما لدى قيادة البرج في مخازن تملك هي فقط أسرارها. وقيادة البرج انهارت. لا مدافع الآن ولا نصير. فقط الأسلحة البيضاء يمكن أن تريق الدم الأحمر.

حمون ران لم يكن جبانا كما يصمونه، كل الموضوع أنه لا يجيد القتال الجسدي ولا يحب العنف، ولهذا فهما غائبان عن حساباته حتى حينما تكون القوة الجسدية عاملا حاسما في موقف ما. فكيف له أن يحسم وهو لا يملك مهارات العامل الحاسم! وكيف له أن يأمر غيره بفعل لا يستطيع أن يفعله هو! لكنه يستطيع أن يخاطر بالموت حين لا يكون موته مهزمة لمن حوله. كما يفعل الآن. لو قتل لن يكون قتله سبب الهزيمة لأن الهزيمة حتم. رفع الراية البيضاء وهو واقف فوق الشجرة. رفعها عاليا، وهو ضارب ببصره صوب الجنود. تعمد ألا تطرف عيناه، لا يعرف لماذا تعمد هذا. أكيد أن القادمين لن يلحظوا طرفة عينه من هناك. لكنه أحس أن من واجبه ألا يطرف عينه. أن انفتاح عينيه طوال الوقت يزيد فرصته في إقناع القادمين بجديته في الاستسلام. حتى والعرق ينسدل على جبينه، ثم ينثني في ثنايا التجاعيد التي تحد عينيه وينحدر إلى الداخل ويلسع مقلتيه، حتى والتراب يكاد يعميهما. في قلب حمون ران إحساس ثقيل بالمسؤولية في تلك اللحظة، أولا بسبب العائلة، وثانيا بسبب، نعم، بسبب التاريخ. بسبب مسار التاريخ. بسبب الوثيقة التي يخفيها والتي

يريد يوما أن يظهرها لكي يعدل مسار التاريخ. من بساريا أخطبوط الآن؟ لا شك أنه هو! إجابة لم يكن ليجرؤ على التفكير فيها من قبل. لكنه الآن يقولها لنفسه بكل ثقة. هو الذي يجب أن يكون في موقف بساريا أخطبوط. حتى لو افتقد شجاعة بساريا أخطبوط، وقوة بساريا أخطبوط، وإقدام بساريا أخطبوط. المواقف التاريخية تصنع الرجال فيصنعون المواقف التاريخية.

اقترب الجيش من السور. صار جيش نمل قادم لحمل فريسة كبيرة. بحث بعينيه عن أبوللو القيس لكنه لم يتعرف عليه من بين كل هذه الجموع. الجيش مقسم إلى ثلاثة أقسام. الميمنة خلف راية خضراء مكتوب عليها "أبناء هيرديليس بن عرمان"، الميسرة خلف راية سوداء مكتوب عليها "أبناء جنين بن سخنين بن ديوكاليون" أما القلب فخلف راية مكتوب عليها "أهل بلابلا". نظر إلى هؤلاء نظرة فاحصة فلمح ابن عمه هيركيوليسام شون، دقق أكثر، وأكثر، إذ كيف يأتي هيركيوليسام شون بعد موته؟ لم يكن هيركيوليسام شون، بل أبوللو القيس، ولكن طال شعره كشعر هيركيوليسام شون. لوح له بالراية البيضاء وشاهده يشير لمن حوله إليه، فاطمأن. لا بد أنه يخبرهم أنه قريب له ويطلب له الأمان منهم. نزل حمون ران سريعا من فوق الشجرة، وفتح بوابة السور. وترجل أبوللو القيس وسار نحوه ثم التزمه وربت على ظهره. "لقد فعلت ما يجب يا حمون ران،" قال أبوللو القيس، "أثق دائما في حكمتك." أما حمون ران فنظر إليه، بعد أن ابتعد جسداهما، ولم يعرف ماذا يقول. أراد أن يسأله لماذا جاء مع الآخرين؟ ومنذ متى وهو معهم؟ وهل كان خائنا

للعائلة منذ كان في صفوفها؟ هل السبب في كرهه عائلته هن هؤلاء النساء اللاتي كان يناطحهن من بنات العائلات الأخرى؟ دارت الأسئلة في ذهنه وربما أطلت من عينيه. لكنه قرر أن يصمت. لأن الصمت أفضل درع في الملمات. سيقول جملة واحدة ويسأل سؤالا واحدا: "ليس ها هنا مقاتلون. فماذا ستفعلون بنا؟"

أبوللو القيس نظر إلى الجموع خلفه وأعاد عليهم بصوت عال ما قاله حمون ران. ثم صمت، وعلى وجهه ابتسامة المطمئن الذي يريد فقط أن تأتي الإجابة التي يعرفها من أفواه الآخرين لكي تكون مطمئنة للسائل تماما. علا صوت همهمة بين الجنود ثم تكلم قائد القلب، الذي تظله راية "أهل بلابلا"، بكلمة واحدة، "السبي."

"السبي؟!" رد عليه أبوللو القيس مستعجبا، "ما على هذا اتفقنا."

"اتفقنا أن يعود كل إلى أرضه وأن نعيد الحقوق إلى أصحابها،" قال القائد ذو الوجه الطويل والملامح المنحوتة المصقولة، كأنما لم تلمسه شمس ولا غطى لمعته التراب، "وهذا يعني في عرف بلابلا السبي."

"السبي؟!" تساءل حمون ران عن الكلمة الغريبة ذات الوقع، كأنما يسترجع كلمة من قاموس لغة درسها ولم يتقنها، يحاول أن يستعيد المعنى. "ماذا يعني بهذا؟"

تحدث أبوللو القيس إلى الجيش هذه المرة بلغة لم يفهمهما حمون ران، ورد عليه القوم بغضب. أمسك أبوللو القيس بحمون ران من تحت إبطيه

ثم ألقاه في الهواء إلى فوق الشجرة. استل سيفه وهجم على الجنود الذين كانوا قبل دقائق رفاقا. كم قتل أبوللو القيس في هذا اليوم؟ عشرين ألفا؟ ثلاثين ألفا؟ لا يهم. فقد ارتد الآخرون مذعورين ثم دخل أبوللو القيس وأغلق خلفه بوابة السور. أشار إلى حمون ران بأن يقفز، وهذا فعل بلا تفكير واستقر في يدي أبوللو القيس. كيف صار أبوللو القيس هكذا؟! كيف صار مقاتلا وهو صنوه في النحول والضعف؟! أمره أبوللو القيس بأن يدخل إلى الدار ويتركه ليواجه هؤلاء الخونة. وفعل حمون ران طائعا. ركض إلى الدار وقد تبدل القلق المقعد خوفا معييا ومعيبا. صعد إلى طابق علوي، ونظر من الشباك إلى ما يجري. أبوللو القيس جالس على الأرض، مسندا ظهره إلى بوابة السور المغلقة، وحزينا. والجنود على الناحية الأخرى من السور لا يزالون مشتتين وإن كانوا يستعيدون تنظيمهم شيئا فشيئا، يفتشون بين القتلى عن جرحى، يأخذونهم إلى خيم نصبوها على عجل ويداوونهم. لم يرحلوا. لم يرحلوا كما أمل حمون ران. أراد أن يكون ذا نفع فنادى على أبوللو القيس وأخبره بما يرى. وأبوللو القيس طلب منه أن يواصل تلك المراقبة. وهو ما فعل حتى حل الظلام.

غفا حمون ران إلى جانب الشباك، وغفا أبوللو القيس مستندا إلى الباب. لكن كليهما استيقظ على صوت طرق لحوح على البوابة. نظر أبوللو القيس إلى حمون ران وأشار بيده متسائلا ماذا يرى. أخبره حمون ران أنه لا يرى شيئا من حيث هو، لأن الطارق مستتر بالباب. سمع أبوللو القيس صوت امرأة تناديه أن يفتح، صوتا يعرفه جيدًا. لكنه خشي أن

تكون خدعة فلم يرد على الصوت. تراجعت صاحبة الصوت عن الباب قليلا بحيث يراها حمون ران، ثم رفعت له ورقة في الهواء مكتوبا عليها أحجية وحلها. أخبر حمون ران أبوللو القيس بما قرأ، بالأحجية والحل. وعلى الفور فتح أبوللو القيس البوابة وأدخل المرأة وخادمتها العجوز. اقترب من تحت شباك حمون ران وطلب منه أن يظل متيقظا وأن يصرخ بصوت عال لو حاول أحد اقتحام السور. حاول حمون ران أن يحذره، أن يثنيه، لكنه لم يستمع إليه.

اطمأن حمون ران حين اقترب الفجر و لم يظهر أحد من الجنود بقرب الباب. في هذا الوقت رأى وهو بين الغفوة واليقظة وناظرا إلى الماحول أن السماء تنشق، ويخرج منها تنين عظيم، رأسه أكبر من شجرة لكن رجليه رجلا معز. من فمه تخرج نار تمتد على مد البصر ثم تعود ويبلعها لسانه. وله جناحان كبيران، يرقد تحت كل جناح مخلوق كصورة الإنسان. ينظر التنين نحو اليمين ونحو الشمال فيلتهم الطيور التي تحوم كقط يلتقط بغاثا طائرا. المخلوق الذي على صورة الإنسان يلعق من تحت جناحي التنين، والتنين يلتهم الطيور ويضحك من الدغدغة. ثم يلتفت إلى مخلوق منهما ويلعق بلسانه كقط ينظف ولده. يلمع خلف ظهر المخلوق جسم نحاسي أصفر لا يدري حمون ران ما هو. لم يكن يدري حتى أخرجه المخلوق وطعن به التنين في جانبه. الطيور التي كانت كالبغاث استنسرت وهجمت على التنين وأكلته. ثم حملت المخلوقين الإنسانين وطارت بهما بعيدا.

استيقظ حمون من حلمه على صوت ضحكات عالية، لكنها لم تكن ضحكات التنين، بل المرأة وخادمتها تجريان إلى الباب وهما تمسكان باروكة شعر وخلفهما أبوللو القيس على صورته السابقة، بشعره القصير، يترنح. ورأى الجنود يهجمون على الباب. أدرك أبوللو القيس المرأتين وتشبث بباروكة الشعر التي في يد الفتاة وحاول أن يشدها منها، لكن المرأتين اجتمعتا عليه وطرحتاه أرضا. نزل حمون ران راكضا لكي يدرك أبوللو القيس، كانت المرأة وخادمتها وصلتا إلى الباب وفتحتا المزلاج، لم تنتبها إلى حمون ران الذي انقض على باروكة الشعر وسحبها منها فانقسمت قسمين، أخذ نصفها في يده وركضت هي بالنصف الآخر إلى حيث الجنود ينتظرونها. على الفور أعطى حمون ران نصف الباروكة لأبوللو القيس وهذا ثبتها على رأسه وربط فوقها سترةً عقدها أسفل ذقنه، ثم أمر حمون ران بأخذ العائلة والهرب من المكان بأسرع ما يستطيع، واستل سيفه ووقف يقاتل كل من يدخل من الباب فيصرعه. ثم أغلق الباب بيده اليسرى وهو يقاتل باليمنى وأنزل المزلاج.

حمون ران استدعى كل من في العائلة وأمرهم بإخراج الخيول من الإسطبل والهرب إلى أقرب مكان في اتجاه صحراء الوجه. أما هو فذهب سريعا إلى القبو وأحضر لوح الرخام الأبيض وأخذ الحصان المتبقي وهرب. توقف فوق ربوة لم يزل منها قادرا على رؤية البيت. لم يزل يأمل أن ينجح أبوللو القيس في رد كل هؤلاء كما فعل أول مرة. لكن الأعداد كانت تتزايد وتثب من فوق السور وتتكاثر داخل فناء المبنى، حتى صار الجيش

كله داخل الفناء. تكاثروا على أبوللو القيس وأوثقوه وغموا عينيه، لكنه ظل يصارعهم متجها نحو البيت الكبير، وهم يتبعونه. حين وصل إلى عمود من أعمدة البيت الرخامية مال عليه وصرخ صرخة عظيمة. ورأى حمون ران البيت الكبير يسقط على من فيه ومن حوله، تختلط أصوات ارتطام الأحجار بأصوات صرخات الجنود.

انهار البيت تماما، و لم تعد أصوات الأحجار تسمع، فقط أصوات الجرحى يئنون ويصرخون. ثم توارت تلك أيضا و لم يتبق سوى أصوات حوافز الخيل تركض هنا وهناك، بعضها عائد وبعضها هارب.

خو: 6 شر

ميريهان قرأت رواية لبيب كغيرها. لم تهمها كل هذه المسائل الكونية الكبرى. اغتمت لأن الحياة الوردية التي أحاطت بها نفسها انفضحت، بأسوأ سيناريو لفضيحة. وكما انتشرت الرواية ستنتشر الحكاية. وكما يطالب الناس بنهاية للقصة فإن نهايتها هي ستكون قريبة - هكذا قررت. لم تقتل نفسها. لا. بل أخذت مولودها وهربت. لا يمكن تركه وحده. في كل الأحوال لا يمكن تركه مع زوجها. في اليوم الذي أعيدت فيه الإنترنت وجد لبيب رسالة على إيميله تخبره بأن ميريهان اختفت. وعلى الفور ربط لبيب الأحداث وقال لنفسه إن ما توقعه حدث وإن لجنة "الساهرون" قطعت الإنترنت من الأساس لكي تختطفها وتتصرف، قبل رد فعل عنيف من الناس. لكن يومين ليسا فترة كافية لكي يفعلوا ذلك، يعلم إلياس. التجهيزات الطبية واللوجستية تحتاج إلى أشهر. لولا ذلك لفعلوا ما أرادوا

منذ زمن. في هذه النقطة بالذات لا يريدون أن يخطئوا وإلا فشل كل شيء ودمرت البشرية جميعا. وهم، ها، لا يريدون إفناءها كلها. فعلا. لا يريدون إفناءها كلها. سيبقون على أنفسهم وامرأة.

أفضل ما يفعل، قرر لبيب، أن يكتب سريعا نهاية القصة. يخبر الناس أنها اختفت وأن "الساهرون" خطفوها، أن هذا يعني نهاية الشرنقة خلال أشهر قليلة.

لقد فعل لبيب، بالضبط، ما أراده الساهرون أن يفعل. ارتكب الخطيئة الكبرى لراو. كتب نهاية لم تختمر لقصة لم تنته. والرواية كالنبوءة، تسقط من فم الطائر وتحترق إن أُوِّلَت قبل موعدها.

خو: 7 أس

حين وصل حمون ران إلى هيكل الكائن البرج كان كل شيء معدا كما أراد إلياس. ترميم كامل. مرافق تستوعب الزائرين. مكاتب تتلقى شكاواهم. مواقف سيارات وأماكن للمبيت. أراد إلياس أن يكون المكان ملتقى للبرج في ثوبه الجديد. لكنه للأسف لم ير حلمه متحققا ولو في الجزء الأيسر منه. سيكون على حمون ران أن يضطلع بالمهمة الأعسر. ويتمنى أن يكون لها أهلا. بعث ينادي في أركان البرج للناس أن يأتوا إليه ليسمعوا كلمات حارس السر، موثقة كما أرادها إلياس – في سره لا يزال يأمل أن تكون وفاته خبرا كاذبا وأنه عائد. لم يسمح لنفسه بالتفكير في غياب حارس السر أيضا، فالموثق الجديد ينص صراحة على أن حارس السر لا يقهر ولا يهزم. وهو أول المؤجفين (المؤمنون جوفيا) بهذا الموثق. كلمة جديدة صاغها حمون ران وتعني الاعتقاد بما لا يستطيع المرء إثباته لكنه

يرى إشارات له، كما يجد المرء الماء الجوفي. كما تعني في نفس الوقت الإيمان العميق النابع من جوف الإنسان.

بدأ الناس يستجيبون ويأتون. من كل حدب وصوب في برج الأسد جاؤوا. جاؤوا من شوبان. ومن بلاد قوزي، ومن بلاد إست. ودار عليهم حمون ران بالموثق وأخذ تعهداتهم عليه. كانت الأحداث كفيلم من مشهد واحد يكرر نفسه يوما بعد يوم. طمأنه أن الناس كانوا قانعين وسعداء بهذه البنود، ويسر عليه المهمة كثيرا أن أهل برج الأسد، باستثناء بلابلا، طيعون وسهل القياد. كما أنهم أخذتهم هيبة البناء العظيم. وربما أعجبهم منطقه. لم تثنهم حرارة صحراء الوجه، بل زادتهم إصرارا على القدوم، لأنهم استرجعوا رحلة القائد المفدى بساريا اخطبوط، وتلمسوا خطاه. قريبا من هنا، شهق الكائن البرج الشهقة العظيمة التي أتت بالشبل المفدى من البحر. وقريبة من هنا أنفه التي تلفظ من يغضبه. وعيناه التي تحرسهم من شرور الماحول، وأنيابه التي تفتك بمن يريد بهم شرا. روح جديدة أحسها حمون ران في تلك الأسابيع الستة التي قضاها هنا. واستبشر خيرا بأنه سيضطلع بالمهمة. وفهم كيف تصنع المهام الجسام الأبطال العظام. وكيف يتحول الإنسان البسيط إلى قائد مسموع الكلمة.

ما أزعجه أن كم الشكاوى الذي تلقاه كان مخيفا. لم يكن يدري أن الناس في برج الأسد لديها هذا الكم من المظالم على أمور – تافهة. أمور كالسباكة، ونسبة النخالة في الدقيق، ونسبة الدهون في الزبد، بل ونقص أماكن الترويح للأطفال. لم يتخيل أبدا أن أهل البرج ممكن أن يتوقفوا عند

أشياء كتلك. أماكن الترويح للأطفال؟! منذ متى؟! لقد اعتقد أن شكاواهم ستتعلق كلها بالاختبارات الصحية الدورية للعام القادم (حملات التثبت) - هل هي للجلد أم للقلب أم للكبد؟ ستتعلق بأسنانهم والفلات فوت في أقدامهم، بالطول المناسب لأظافرهم حتى يكونوا أقدر على مقاومة الأمراض. احتار كيف سيصل إلى حارس السر وينقل هذه الشكاوى ويعود بحلول وإجابات. خاف على الإيمان الجوفي الجديد أن تخنقه تساؤلات الناس - كحجارة تردم بئرا. وقرر أن يبدأ بحلول تعطيه فسحة من الوقت، لا أكثر، كل ما يريده الآن فسحة من الوقت ليجهز خطة بديلة تمنحه هي الأخرى فسحة أكثر. ليس خطة بالمعنى المفهوم، وإنما مبررات كافية - قصة مقنعة. المطلوب منه قصة مقنعة تجمع الناس حولها.

الدوائر السوداء حول عينيه تغذت على الأرق، وعلى الخوف من المجهول. يحسدها لأنها وجدت من عينيه مبدأ ومحورا تدور حوله وهو لا يجد ذلك لقصته. ويخاف من عتمتها لأنها تذكره بالعتمة السرمدية لأفكاره. حتى كان مساء، وجد فيه أن مفتاح القصة الذي سيرشده إلى الطريق هو تماما كعينيه، لصيقتين به ولكن لا يراهما. وكانت البداية سؤالا بسيطا من زوج المرأة - "الأم البرجية" الذي أدى مهمته على أكمل وجه في الاهتمام بهيكل الكائن البرج طوال ما يقرب من سنة: "أين زوجتي؟" سأل الرجل خجلا ووجلا. "لم أكن أريد أن أسأل لأني أعلم أنها في كنف أمين. وأنا أناطح أكثر من امرأة من قريباتك اللاتي أتين معك، لكنني فقط أحببت أن أطمئن عليها. هل ستبقى حتى تفطم المولود؟!"

المولود؟! نعم. المولود. أين ذهب المولود؟ سأل حمون ران نفسه. وتذكر النصوص التي كتبها لهذا المولود العظيم. المولود. نظر حمون ران وهو جالس على مقعده الأحادي الرجل. كاد أن يختل توازنه ويسقط من عليه، لكنه استجمع توازنه وأخفض رأسه ليرى موضع قدميه. رفع رأسه مرة ثانية ونظر إلى الرجل: "سيأتي. قريبا،" قال حمون ران مبتسما قليلا، شارد الذهن قليلا، يهز رأسه، "سيأتي وسيكون له شأن عظيم."

خو: 8 شر

رسالة زوج ميريهان التي أرسلها إلى لبيب

حضرة الأستاذ لبيب "المحترم"،

قرأت كلماتك إلى الناس، روايتك عمن أسميتها ميريهان، وقرأت باهتمام أكثر نهايتها. لكنني أقول لك، يا بني آدم، لقد صدمتني. عرِّف من أسميتها ميريهان برجاساتها. قل لهم هكذا. إن مولدها ومخرجها نجاسة. لم تغسل نفسها أبدًا بماء نظيف. كرهت نفسها ووالديها منذ أن ولدت، من حولها احتقروها لأنهم رأوا دين أبويها أدنى من دينهم. ورغم ذلك أحبت واحدا منهم، ثم داسها بقدمه، كشفت عورة أبيها وكشفت زناها وكشفت عورتها وأكثرت زناها في أيام صباها. مررتُ بها ورأيتُها مدوسة هكذا فانتشلتُها. جعلتُها ربوة كنبات الحقل، في كنفي ربوت

وكبرت، وبلغت زينة الأزيان. غسلت عنها عراها، مسحتها بالزيت وألبستها مطرزة ووضعت أسورة في يديها وطوقا في عنقها وأهديتها الذهب والفضة وأتيت بها إلى هنا وأكّلتُها العسل والزيت، حتى نظر الناس إليها وقالوا لقد كملت ببهائها.

لكنها اتكلت على جمالها، ونضت سترة زينتي عن نفسها، وعادت مرة أخرى إلى سيرتها الأولى. سكبت زناها على رجل غريب، من هؤلاء الغلاظ اللحم الذين احتقروها، وهو سكب زناه في رحمها. فولدت في سريري مولودا أجنبيا، وطعنت ولدي الذي من صلبي. وأنت حوّلتَها شهيدة! وجعلت منها أيقونة يتبرك الناس بها! ويلٌ. ويلٌ لك.

فهأنذا أجلب كذبك على رأسك، وأكشف أمام الناس خداعك. حين تراها يا بني آدم، وأنا أثق أنك أنت الذي تخبئها، قل لها لا تأتي إلى هنا، ولا ترفع عينيها في عيني، ولا تذكر اسمي لعل الأرض تطهر. قل لها إنني سأمطر عليها لو رأيتُها من الغضب كأسد مزمجر يجد فريسة. إن كانت التحقت بمن زنت معه، بذلك الرجل من أرض مصر الذين لحمُهم كلحم الحمير ومنيُّهم كمني الخيل فلتبق هناك، لعلهم يعاملونها بالسخط الذي تستحق.

وأنت كف عن هذا، كف عن هذا، وأنبئ بالحقيقة. ونعمةَ الله التي منحك لا تستخدم بأن تَضل وتُضل، فإن الرب يوشك أن يشق رأسك إلى حقويك، ويكشف عن مكنون نفسك الشريرة. اخرج على الناس وتب. قل إنك فعلتَ ما فعلت بدافع من استهزاء أو خيال وغواية، قل إنك نصبت

لهم شركا بجهل وهم بحسن النية ساروا عليه. ابك من عينيك وأخفض رأسك على الطاولة واطلب الصفح وعِد بألا تعود إلى ذلك أبدًا.

زوج نجسة الاسم التي أسميتها أنت ميريهان

خو: 9 أس

قرر حمون ران أن يذهب مع زوج المرأة وبعض ممن يثق فيهم إلى مقر القيادة لكي يقف بنفسه على ما حدث. لم يكن قد أبلغ أحدا بقراره بعد إذ جاء إليه زائر، رجل من أهل بلابلا الذين لم يقتلوا في المعركة مع أبوللو القيس. كان في الجيش، هكذا قال، لكنه لم يقتحم البيت الكبير، بل ظل يراقب ما حدث من بعيد. كان الرجل مسنا، هرما، بما لا يدع مجالا للخوف منه. لكنه، بعينه اليسرى نصف المغلقة وشعر حواجبه الأشعث الساقط على عينيه، ووجهه المجعد كعجينة فطير لعب بها طفل، كان مثيرا للريبة. "يا بني،" قال لحمون ران، "إني أريد أن أكون معك. إني رجل قد بلغت من العمر عتيا، لكنني بلغت من العلم مبلغا سيفيدك ولن يضرك. قيد يدي إن شئت ليلا أو نهارا. أوثقني إن شئت في مكان لا يصل إليه غيرك. ولكن أبقني إلى جانبك، فسوف تحتاج إلي."

"ما الذي يجعلني أصدقك وقد أردت مع جيشك أن تسبي أهلي؟" سأله حمون ران.

"اسأل نفسك لماذا لم أفعل، لماذا بقيت في الخارج و لم أدخل مع الداخلين." قال الرجل.

"ربما صدفة."

"صدفة؟! وهل يترك شيخ مثلي فرصة كتلك لنيل فتاة تُجري الدماء في عضوه؟ لقد اخترت ألا أفعل."

"أخبرني لماذا بلا لف ودوران إذن." قال حمون ران متبرما.

"خذني معك إلى حيث أنت ذاهب،" قال الرجل. وتعجب حمون ران كيف عرف الوافد الجديد أنه سيقصد مكانا ما عما قريب. "خذني،" كرر الرجل، "فلو تحدثت الآن لاستبقت الخطا. وإن من يستبق الخطا يتعثر. خذني معك. فإنّ كَذِبا سيكون في انتظارك، ولا يهزم الكذبَ إلا البصيرة."

"وأنا عندي بصيرة،" قال حمون ران مستفَزا.

"يا ولدي،" قال الرجل، "إن من يحب الكلمات يُغوَ بها. وأنت تحب الكلمات." نظر في عيني حمون ران ثم شد حاجبيه إلى أعلى فارتفع الأيمن وظل الأيسر كسولا فوق عينه اليسرى. "أنا رجل أجهل حلاوة الكلمات. أنا رجل قاسي الأذن."

تفكر حمون ران مليا في جمل هذا الرجل. قال لنفسه إن هذا لكلاما حكيما. ثم عاد وقال لنفسه إنه، حقا، تغويه الكلمات. من أدراه أن يكون قاسي الأذن هذا قاتل اللسان – أغواه بكلماته.

"يا ولدي،" قال الرجل الهرم وهو ينظر مليا في عيني حمون ران، "لا أحب الكلمات الحلوة، لذلك ألفظها من فمي – حلوة كما هي."

ابتسم حمون ران. لم يستطع أن يقاوم غواية الكلمات.. أخذ الرجل معه إلى حيثُ عزمُه.

خو: 10 شر

ما أقسى أن يكتشف القارئ أن الكاتب يستهزئ به. يقتله. بقرار جماعي يقتله. الناس الذين خرجوا منذ أيام يهتفون طالبين نهاية للقصة ما لبثوا إذ أذاع الساهرون في كل مكان رسالة الزوج أن أتوا بلبيب وكتبه. وفي وسط ميدان عام، تحت عين تواطؤ من "الساهرون"، حموا الأتون سبعة أضعاف وأمروا جبابرة القوة أن يوثقوا لبيب في وسط كتبه. أحرقوا الكتب ولبيبُ بين طياتها. و لم يبال أحد. هذا ما يستحقه. صرخاته؟ كذبٌ كصرخات بطلته. آلامه؟ لا تساوي شيئا إلى جوار آلام الزوج المكلوم. ولحمه وجلده وعظمه ليست أكثر من أوراق. يا لمأساة الكاتب! أعداؤه تسامعوا بينهم أنه قال، "ما الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة." وأنصاره القليلون القليلون سمعوه يقول لهم: "لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما."

وما قتلوه ولا حرقوه، بل أشعلوا نارا ووضعوه فيها. وكانت النار لتحرقه لولا السبراي الذي اخترعه رئيس المخترعين في "الساهرون"، الأستاذ سنغ سونغ، فلم تكن للنار قوة على جسمه، لا شعرة من جسمه احترقت، ولا لون في سرواله تغير ولا حتى أتت رائحة النار عليه. وبعدها سمع سنغ واحدا من "الجمهور" يتساءل: ألم نلق رجلا موثقا في وسط النار فإني ناظر رجلا محلولا يمشي وسط النار وما به ضرر؟ عندئذ تدخل سنغ سريعا وهرَّبَه عبر مواسير المجاري وخرجا من البلاعة الرئيسية لمنطقة واشنطن. وهي قريبة جدا من المقر الذي اتخذه سنغ لنفسه في الخفاء بعيدا عن أعين "الساهرون".

وفي الأيام الثلاثين وقفت خطة "الساهرون" على أقدامها. إذ لم يكن خطاب الزوج المكلوم إلا عاملا حاسما في استقرار أمرهم على اختيار ميريهان. العلميون منهم قالوا نعم. النظرية من الأساس نظرية خصوبة. فكيف نعاقب الخصوبة؟ والمتدينون منهم قالوا نعم إذ ينبغي لكلام الرب أن يكون: "اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب". فجزاء الأرض من جنس عملها.

وعلى الفور، نبشوا كل مكان وأتوا بميريهان ومولودها. تنكرت في هيئة فلاحة، تجوب البلاد من أرض فلسطين إلى أرض مصر على حمار، عليه سرج مكسو بالحشيش الأخضر. وفي الأخير اختبأت في مستنقعات الدلتا. لم تسمع من طارق و لم يسمع منها طوال الأزمة. ليس نذالة منه، وإنما قلة حيلة، ولبس، واضطراب. في البداية حزن منها لأن رواية الزوج

أكدت شكوكه وأكدت له أنها كذبت عليه بخصوص ديانتها. والشك سحّاب، كعجلة على منزلق. لكنه لاحقا لام نفسه كثيرا. كيف نسي مولوده؟ كيف نسي أن السائر على طريق الآلام سيكون من صلبه؟ كيف نسي أنها ما حملت كل هذا العار وهربت به إلا لأنها قررت أن تحتفظ بما نفخته فيها روح الحب؟ كيف نسي هذا؟

حاول أن يعثر عليها، أن يشاركها رحلة الهرب ككل محب مخلص، لكنه لم يستطع. وسبقه الساهرون. دون خوف من لبيب يفضحهم، أو من زوج يشكوهم ويفتح العيون عليهم. ولا حتى من ميريهان تعترض، لو شاؤوا لألقوها في مفرق طريق، فلرماها كل ذاهب إلى عمل، أو عائد من خمارة، أو عاشق مكلوم، أو عاطل محبط، أو مستثمر زاه، بحجر. على سبيل التسلية أو كسر الملل. وربما الدعابة. وجائزا الحنق. مجرد حجر. تماما كما كانت الوشاية الأولى مجرد كلمة سربت إلى أذن زوان عن حقيقة صديقتها اللدود التي ترسم حول نفسها حياة مزينة بالورود، بينما هي – زوان – انفضحت في ليلة دخلتها إذ إن جهاز البكارة قد انتهت صلاحيته وتحول سائله إلى سائل تركوازي اللون به فقاقيع كرغاوي الصابون وقطع من مسحوق متكلس. ثم لم تلبث الكلمة أن انتقلت من فم زوان إلى أذن زوج ميريهان بأن ابنه ربما لا يكون ابنه. ولم تكن الجريمة في حاجة إلى شاهد. الإنسان يعرف الآن الدي إن إيه.

خو: 11 أس

أول ما أشار به الرجل الهرم، دالاس لِس، على حمون ران، هو اصطحاب كل المؤجفين معه، لأنه سيحتاج إليهم. وحمون ران وافق على ذلك بعد تفكير. أقنعه دالاس لِس بأن مشاركة المؤجفين لقائدهم في البحث مهم جدا لإيمانهم. البحث في الإيمان، يقول دالاس لس، كالوصول إلى العنوان بنفسك، والإيمان بالتلقي كالاستماع إلى وصف للطريق. البحث في الإيمان مثل كتابة كتاب نفسك، والإيمان بالتلقي كقراءة كتاب غيرك. لكم مست هذه الجملة حمون ران. هذا الرجل حكيم حكيم. يفهم معنى كلمة الإيمان جوفا التي صاغها حمون ران كما أرادها صائغها تماما. ويقول إنه قاسي الأذن!

المسافة من هيكل الكائن البرج إلى مقر القيادة لم تستغرق أكثر من أسبوع في تلك الأرض الوعرة. فالمبدأ والمآل كلاهما في صحراء الوجه. هناك تيقن حمون ران من حكمة الرجل. البحث في كل شبر من هذا المجمع الضخم يحتاج إلى مئات الآلاف يعملون في نفس الوقت. يتناوبون العمل ليلا ونهارا. والجميع متحمس، يشعر أنه جزء أصيل مما يحدث. بعضهم يصر على المواصلة عله يكون هناك حين يكتشفون المولود الموعود وأمه. كان البحث منظما بدرجة جيدة، كل فرد يذهب إلى العمل يدهن أطراف أصابعه لونا فوسفوريًا، وبه يدهن المواضع التي اختبرها. هذا يسهل عمل المشرفين، ويضمن أن تصير التجاويف، وإن صغرت، أوضح. لم يكن العدد الضخم مفيدا فقط في توفير عدد كاف لإنجاز العمل. ثمة مفاجأة أكبر كانت في انتظاره بعد أيام من الوصول.

بعد الفجر بقليل قطع دالاس لس تأملاته الصباحية في الصحراء، وركب دراجته الزاحفة، الرباعية العجلات، وانطلق مسرعا إلى حيث غرفة حمون ران في مقر القيادة المركزي، "يا ولدي، يا ولدي،" نادى مستغيثا من وراء باب حجرته، وحمون ران استيقظ مفزوعا.

"ماذا بك؟" رد وهو لا يزال على سريره، لا يرى شيئا مما حوله. في ذهنه الحلم الغريب، أن الطيور التي أكلت التنين تجمعت والتصقت وصارت هي التنين مرة أخرى.

"لقد جاء يا ولدي،" قال دالاس لس، "لقد جاء."

"من؟"

"أبوللو القيس."

"من!"

"أبوللو القيس يا ولدي. جاء. كنت أنتظره. النبوءة. قم وجهز الجيش يا ولدي وإلا عصف بك."

ارتدى حمون ران ملابسه على عجل، وهو لا يزال يتحدث إلى الشيخ الكبير. ثم خرج إليه، "أي نبوءة؟ عن أي شيء تتحدث؟ ألم يقتل أبوللو القيس؟"

"لا. لم يقتل. سأخبرك يا بني في الوقت المناسب، لكن عليك الآن أن تجهز الجيش، لن تخسر شيئا يا بني. فقط ضعهم في وضع استعداد، وأنا قادم معك."

في الطريق، في المسافات الفاصلة بين الأماكن والمسافات الفاصلة بين الأوامر التي يصدرها حمون ران - انفخ في البوق واستدع الجميع، نظموا أنفسكم صفوفا، فلان على الميسرة، فلان على اليمين. إلخ - أخبره دالاس لس أن أهل بلابلا يؤمنون بأن ما يرونه في أحلامهم رسائل لهم، وكذلك ما توحي به الطيور والنباتات إليهم. وهكذا فورة الجبال، وفيضان الأنهار، وغضب البحار. ويسمون تلك الرسائل نبوءة، أي، شيء يحدث في المستقبل، لكنه يعتمد على التأويل، والتحليل. التأويل افتراض، والتحليل اقتفاء للأدلة. بعضه يتم في الذهن وبعضه في المعمل. النبوءة يا ولدي، يقول دالاس لِس، طريق لا يعرفه إلا السائرون فيه، لذلك لا يطلب المرء تأويلا من الجالسين في الظل، فإن الألسنة تسير بأمان أما

الأقدام فتتعثر. "سألتني يا ولدي عن النبوءة ووعدتك أن أخبرك بها، وسأفعل كلما رأيت إشارة على الطريق. هذا الرجل إنما جاء ليحاربك، ويكذبك. هذا ما أعلم حتى الآن بإيجاز.

"نبوءتنا، يا ولدي، كانت عن رجلين يأتيان في كرة من نار، يحسبها الجاهل ثلجا. وعن طائر يتبع أحدهما. لو تبعناه لهلكنا، ولو تبعنا صاحبه لنجونا وغنمنا وسبينا."

"وماذاحدث؟"

"لقد تبعناه."

"كيف؟ ألا تعلمون النبوءة؟!"

"ألم أقل لك يا ولدي. الألسنة تسير بأمان، أما الأقدام فتتعثر."

"لكننا كنا في صف واحد. فلماذا يأتي الآن ليحاربني ويكذبني؟"

"كان في صف نفسه، يا ولدي، كان في صف نفسه. مرة كان الآخرون معه، ومرة كنت أنت معه. لكنه دائما في صف نفسه."

اطمأن حمون ران لأن هذا الشيخ إلى جانبه، و لم يطمئن إلى نفسه. لقد رأى ما فعل أبوللو القيس بجيش بلابلا. ولو صحت "نبوءة" الرجل، فإن هذا ما سيفعله به وبجيشه.

"وهل سينتصر؟" سأل حمون ران وجلا. سأل همسا وهو ينظم المؤجفين جيشا في صفوف.

"هذا ما لا أعلم حتى الآن يا ولدي. لقد اصطحب معه التائهين الذين شردهم إلياس من قبل في الصحراء بين وازعان وبلاد إست. لا،" قال مبتسما، "هذه ليست نبوءة. لقد نشرت مجسات بدائية الصنع في الصحراء على مقربة منا تحسبا لهذا اليوم - مجرد أقماع مربوطة بخيوط مشدودة إلى أبواق في صومعة اعتزالي. ليست دقيقة على الإطلاق، لكنها منبه جيد. وقد أدت واجبها اليوم."

"ولكن فيم يكذبني؟" قال حمون ران، متجنبا التعليق على الأمور الهامشية، "لقد كان شاهدا على كل شيء قلته، وأنا لم أقل إلا الحقيقة!"

"الحقيقة ملك للعينين التي رأتاها."

"كف عن التكلم بالألغاز، فإن ذلك لا ينفع وقت الحسم."

"سأكف يا ولدي حين يزول الغبار، وأرى مُلكَ عينيّ."

أوه. سلم حمون ران أمره. كان أبوللو القيس قادما من الاتجاه المقابل للشمس الوليدة. على بعد يراه منه. اكتملت الباروكة على شعره مرة أخرى. أوقف مرافقيه، أتباعه، عند نقطة معينة، وترجل من على حصانه ومشى نحو حمون ران. حين اقترب تحقق منه أكثر: إصابات المعركة لا تزال بادية على وجهه. فقد عينه اليسرى. وكتب بين حاجبيه: الصادق.

"سلامتك يا أبوللو القيس. يا أهلا وسهلا،" بادره حمون ران وهو يصافحه، ثم يحتضنه.

"ماذا تفعل هنا؟" قال أبوللو القيس بغضب.

"أنفذ أوامر إلياس. أنشر على الناس بنود الموثق الجديد وأطبقها. ألم تكن شاهدا على هذا وعلى لوح الرخام؟!" رد حمون ران بصوت حاول أن يخفي به توتره.

"هذا عند هيكل الكائن البرج، لكنني أسألك ماذا تفعل هنا؟"

"أبحث عن المولود الموعود وأمه."

"هل هذا أيضا أمر به إلياس؟"

"إنني أبحث عن إلياس نفسه،" قال حمون ران وقد اكتسب صوته نبرة اتهامية. يريد أن يشكك في أن إلياس مات. الخبر الذي لم يحك أبوللو القيس قصته حتى الآن، واكتفى بالعنوان.

تجاوز أبوللو القيس بنظره حمون ران ونظر إلى الجموع من خلفه، "إلياس قتل حارس السر، وسآخذكم بنفسي لتروهما قتلى،" دار حول نفسه وهو يتكلم دورة كاملة ليوجه خطابه في كل اتجاه، "ولتعلموا أن هذا الرجل،" أشار بإبهامه إلى حمون ران خلف كتفه الأيمن، "يكذب إن علم، ويجهل إن صدق. والكاذب والجاهل لا يصلح قائدا للناس." هنا أشار بسبابته اليمنى إلى الكلمة المكتوبة بين حاجبيه، "الصادق فقط هو من يقودهم."

أسقط في يد حمون ران، لم يعلم ماذا يقول. نظر إلى دالاس لِس، وهذا بدوره أشار له بعجزه وعدم فهمه. عاد حمون ران خطوات إلى حصانه، وأخرج من سرجه لوح الرخام الأبيض وقرأ عليهم البند الذي يقول إن

"حارس السر لا يقهره أحد ولا يهزمه أحد، ومن يدعي غير ذلك يجرم في حقه". ثم صرخ في الناس: "فماذا تقولون في ما قاله أبوللو القيس لتوه؟ أيها الناس. ماذا تقولون؟"

صرخ الناس في صوت واحد: "مجرم، مجرم." تلجلجوا، لم يعرفوا كيف يصفون من لا يتبع الموثق الجديد، فاختلطت أصواتهم، البعض يقول "ليس مؤجفا،" وآخرون يقولون "لا يؤجف، لا يؤجف." لكن هذا اللغط قطعته ضحكة جبارة من أبوللو القيس:

"أيها السذج. أتدرون من كاتب هذا الكلام؟" سكت برهة ليسمح لهم بالتفكير. "أتعتقدون أنه حارس السر؟ إن كاتبه هو إلياس نفسه. لكي يضمن دفن جريمته. لقد جرّم توجيه الاتهام إليه." سكت مرة أخرى لكي يستوعب الناس ما قال. مسح بأصبع من كل يد على جبهته فوق كلمة الصادق. "لقد عرض علي أن أصيغه بنفسي لكنني رفضت، وأنا الذي كنت رفيقه في كل الرحلة. يشهد على ذلك هذا العجوز من أهل بلابلا،" أشار إلى دالاس لس، "الذي رآني معه هناك في السيارة الكريستالية التي استولى عليها بعد أن قتل حارس السر. عرض علي أن أصيغ هذه البنود لكنني رفضت. لماذا رفضت؟" كعادته بعد كل سؤال سكت أبوللو القيس برهة، "رفضت لأنني لم أشأ أن أكذب عليكم. لأنني الصادق." ثم نظر إلى دالاس لس، "وهذا الرجل يعلم أنني خرجت عن عائلتي بكل ما لها من جاه ونفوذ واتصلت بهم لكي نقاوم إلياس، وعرضت حياتي للخطر. هذا رفيقكم فاسألوه إن لم أكن أقول لكم الصدق."

نظر الجميع نحو دالاس لِس، لكن النظرة التي تلقاها دون غيرها كانت نظرة حمون ران. "هو صادق في أنه اتصل بنا،" قال الشيخ، "وصادق في أنه كان رفيق إلياس في السيارة الكريستالية. هذا ما أستطيع أن أشهد عليه." ثم نظر إلى حمون ران معتذرا، وقال بصوت خفيض "لا أقول سوى الحقيقة يا ولدي."

"إن هذا لا يثبت شيئا،" قال حمون ران وهو يجتهد لكي يسمع صوته للجموع المتململة، "لا يثبت شيئا، بل إنه يدينه،" أشار إلى أبوللو القيس، "ويؤكد أنه قتل إلياس الذي عينه حارس السر بنفسه رئيسا للجنة صيانة المستقبل، وعين هذا،" أشار إلى أبوللو القيس مرة أخرى، "عضوا فيها. لكنه اختار الجحود بدل الشكر، والطمع بدل القناعة."

"لو كنت قاتلا،" قال أبوللو القيس، "لقتلتك الآن، أمام الناس، وقد رأيت قوتي." تكلم بصوت تصالحي، "إنك صغت كلمة الإيمان جوفا، وأنا أيضا أدعو إليها، لكنني أقول لك إن الإيمان جوفا بلا علم يقود إلى سراب، هو عبودية لخادع أو خدعة للنفس." ثم رفع صوته ونظر إلى الناس، "وفي العالم الجديد الذي أريده لكم ليس هناك عبودية." أعطى ظهره لحمون ران وعاد خطوات نحو رفاقه، ثم التفت إلى حمون ران وإلى الجموع، "إنني أدعوكم لكي تروا بأنفسكم، هل يرفض الباحث عن الحقيقة في الصحراء بئرا لها؟!" ثم أكمل الطريق إلى جيشه. من أمام صفوفه قال بصوت عظيم، "إنني ذاهب إلى هناك، فمن أراد أن يتبعني فليتبعني."

وضع دالاس لس فمه في أذن حمون ران وقال له، "يا ولدي، هذا موقف لا خيار فيه. لو لم تسر معه الآن فقد انتصر دون أن يضع عليك يده. أما أنا فسأذهب مع الذاهبين، فإن الإشارة القادمة في انتظاري ولن أقف في منتصف الطريق."

"وما هي؟" قال حمون ران.

"لم أرها بعد يا ولدي. لم أرها بعد. لكنني أعلم أنني لن أجدها مع الجالسين في الظل."

تحرك الجميع. الجميع بلا استثناء خلف أبوللو القيس. أخذهم إلى أماكن لم يصل إليها أحد منهم من قبل. سراديب تحت الأرض لم يعرف عنها حمون ران شيئا. المسير نفسه، دون الوصول إلى المشهد، كان كاشفا. الأحاديث الجانبية لهؤلاء البسطاء كانت تساؤلات بلا إجابات ولا رغبة في إجابات - كيف لم يعلم حمون ران بهذه الطرق إن كان الدليل إلى بئر الإيمان؟ يبدو أن أبوللو القيس عاش هنا زمنا، أليس كذلك؟ لكيف كان حالنا لو بقينا نعمل في الأماكن التي كنا نعمل فيها؟ أسئلة لا تخلو من حكمة.

في الممر الأخير من رحلتهم سلكوا، بناء على أمر أبوللو القيس، ممرات مختلفة أخبرهم أنها جميعا ستقود إلى نفس الساحة، وإلا لن يستوعبهم المكان. تسمر الجميع في أماكنهم حين صدر إليهم أمر أبوللو القيس بأن يتوقفوا، كانت الصفوف الأمامية لكل مجموعة على بعد كيلو متر من

ساحة الجراج التي يرقد فيها حارس السر وإلياس. كلها ظلام دامس. إلا من كشافات يدوية قليلة في أيدي البعض. رجال من أتباع أبوللو القيس سدوا الطريق على الجموع في كل ممر، ونادوا في الناس بأنهم سيمررون ألفا ألفا لكي تستطيع الساحة أن تستوعب العدد. أخبروهم أن سهما رسم على الأرض باللون الأحمر يشير إلى بوابة الخروج. لا يسمح لأي من كان بالتوقف. من يتوقف يقتل على الفور. لا يصرح بأكثر من نظرة سريعة أثناء السير.

السائرون ألقوا نظرات سريعة على جسدين مطروحين أرضا. لم يكن هذا مهما كثيرا، لأنهم لا يعرفون من صاحبا الجسدين و لم يروا ملامحهما جيدا. الأهم هو أن قائدهم، حمون ران، كان واقفا إلى جوار القائد الآخر، أبوللو القيس. هل حمون ران سياسي جيد؟ هل لديه ما يكفي من الدهاء ليقود الناس؟ والرجل الحكيم الواقف إلى جواره هل أسدى له النصيحة المناسبة؟ أسئلة.

إذا نظرت إلى الموضوع من الناحية الأخرى: هل كان أي من الواقفين الثلاثة كاذبا؟ هل كان أيهم ضالا مضلا؟ سؤال حير دالاس لس كثيرا وهو جالس في صومعته يسجل ما حدث ويصيغه في قصة.

كتب أيضا أنهم إذ انتهوا من ذلك المشهد خرجوا وقد قاربت الشمس على المغيب. قال دالاس لس لحمون ران إن حجته صارت ضعيفة، "وحين تصير حجة الإنسان ضعيفة، فلا أمل له سوى الأسئلة القوية."

"أخبرني ببضعة أسئلة إذن،" قال حمون ران، بين الاهتمام والاستهزاء.

"أنت عاشق الكلام، هل تعجز عن نحته؟" رد دالاس لس، في نظرته بعض استصغار لحمون ران، تشبه تلك التي يبذلها صديق لصديق جبان، "أنا أرافقك في الطريق وأحمل لك مصباحا، لكنني لا أحملك على ظهري."

مناظرة بلا ترتيب بدأت حين التفت حمون ران وقال لأبوللو القيس، "وأين كنت أنت حين حدث هذا؟ ما دورك في ما حدث، أو محاولة منع ما حدث؟" خطف نظرة سريعة نحو دالاس لس. ابتسم الشيخ لحمون ران ابتسامة فخر أبوي. أما أبوللو القيس فتلجلج لأول مرة. وقال بصوت متردد إنه فعل ما يستطيع، فعل ما يستطيع. على الفور التفت حمون ران إلى الناس ودعاهم للاصطفاف لأمر هام: طلب من نافخ بوق النفير أن ينفخ فيه، وطلب من حامل بوق الخطابة أن يأتي إليه.

"إنني أشكر أبوللو القيس الذي أخذنا لنرى ما لم نكن نعرفه،" قال حمون ران وهو يعلم أنه لم يعد لديه شيء يفقده، يشعر أنه أقوى كثيرا مما كان، الاحتمال الوحيد أمامه هو الكسب. تحرر ذهنه من قيود كثيرة، وتحررت لغته من حسابات كثيرة، واكتسبت سخرية ذكية، وبساطة، ووضوحا. "هل يمكن أن يخبرنا ماذا فعل ليمنع وقوع ما وقع؟ هل تمت تلك الجريمة بينما كان في الحمام يعاني من إسهال حاد؟"

علت ضحكة بين السامعين. حتى بين أتباع أبوللو القيس. بينما كان

حمون ران يناوله البوق. بمجرد أن استلم أبوللو البوق تحول المكان إلى الصمت التام.

"لقد فعلت ما أستطيع، كل ما كان في مقدوري،" كرر أبوللو القيس على الملأ ما قاله لحمون ران. وهذا تأكد أن أبوللو القيس في أزمة، لا يستطيع التفكير حتى حين يمنح مهلة.

"أعطه طوق نجاة، وإلا قضى عليك!" همس دالاس لس في أذن حمون ران. ونظر إليه حمون ران مستعجبا. ماذا يفعل حمون ران؟ إن حُبس تُرك لكربه، وإن حَبس طالبوه بالفرج. "ما تفكر فيه صحيح،" قال دالاس لس، "وذلك لأن القوة تجبر الواقعين تحت سطوتها على إظهار النخوة تجاهها." ثم ابتسم وهز رأسه، "هذه طبيعة الأمور يا ولدي. سخرية."

تناول حمون ران البوق من يد أبوللو القيس، "لا شك لدي في أنك فعلت ما استطعت،" غير نبرته إلى التعاطف، "إنما أسألك لأطلع الناس على الحقيقة لا لأتهمك." فهم حمون ران حكمة دالاس لس. لقد أثار أسئلة في عقول الناس، دون أن يثير غضب القوي عليه – بنخوته الاضطرارية. مرة أخرى، نظر إلى دالاس لس مبتسما. وهذا أومأ برأسه مرتين.

"سآخذكم غدا إلى المكان الذي كنت مشغولا فيه. لقد كنت أشرف على ولادة المولود الموعود، ابن حارس السر. وأمل برجنا في العالم الجديد. سأريكم بأنفسكم كل الوقائع مسجلة في غرفة الولادة. إلياس قبل أن يموت طمسها، ثم أخفى الأم البرجية والمولود في مكان لا نعلمه.

المولود الموعود غائب ولا بد أن نعثر عليه معا. لا بد أن نعثر عليه معا.. كلنا يد واحدة، كلنا يد واحدة."

أمسك بيد حمون ران ورفعها في الهواء. يد أذعنت لسلطة المولود الموعود، ويد أذعنت لحذف إلياس من المعادلة وتحميله الجرم كله.

صفق الجميع - إلا دالاس لس طبعا. اكتفى بالابتسام - لقد صار الزعيمان شريكين في نفس الجريمة. ثم هتفت الجموع: الكل يريد رجوع المولود. الكل يريد رجوع المولود. الكل يريد رجوع المولود.

أعطى دالاس لس ظهره لهؤلاء الهاتفين وعاد إلى غرفته. لن ينام الليلة، سيعيش آخر ساعات هذه المسرحية الممتدة إلى آخر قطرة. ربما يفتقدها. سيفتقد هذا الشوق إلى النهايات المجهولة. الشيء الوحيد الذي يجمع بينه وبين الآخرين حاليا هو الشوق إلى معرفة نهايات القصص. الشوق إلى معرفة نهاية هذه القصة بالذات. الفرق أنه يعلم أن هذا هو الفصل الأخير، لكنه فعلا لا يعرف المسطور فيه. لم يكن يكذب على حمون ران. بالعكس، أول شيء سيفعله في الصباح هو أنه سيفسر لحمون ران بعض ما خفي عليه، الآن وقد تأكد من أن فهمه لما سبق كان صائبا، الآن وقد علم أن قوة أبوللو القيس ليست مطلقة، وأنه يشعر من نفسه ضعفا.

كيف عرف ذلك؟! لأن أبوللو القيس كذب، وساوم، واشترى ما يريد مقابل ثمن. القوي يأخذ ما يريد والضعيف يشتريه. سؤال حمون ران كان سيفا نافذا. وضع أبوللو القيس في خيار بين خسارتين كلاهما لا يحتمل تكلفتها. إن قال إنني شاركت في قتل حارس السر فقد خسر الماضي، وإن

قال لم أشارك فإنه بحاجة إلى تبرير لغيابه يحفظ له جدارته بالمستقبل. وأي تبرير أقوى من أنه كان مشغولا بالمستقبل! بالمولود الموعود. الثمن؟ بعض السلطة في حدود هيكل الكائن البرج يسلمها لحمون ران.

لقد صار أبوللو القيس، المتمرد، نسخة من إلياس. ويريد أن يجعل المولود الجديد بديلا لحارس السر. سيعيد إنتاج العالم القديم، ويسميه العالم الجديد. كما أراد إلياس إعادة إنتاج الموثق القديم، وسماه الموثق الجديد. لا أمل فيهم. لا أمل فيهم. رفع دالاس لس رأسه من فوق الأوراق التي كتب عليها كل ما جمعه حتى الآن من قصة برج الأسد وهزها بين يديه. هذه حصيلة حياته، خبرة ليست بالضئيلة. راهن نفسه على الجملة القادمة وانتظر. انتظر. في قلب الليل سمع صرخة قوية. ابتسم، وكتب: "قتلَ زوج الأم البرجية. ربما في مشاجرة بينه وبين صديق على بعض السكر. ربما تعثر في ثعبان. أو ربما، يا للحظ، سقطت عليه صخرة راسخة في مكانها منذ ألف عام أو يزيد." هاهاهاها. لقد استمتع بكتابة هذه القصة. ولو تحققت النبوءة كما يراها هو لا كما رآها الآخرون سيكافأ على ذكائه بالنجاة وأكثر. لو لم، لن يحزن كثيرا.

في الصباح. ذهب إلى حمون ران واستأذن عليه في الدخول. ومباشرة قال حمون ران، قبل السلام، وكأنما لم ينم الليل كله بسبب هذا الموضوع، "على ذكر الأسئلة، لدي سؤال يحيرني: كيف لم يحاول أبوللو القيس أن يتخلص منك وهو يعلم أنك كنت في جيش بلابلا؟"

"هل أعجبتك لعبة الأسئلة يا ولدي؟" رد دالاس لس مبتسما، "أعلم

أنها شيقة. انتظار الإجابات شيق، لكن الإجابات نفسها غالبا مخيبة للأمال. وربما تكون إجابتي الآن أيضا مخيبة للآمال: لأنه يعرف من أنا."

"ومن أنت؟"

"أو لم تعرف حتى الآن؟"

"لا. لم أعرف."

"أنت وأبوللو القيس مثقفا العائلة، أليس كذلك؟" سأل دالاس لس ولم ينتظر إجابة، "لكنك تتقصى معسول الكلام، وهو يتقصى المعرفة. أنت تقرأ مطبوعات وهو يقرأ الطبيعة والطبائع. لن أطيل عليك. الإجابة: لأنه يعرف أنني لا شيء. فلماذا يقتل الإنسان لاشيئا؟"

"لا شيء؟!"

"ربما خانني التعبير. يعرف من الكيمياء أنني مجرد محفز. أسرع التفاعل لكنني لا أشارك فيه. أختصر الوقت. أهيئ الظروف. سمني ما شئت. لكنني أسمي نفسي اللاشيء. أنا ما تريد أن تراني. ما يريد كلّ أن يراني."

"لكنك أفدتني كثيرا – على أية حال!"

"شكرا. أنت أيضا أفدتني كثيرا. دعنا من هذا يا ولدي، أنا مدين لك بتفسير وعدتك به."

"نعم. وأنا أنتظره."

"أتدري لماذا نجوت من مصير النبوءة؟"

نظر إليه حمون ران منتظرا.

"لأنني لم أؤمن بها." رأى دالاس لس الحيرة في عيني حمون ران. ابتسم، "لا لا. أنا صدقتها، لكنني لم أؤمن بها."

"فلنؤجل الحديث في الموضوع لوقت آخر،" قال حمون ران وهو يخطو جانبا، مشغول الذهن، لكن دالاس لس أمسك بذراعه.

"لا يا ولدي، لا. هذا مهم. أنا لا أعطلك بلا داع. أنت لم تكن معنا يومها. لقد جاء جدك وابن عمك معا في سيارة كريستالية، وكان الهدهد يحوم فوقهما. رأيته بعيني، مصدقا للنبوءة. بعد أن رحلا قال الناس، كل الناس، إن إلياس صاحب الهدهد، وإن أبوللو القيس رفيقه. لا يلومهم أحد على هذا التأويل. لكن المصيبة أنهم آمنوا بهذا. كلهم آمنوا بأن هذه هي الحقيقة، لا مجرد احتمال. إلا أنا. لأني لا أؤمن بشيء فيه ذرة من شك. آه. و لم أنكر. لأن الإنكار إيمان أيضا."

"وعلى هذا،" قال حمون ران، "قرروا أن يتبعوا أبوللو القيس."

"وقررت أنا أن أتبع النبوءة،" أكمل دالاس لس مباشرة، "والنبوءة مفتوحة على التأويل."

بدا حمون ران جذلا لأنه استطاع أخيرا أن يفهم دالاس لس ويتحدث مثله. "وحين هلك قومك، علمت أنهم اتبعوا صاحب الهدهد، لا الرفيق كما كان يجب أن يفعلوا؟"

"نعم. انتظرت حتى فسرت لي النبوءة نفسها. بعبارة أخرى، علمت

أن أبوللو القيس كان سيد الهدهد، وأن إلياس كان عبده. وإن بدا غير ذلك." ربت بكفه اليمنى على كتف حمون ران الأيسر ليؤكد عليه الانتباه إلى ما قال.

عاد دالاس لس إلى صومعته. تحمم. أخرج بذلة جديدة تركها في مكانها منذ، ياااااااه. اشتراها وقت بساريا أخطبوط، لكن بساريا انتصر، فلم يضعها على جسمه. اليوم يصدق أنه سيرتديها. لم يؤمن بعد بأنه سيرتديها. أخذها معه إلى دراجته الرباعية الزاحفة وعاد إلى مقر القيادة. كان الطابور طويلا. الناس يدخلون في صف واحد، بنفس التعليمات السابقة. ممنوع التوقف بتاتا. ألق نظرة أثناء سيرك. اتبع السهم الأحمر الذي يحدد بوابات الخروج. ترك صف الدخول وقاد دراجته الزاحفة إلى حيث باب الخروج. الخارجون يتحدثون بحماس عن استعدادهم لعمل أي شيء لكي يعيدوا هذا المولود الموعود. هو أمل البرج الوحيد. لكنهم مجمعون على أنه لم يصبه مكروه لأنه مولود لا كأي مولود. وبعضهم لديه حكايات عن الساعات القليلة التي شاهده فيها أبوللو القيس قبل أن يختفي. بعضهم يقول إنه ولد ووقف على رجليه مباشرة. آخرون يؤكدون أنه سمى نفسه اسما يعرفه أبوللو القيس وحده ولن يفصح عنه حتى يخرج. آخرون يصفونه وصفا دقيقا برواية تعود في نهاية سلسلتها إلى أبوللو القيس. مشاجرات جانبية وقعت بين أصحاب قصص ونافين لها، وأوشكت أن تكون حروبا صغيرة بينهما، لولا تدخل مسؤولي النظام.

عاد دالاس لس إلى بوابة الدخول وأخذ مكانه في آخر الصف. لا شيء. الانتظار كان لاشيئا بالمقارنة مع ما انتظره طوال هذا العمر. مالت

الشمس حتى صار ظل الشخص كطوله بعد ظل الزوال. دخل إلى "ردهة الولادة" وقرأ النصوص التي إلى جانب الصور. ورأى الوجوه المطموسة. ثم خرج. توقف إلى جوار حمون ران. "الوجوه مطموسة للأسف،" قال له، "لم نعرف شكل المولود، و لم نعرف من الذي طمسها. لكن النصوص مكتوبة بلغة أخاذة. شيء بديع فعلا. مشكلتي أني قاسي الأذن، كما تعلم، والكلام الحلو لا يعني لي الكثير." وابتسم هذه الابتسامة التي ينهي بها كلامه كل مرة.

"هل تريد أن تبلغني شيئا؟" سأله حمون ران.

"لا أبدا،" قال دالاس لس، "فقط أتحدث معك. أنا مثلك ومثل الآخرين تماما، أنتظر أن يتحدث أبوللو القيس. هو الوحيد الذي كان هنا. كل ما يقال من غيره لا قيمة له. مجرد تكهنات وإشاعات."

حين اجتمع الناس لكي يبدأوا العمل وصلت إلى حمون ران وأبوللو القيس أخبار المشاجرات التي حدثت. وأشار حمون ران على ابن عمه بالحديث إليهم لوضع النقاط على الحروف. "فقط ليتأكدوا ويكفوا عن ترديد الإشاعات. أخبرهم كيف بدا المولود حين ولد. أنت الوحيد الذي كنت هنا وسيصدقونك. الإجابات التي ستعطيها لهم لن يتحداها أحد. الناس يؤمنون بأول تفسير للمجهول، وإلا لن تتوقف الإشاعات."

استحسن أبوللو القيس رأي ابن عمه. أخبرهم أن المولود نفسه لم يكن أكثر من طفل عادي، ليس صحيحا ما أشاع الناس أنه وقف على قدميه. لكنه بدا كفارس صغير، بملامح رجولية على دقتها وساعدين كطفل عمره

عام، وعينين حادتين كعيني أبيه. كأنه ذكر طاووس في كبريائه.

حديثه ألهب الجموع بالحماس. وعلى الفور صمموا على بدء العمل. أخذ أبوللو القيس حمون ران ودالاس لس فقط إلى الغرفة التي ولدت فيها الأم البرجية لكي يتشاوروا في أفضل طريقة لتنظيم العمل، ولكي يكونا شاهدين على حال الغرفة كما تركت حين اختفى المولود وأمه، لأن الطرقات إلى الغرفة ضيقة ولن تستوعب أبدا زيارة الجميع. في الغرفة أراهم الزنبرك الذي علق به الغطاء الذي تغطى به المولود والأم. ثم تمشى حمون ران ودالاس لس ينظران إلى كل شيء في الغرفة باهتمام.

ثم فجر دالاس لس قنبلة: "لو تركتماني وحدي سآتي لكما بالمولود وأمه."

نظر إليه أبوللو القيس بارتياب: "أنت؟ ليست تلك عادتك؟" ثم ساخرا، "أين مبادؤك عن الصفر العظيم؟"

"هذا استثناء. الاستثناء الوحيد في حياتي،" قال دالاس لس. "ثم إنني لن أفعل شيئا، سوف تعثرون عليهما من غيري، فقط سأعجل بالموضوع." وابتسم ابتسامته المميزة.

"أنا أثق بك،" قال حمون ران. "أنا أثق بك."

"وأنا أيضا أثق به،" قال أبوللو القيس. "بالطبع، أثق به، بشرط واحد. أن يجيبني فورا ودون تمهل عن هذا السؤال: لماذا تريدنا أن نخرج؟"

"لأن أحدكما سيقتل الآخر ولن أستطيع أن أدفع عنه، ولن أسامح

نفسي." قال دالاس لس وابتسم. نظر إلى أبوللو القيس، "هل عندك شك في صدق إجابتي تلك؟" ثم نظر إلى حمون ران، "أبوللو القيس أيضا تلميذي. علمته نجاعة الأسئلة. لا أدري كيف لم تسمع بي من قبل يا حمون ران. فعلا. لا أدري كيف لم تسمع بي من قبل."

أعد أهل البرج، والموجودون الآن كل أهل البرج، بلا استثناء، أنفسهم لانتظار طويل. هكذا الأمور العظام، تأتي بعد انتظار طويل. بعضهم عاد إلى خيمته لينام، ولكن بعد أن كلف ابنا من أبنائه أو صبية من أقاربه، بالوقوف على باب الخيمة وتنبيهه إذا جد جديد. وبعضهم شغل نفسه بألعاب تسلية. وآخرون اجتمعوا للتسامر وتبادل الأحاديث. بالغريزة وحدها التأمت كل جماعة ناحية قائدها. الجماعة الكبيرة ناحية حمون ران، والجماعة الصغيرة ناحية قائدهم ذي القوة العظيمة، أبوللو القيس.

خو: 12 شر

ولا ظن لبيب أبدا أن ميريهان ستتحول إلى صراع برجي. جانب يهتف وا، وجانب نفديك يا. لكن هذا ما حدث. خلاف بين رجل وزوجته يكاد يشعل حربا أهلية. خلاف على قطعة أرض يكاد يشعل حربا مقدسة. وحين يتصالح الطرفان يسبان لبيب ويقولان إنه هو الذي أشعل الفتنة. ولبيب يتابع ذلك من مخبئه، لا يدري أهو سبب للبكاء أم للضحك. وإذ هو في حالته تلك قرأ هذه المدونة المكتوبة بأسلوب ركيك زاده اكتئابا وإحساسا بقرب النهاية، لكنه ضمها إلى كتابه كما هي تسجيلا للوقائع:

✂ ✂ ✂ ✂ ✂

"وسرى بين الناس أن ميريهان اختطفت بعد أن اهتدت للحق. يا لها من كارثة! يا لها من مصيبة! أيُخطَف العبد لو أناب، ويُكرَم لو عق؟

أختكم في اللـه يفتنها أعداء اللـه، قال البنجابي في قناة العفو. يطفئون النور، قالت قناة الصبح. يطمسون الحق، قالت قناة الصدق. ظفرها بألف نفس، وفداؤها جيش عرمرم، قالت قناة البلسم. مختبئة في دير في الأرض عميق، بواد سحيق، دونه أهوال مخيفة ومقرفة، قالت قناة المعرفة. لا تصالح، لا تصالح، قالت قناة التسامح.

والمؤكسج المؤكسج أوتدري ما فعل؟ انتشر فما قر، وبلبعه كل غاضب فما استقر. النفوس استثيرت، والغيرة أغارت. رفرفت العواطف كطائر جريح، والجريح لا يستريح حتى يبطل الباطل ويصح الصحيح.

قضية شخصية ليس لها أساس، فإنها هنا للحماية والطبابة، قالت رسالة منسوبة إلى البابا.

"عزمت على ألا أعود إلى الضوء، وأن أعيش ما تبقى في طي النسيان،" قالت رسالة منسوبة إلى ميريهان، "فإن عودتي تسبب الأحزان. لأني إن أحزنتكم فمن غيركم سيفرحني؟ وما جدوى العودة إن لم تسبب الفرح. إن سبب سروري الوحيد هو سروركم. وأنا أكتب إليكم وعيني تفيض بالدموع. لكن لا رجوع، لا رجوع."

والمؤكسج المؤكسج. أو تدري بما جرى؟ أو تدري؟ دم جرى. من الميدان الأحمر حتى المعصره، ومن سجن الباستي إلى سجن طره، ومن الإسكيمو حتى دندره. في الأسافل كما في الذرى. في الأبراج نار، وفي الأنفاق عبوات متفجرة. طائرات تقذف لظى، وصحف تطلق نكاتا ساخرة.

صاحب أمل انتحر. والمكاشف بالرفض استتر. وأشيع أن الشمس توشك أن تلتهم القمر. وسيُزهق المحارُ الدرر. ولن يُبقي الآتي علي شيء ولن يَذر.

الآن الآن. دخل الموضوع في النووي. ولا أظن أنني باق لأروي. بل ميت لا محالة – يا لهوي! يا لهوي!

✂ ✂ ✂ ✂ ✂

وإذ وصل لبيب إلى هذه الجملة أسرع إلى التليفزيون لينظر ماذا حدث. خبرٌ يقول إن مخربين مجهولي الهوية اخترقوا أجهزة الأمان في ترسانة نووية كبيرة ووقتوا بدء انفجار كفيل بتدمير الشرنقة وإهلاك سكانها جميعا. وقال الخبر إن خبراء من كافة أنحاء الشرنقة يحاولون إبطال التفجير قبل حدوثه. بعض التقارير قالت إن الدوافع ربما تكون إرهابية، بسبب ميريهان. لكن تقارير أخرى أشارت إلى تنبوءات "لبيب المعتوه". لم يشر الخبر إلى "الساهرون" من قريب ولا بعيد.

ولكن لا يزال لدى لبيب أمل في إنقاذ الشرنقة إذ يكتشف "الساهرون" أن سنغ خرب سفينتهم الفضائية وأنه هرب بميريهان وابنها إلى هذه السفينة المصغرة التي اخترعها. وأن لا نجاة لهم إلا ببقاء الشرنقة.

ميريهان، الموجودة الآن في غرفة مجاورة للبيب، أسمت ابنها أديم. وأمام إصرارها فإن سنغ أحضر طارق أيضا إلى السفينة. لكنه حذرها

من زيادة عدد الذكور عن الإناث. وهي أكدت له أن لا داعي للقلق، إذ رجل واحد لا يكفي امرأة أبدًا، ولا سيما رجل يكتب شعرا ضعيفا. وضحكت.

خو: 13

انتظار أهل برج الأسد لم يدم طويلا كما توقعوا، إذ قبل مغيب الشمس خرج عليهم دالاس لس بالمولود بين يديه والأم تسير خلفه. على الفور ركض حمون ران وأبوللو القيس نحوهم، وركض الناس. لكن دالاس لس صرخ في الجميع بالتوقف وأشار فقط إلى حمون ران وأبوللو القيس بالمجيء. مد يديه بالمولود إلى أبوللو القيس، "هل هذا ابن حارس السر الذي ولد وشهدت على ولادته؟"

نظر أبوللو القيس بإمعان. الأسئلة، يعلم، كمائن. لكن يجب ألا يبالغ في شكوكه. ليس بالداخل مولود غيره. ثم إن هذه "الأم البرجية" بلا شك.

"كيف أتيت بهما؟" سأل أبوللو القيس.

"سأجيبك إذ تجيبني." رد دالاس لس. محترف الأسئلة يعلم أن تأخير الإجابات شك من المسؤول.

"هو بعينه. هو ابن حارس السر. وهذه أمه. لا شك عندي في هذا." أجاب أبوللو القيس بثقة. ويعلم دالاس لس أن تلميذه زاد في الثقة ليعوض شكه في الإجابة. تلميذه وقع في الكمين. لأنه لم يعرف عم يسأل الأستاذ. لكن تأكيد أبوللو القيس سهل المهمة كثيرا على دالاس لس. فالمعضلة أنه جاء بهما. وهذا رآه الناس بأعينهم. أما كيف جاء بهما، فبساطة الفكرة تظهر قلة حيلة الفاشلين لا ضآلة جهد الناجحين.

"النهايات تدل على البدايات،" قال دالاس لس، "وآخر الطريق يقود إلى أوله. والمفتاح هو غطاء السرير الذي علق فحفظ الأثر، ودل أن الباطن كالظاهر لم يرتح على وضعه ولا أنجز مهمته. وكل ما فعلته أنني شددت اليد وأعدتها إلى حيث كانت الأم ومولودها. فكأنما أعدت تمثيل ما حدث بالمقلوب، وعدت من آخر الطريق إلى أوله."

وجه دالاس لس نظره إلى حمون ران وأبوللو القيس، وكلاهما بدا ضئيلا داخل ثيابه. "إنني بصدد إعلان هام،" قال لهما. "فليقف كل واحد منكما مع قومه، وليفكر كل واحد منكما ويفعل الصواب قبل أن لا يصير للصواب ولا لإرادة الصواب قيمة، كجنين بقي في رحم أمه أكثر مما يجب، فصار الرحم مدفنًا."

وضع المرأة في دراجته الزاحفة عن يساره، والمولود عن يمينه. وبدل بسرعة. خرج صوت كصوت الدراجة البخارية حين يشتعل محركها، ثم

كصوت طائرة شراعية. نبت من جانبي الدراجة الزاحفة جناحان ومن مؤخرتها نار. نظر حمون ران وأبوللو القيس والجموع إليها مذهولين، وهي تطير نحو ربوة عالية في اتجاه مغيب الشمس. هذا شيء لا يعرفه برج الأسد. النار، الجناحان، الصورتان بهيئتي الإنسان يبدوان من تحت الجناحين. هل هذا تأويل الرؤيا؟ النبوءة؟ هل هذا هو التنين؟

حطت الدراجة ذات الأجنحة فوق الربوة، كأقرب ما يصل إنسان في برج الأسد إلى الماحول. وخر الناس على ركبهم. فوق الربوة قائم خشبي وعارضة متقاطعة معه قرب قمته. ربط دالاس لس جسد المولود إلى القائم، وربط ذراعيه المفرودتين، من رسغيه، إلى العارضة. بينما خرت الأم تحت القائم على قدم وركبة وتشبثت به متطلعة إلى مولودها بقلق.

"المولود أنثى لا ذكر،" صرخ دالاس لس وهو ينزع الثياب عن جسد المولود نزعا، "كذبت يا أبوللو القيس، فإنك لم تكن مع المولود إذ ولِد ولا رأيته" حول وجهه عن أبوللو، "أنا الذي جئت بالمولود من مدفنه ورفعته فوق ربوة عاليه، أنا الأمين عليه وعلى الأم لا أنتم. هذا هو الكذاب الدجال،" أشار نحو أبوللو القيس، "الذي أخبرت به النبوءة."

لحظة صمت قصيرة، فكر فيها حمون ران أن الصواب هو أن يقضي على الدجال فورا، أن يكون مرة واحدة في عمره شجاعا. وفكر أبوللو القيس أن الصواب هو أن يباغت بالحرب قبل أن يفقد حتى ولاء جيشه. فذكر جيشه بما فعل بهم إلياس إذ شردهم في صحراء العصعوص. أمر كل منهما جيشه بالقتال. اندفع الجيشان إلى أحدهما الآخر تنفيذا للأوامر.

جيش حمون رانَ يريد أن يقضي على أبوللو القيس وينتزع باروكة شعره، وجيش أبوللو القيس خلف قائدهم الذي بثلاثين ألف رجل وحده يريد أن يقضي على حمون ران وينتزع اللوح الرخامي الأبيض. بينما كانت الشمس تنزل بهدوء خلف الجسد المربوط إلى القائم والعارضة، كمصباح كهربي دائري تكاد طاقته تنفد. كعين انعكست عليها حمرة الدم المسال أمام عينها. لم تذرف دمعة. و لم تتوقف لكي تمعن النظر. تماما كما لم يتوقف أحد من المتقاتلين لكي يمعن النظر أو يوجه الأسئلة. لا وقت للأسئلة. هذا وقت الإيمان جوفا. وقت الهلاك في طلب النجاة. هذا وقت الإيمان جوفا. وقت النجاة بتعميم الهلاك. هذا وقت الإيمان جوفا.

ثم ظهرت في الأفق سفينة فضائية، لم ير مثلها أيٌّ من أهل برج الأسد الأحياء، ولا يعرفون ما هي. أتت من الماحول، ثم مدت إحدى مجساتها كما يمد ضفدع لسانه، أنبوب رفيع طويل يتحول في آخره إلى قمع. غطى القمع دالاس لس، الأم البرجية، وابنتها. سحبهم وارتد إلى موضعه.

وسمع المتقاتلون صوت انفجار رهيب. توقفوا لحظة، تلفتوا حولهم، وحين لم يروا شيئا استمروا في القتال. بعض حجارة انفجار الشرنقة طارت بسرعة الصوت وبدأت تتساقط على المتقاتلين في برج الأسد. لكنهم استمروا في القتال.

أما أهل السفينة الفضائية فكانوا في مأمن، يشقون طريقهم نحو الأرض البكر، تتلألأ أمامهم بتنوعها الطبيعي، وطبيعتها الصبية. في الطابق الأعلى دالاس لس، الكائن الوحيد الذي شهد الانفجار العظيم

السابق الذي فصل الشرنقة عن برج الاسد. في الطابق الأدنى من ذلك سنغ سونغ وميريهان وطارق والأم البرجية ولبيب.

الطابق الأدنى تماما مقسوم إلى قسمين، منفصلين ومعزولين عن أحدهما الآخر. في واحد منهما تعيش بنت برج الأسد، سمتها أمها حياة، لأنها قامت من مظنة الموت. ليس حول حياة إلا روبوتات على هيئة ألعاب أطفال، جنيات ودُمَى وعرائس بحر تقدم لها الطعام وتعتني بها. وفي القسم الثاني، ابن الشرنقة، أديم، مع روبوتاته – فرسان فوق أحصنة، أراجوزات بطراطير، وحيوانات. هي أيضا تقدم لأديم الطعام وتعتني به. القاعدة الوحيدة هنا في المركبة الفضائية التي ستحلق فوق الأرض: دع الطبيعة تتحدث. لا تأمر في حضرتها ولا تنه ومن أجل ذلك، يمنع اتصال أي من سكان الطابقين العلويين في المركبة بأديم وحياة.

سيكبر الولدان، عندها سيقدّمان إلى أحدهما الآخر، سيصحو الفتى ليجد الفتاة إلى جانبه، أو تصحو الفتاة لتجد الفتى إلى جانبها، سيخرجان من الطبق الفضائي، لسبب أو لآخر، ويرسلان إلى كوكب جديد لا يعرف من القديم شيئا. أما القديم، فسيظل في المركبةِ الفضائية، طائرا في السماء، محلقا فوق أديم وحياة وفوق أبنائهما. قد يعلّق على أخطائهما، يضحك من سذاجتهما، يتبرم من غبائهما، يقفز فرحا لنجاحاتهما، لكنه لن يتدخل مرة أخرى. سيعطيهما الفرصة ليبثا حياة جديدة في الأرض البكر. بلا مواثيق ولا وعود ولا عهود.

المؤلف في سطور

خالد البري

- موا ليد محافظة سوهاج عام 1972.
- حاصل على بكالوريوس طب جامعة القاهرة عام 1996.
- عمل محررًا صحفيًا ومراسلاً لإذاعة وتليفزيون بي بي سي في لندن منذ عام 1999 حتى 2011.

صدر له

- الدنيا أجمل الجنة (سيرة ذاتية) (دار النهار، بيروت، 2001 – دار ميريت 2004، 2009). تحول حاليًا إلى فيلم سينمائي.
- نيجاتيف (رواية) دار ميريت، القاهرة، 2004.
- رقصة شرقية (رواية) دار العين، القاهرة، 2010. وصلت إلى القائمة النهائية (القصيرة) للجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر).

العهد الجديد

أسماء الحضور، مضبطة الجلسة، مكان الاجتماع القادم، خطوات الحملة، أسماء بعض المصادر التي تسرب المعلومات من داخل الوزارة، كل هذه الوثائق كانت على مكتب الوزير هدية من السماء، تماما كما كانت لفافة المؤكسج على رأس الصحفي هدية من السماء. الوزير بنفسه استقبل الصحفي في مكتبه، وسلم عليه وأعطاه منديلا أصفر وشرح له معاني الألوان، ثم رفع الوزير كرافتته ومشاها على وجه الصحفي وداعب بطرفها السفلي المثلث مقدمة أنف الصحفي وشفتيه. داعب الوزير بكرافتته شفتي الصحفي. فتح الصحفي فمه والتقط الطرف بشفتيه وسحبه بلسانه إلى الداخل، ثم أمسك الكرافتة بيده ومسح بلسانه عليها حتى العنق، وهو يضحك ويقول "هوف، هوف. هوف هوف".

(كتاب الحوادث – حو: 1 شر)

الغلاف: بسمة صلاح




6 224007 220924